جامعة الخرطوم

كلية الآداب

قسم التاريخ

منطقة القضارف ـ القلابات في عهد المهدية

دراسة في السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدية

١٨٨١ـ١٨٩٩

اعداد

محمد سعيد القدال

رسالة لدرجة الماجستير

١٩٧٠

... من عام ١٨٨١ الى ١٨٩٨ • ويمكن ان ننظر الى تاريخ هذه المنطقة حسب التسلسل الزمنى للاحداث ، ويمكن معالجتها من زاوية السياسة الداخلية والخارجية التى سارت عليها الحركة المهدية • وقد اخذت بالتقسيمين الزمنى والموضوعى معا ، فقسمت الرسالة الى ستة فصول ، الخمسة الفصول الاوائل تمثل خمسة مراحل تاريخية مرتبة زمنيا ، ثم قسمت كل فصول منها الى قسمين قسم عن السياسة الداخلية وقسم عن السياسة الخارجية • اما الفصل السادس فعبارة عن خلاصة للدراسة وما توصلت له من نتائج •

يشمل الفصل الاول فترة المهدى (١٨٨١–١٨٨٥) ويمكن ان نعتبر هذه الفترة فترة الثورة المهدية تمييزا لها عن فترة الخليفة التى يمكن اعتبارها فترة بناء الدولة المهدية • ولذلك فهذا الفصل هو اساسا دراسة لانهيار الحكم التركى — المصرى فى تلك المنطقة وانتصار الثورة المهدية فيها • ويعالج هذا الفصل كذلك بعض الجوانب المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية فى عهد المهدى والتى

هي في مجموعها جزء من الاجراءات التي اتخذها المهدي بالنسبة لبقية انحاء البلاد . على ان في دراستنا لهذه الجوانب مايؤكد المنحى العام للسياسة الداخلية والخارجية التي اتبعها المهدي .

اما الفصل الثاني فهو دراسة للفترة الاولى من عهد الخليفة وهي الفترة التي كان فيها محمد ولد ارباب ويونس الدكيم عاملين على منطقة القضارف ـ القلابات (١٨٨٥ـ١٨٨٨) وقد اعتبرت عهد هذين العاملين المرحلة الاولى من عهد الخليفة. اما في السياسة الداخلية فتمثل هذه المرحلة البداية الاولى لتكوين دولة المهدية وماصاحب تلك البداية من مشاكل وصعوبات وصراعات . وفي السياسة الخارجية تمثل هذه المرحلة تصاعد الصراع مع الحبشة حتى وصل مرحلة المواجهة الا ان الحرب نفسها لم تنشب الا في المرحلة التالية . وقسمت هذا الفصل الى جزئين رئيسيين جزء عن محمد ولد ارباب والاخر عن يونس الدكيم ، وعالجت في كل جزء منهما السياسة الداخلية والخارجية كل على حدة . وينتهي هذا الفصل بتعيين حمدان اميرا على المنطقة .

وتمتد فترة حمدان هذه الى عامين (١٨٨٧-١٨٨٩)

هى الفصل الثالث . وعلى الرغم من ان هذه الفترة شهدت بعض
التحولات فى السياسة الداخلية وبروز بعض القضايا الجديدة ،
الا ان الصراع مع الحبشة والحروبات التى خاضها حمدان
ضدها تمثل اهم مظهر من تاريخ هذه الفترة . ولعل عهد
حمدان – على قصره – من اخصب العهود فى السياسة الخارجية
لدولة المهدية حيث وصلت فيه جيوش المهدية ابعد مسافة لها
خارج حدود السودان .

اما الفصل الرابع فهو دراسة لاربع سنوات من تاريخ الدولة
المهدية هى فترة الزاكى طمل واحمد على (١٨٨٩ – ١٨٩٣) .
وشهدت هذه الفترة تبلور دولة المهدية واكتمال تكوينها الداخلى
كما تعتبر هذه الفترة كذلك قمة انتصار الخليفة فى مجال
السياسة الخارجية . وظهر فى هذه الفترة كذلك خطر خارجى
جديد تمثل فى ظهور ايطاليا فى جهة كسلا . وشهدت السنوات
الاخيرة من هذه الفترة بداية النهاية لدولة المهدية . فالمشاكل

التي كانت تظهر حينا وتختفي حينا اخر اخذت تظهر بشكل واضح وباستمرار .

اما الفصل الخامس فهو عبارة عن متابعة للسنوات الاخيرة من حياة الدولة المهدية ؛ كيف اخذت هذه الدولة توهن داخليا ،وكيف اخذت الدول المحيطة بها تنهش من اوصالها حتى جاء عام ١٨٩٨ ليشهد تلاشيها تماما . وقد ملأ الصراع ضد بريطانيا وايطاليا والحبشة الفراغ الاكبر من هذه الفترة ،وتقلصت القضايا الداخلية حتى لم تعد الا مظاهر للانهيار نلحظها هنا وهناك .

وحاولت في الفصل الاخير ان اناقش السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدية معتمدا على الدراسة التى قدمتها فى الفصول الخمسة السابقة . وحاولت ان استبين بعض معالم السياسة الاقتصادية والادارية والقبلية في هذه المنطقة والتطورات التى مرت بها خلال السنوات الصاخبة لدولة المهدية .

شكر وتقدير

انه واجب حبيب الى نفسي ان اشكر كل من ساعدني في

منعطفات هذا البحث . حبيب الى نفسي ان اذكر بالتقدير
المعروف الذى طوقونى به لانه كان يتم فى صمت وبحفه احساس
عميق بالمسئولية،ولاشك ان البروفسير مكي شبيكة اول من يقدم له
الشكر بالنسبة لهذا البحث فقد كان لخبراته الطويلة وارشاداته
الاساسية دورا هاما فى ان يخرج هذا البحث بشكله هذا . اما
الدكتور عباس ابراهيم الذى تحمل مسئولية الاشراف المباشـــر
على هذا العمل بعد سفر البروفسير شبيكة فقد فتح لى افاقـا
جديدة بالمناقشات التى اجاراها معى . اما الدكتور محمد ابراهيم
أبوسليم واسرة دار الوثائق المركزية فشكرى لهم لايحد . فمنذ ان
كان هذا البحث فكرة تجول فى خاطرى وانا اقتحم بها دار الوثائق ،
كان هو ومن معه من موظفيين لايبخلون لى بطلب . ثم كان للمجهود
الخاص الذى قدمه لى الدكتور ابوسليم بعيد الاثر فى مجرى هذا
البحث . فالى هؤلاء والى اخرين يعرفون تماما مدى مساعداتهم لى
اتقدم بوافر شكرى وتقديرى .

فهرست الموضوعات

الفصل السادس

مقدمه

١ ـ لماذا القضارف ـ القلابات

لاشك ان ارتباط عائلتي بهذه المنطقة كان من الاسباب التي جعلتني اختارها مجالا لدراستي ،فلازال بعض اهلي وعشيرتي يعيشون في ودياناها ويضربون في بطاحها . ولعل المصير الذى لقيته قبيلة الضبانية في عهد الحكم الثنائي وفقدانها لكيانها وذوبانها داخل القبائل الاخرى من العوامل التي اثارت اهتمامي بتاريخ هذه المنطقة . فقد كان جدى يعمل باشكاتبا للضبانية في " التركية السابقة " ، وظل بعض اهلي يرتبطون بهذه القبيلة في عهد الحكم الثنائي . كما اشترك بعضهم في الثورة المهدية في سنواتها الاولى . فجدى بابكر القدال كان من امراء المهدية في القضارف وقد اشاد به الخليفة في بعض خطاباته . كما استشهد ثلاثون من اعمامي في حروبات المهدية المختلفة في تلك المنطقة ولعل الاهمال الذى لقيته هذه المنطقة من المؤرخين بالرغم من اهميتها القصوى بالنسبة لدولة المهدية قد دفعني لدراستها اما

اختيار اسم القضارف ـ القلابات لهذه المنطقة فلانه اكثر شمولا من الاسماء الاخرى . فكانت تعرف هذه المنطقة فى عهد المهدية باسم القضارف حينا والقلابات حينا اخر ويسميها بعض المؤرخيـــن بعمالة الحدود الحبشية فى حين ثالث . ولكن هذه المنطقة بالرغم من اختلاف اسمائها الا انها ظلت طوال فترة المهدية وحدة سياسية قائمة بذاتها . اما منشأ هذا الخلاف فراجع الى اختلاف السياسة اذ كان التركيز اولا على السياسة الخارجية ثم تحول الى السياسة الداخلية فانتقل مركز الثقل من القلابات الى القضارف تبعا لذلك . ولذلك فاسم القضارف ـ القلابات يعطى وصفا ادق واشمل .

٢ ـ حول جغرافية منطقة القضارف ـ القلابات

تعتبر منطقة القضارف ـ القلابات وحدة جغرافية قائمة بذاتها لها خصائصها ومميزاتها الخاصة بها ويسميها بعض الجغرافيون مرتفع القضارف القلابات . (Gadarif – Gallabat Ridge)(1)

وتقع هذه المنطقة بين خطى طول ٣٧ ، ٣٤ شرقا ، وخطى عرض ١٥و ١٢

(1) K.M. Barbour, The Republic of the Sudan : A Regional Geography (London, University of London Press. 1961) , p.194

شمالا • وهذه المنطقة هي جزء من ارض البطانة التى تقع بين النيل الازرق ونهر عطبره وتمتد حتى الحدود الحبشية • وتقع منطقة القضارف ـ القلابات في الجزء الجنوبي الشرقي منه • وترتفع هذه المنطقة عن بقية ارض البطانة ارتفاعا تدريجيا حتى تصل الى ٦٠٠ قدم فوق سطح البحر عند الحدود الحبشية • ويقع مرتفع القضارف ـ القلابات على سطح هذه الهضبة •

وتتراوح الامطار في منطقة القضارف ـ القلابات بين ٤٠٠ و ٩٠٠ مم في العام • والامطار بالنسبة لهذه المنطقة ومناطق السودان المختلفة هي " العنصر المناخي الفعال وهو اكثر العوامل المناخية اهمية في السودان وهو العامل الاساسي في تحديد السكان "[٢] فالامطار في هذه المنطقة تصلح لزراعة الذرة والسمسم والقطن • فمنطقة القضارف تنتج كميات وافرة من الحبوب، فهي المصدر الرئيسي له في الماضي والحاضر • وقد بلغت وفرة الانتاج في اواخر العهد

---

٢ فيليب رفله ، الجغرافية السياسية الافريقية (القاهرة : مكتبة الوعي العربي ، ١٩٦٥) ، ص ٢٧٩

التركي ـ المصري حدا بيمث فيه الشدة جعال المحلة بالذرة بنصف ريال نمساوي . ويزرع بجانب الحبوب " والتمباك والفواكه ووصل انتاج التمباك السنوي الف وخمسمائة ورقة وكان التجار الاغريق هم الذين يقومون بهذا النوع من الزراعة طوال العهد التركي ـ المصري ، بل ان بعضهم اقام مصنعا للسجاير في القضارف .[٢]

وقد ساعدت درجة الحرارة في هذه المنطقة على زراعة الحبوب اذ ان منطقة القضارف طقسها حار جاف في الصيف، وتقل درجة الحرارة كلما اتجهنا نحو الهضبة الحبشية . وعند القلابات يصبح الطقس باردا بل من ابرد مناطق السودان في الشتاء .

ويتخلل منطقة القضارف ـ القلابات عدد من الانهر الموسمية . وتنحدر كل هذه الانهر والوديان من الهضبة الحبشية متجة غربا نحو سهول السودان . ومن اهمها النيل الازرق ، نهر عطبره ، نهر سيتيت ، خور القاش ، الرهد ، سرف سعيد . وتلعب هذه الوديان دورا هاما في اقتصاديات المنطقة اذ يعتمد عليها السكان في الزراعة

---

٢ F.R. Wingate, Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp (London, Macmillan & Co., 1891), I, 216

ويتخذون بعضها سبيلا للمواصلات ويصبح بعضها الاخر موانع طبيعية تعوق الحركة عند امتلائها .

٣ — حول جغرافية الجزء الغربى من الحبشة

تقع الحبشة (اثيوبيا) بين خطى طول ٣٣ و ٤٨ شرقا وخطى عرض ١ و ١٥ شمالا . وترتفع عن سطح البحر كثيرا حتى يصل ارتفاع بعض مناطقها ١٥ الف قدما . ويتخلل الهضبة الحبشية الهائلة وديان عميقة يصل عمق بعضها ميلا واتساعه ميلان . ويتخلل هذه الهضبة انهر عديدة ولكنها غير صالحة للملاحة لاندفاعها الشديد . وتكون هذه الوديان والانهر حواجز طبيعية خصوصا عند فيضانها . ولعل اهم ظاهرة فى طقس الحبشة هى امطارها الصيفية التى تشتد فى المناطق الجنوبية الغربية حتى يصل منسوبها ١٨٠٠ مم فى العام وتهطل كل هذه الكمية فى مائة وسبعة وسبعين يوما من العام . وتعتبر الحبشة من البلاد القليلة التى اثرت جغرافيتها على تاريخها تاثيرا بينا .

ويكون الجزء الجنوبى الغربى من الحبشة المتاخم للقلابات وحدة جغرافية تعرف بمرتفعات اثيوبيا — كافا التى تمتد من ارتريا فى

الشمال وتشمل بلاد التقرى والامهرة وكجام وشوا وكافا . ويبلغ اقصى ارتفاع في هذه المنطقة ٦٥٠٠ قدما . وينحدر هذا المرتفع الى جهة الغرب حتى ينتهى عند هضبة القضارف ـ القلابات وتشتد حدة الانحدار في الجزء الشمالى الغربى والجزء الجنوبى الغربى وتقل حدته في منطقة الوسط وهى المنطقة الملاصقة تماما للقلابات .

وينقسم طقس هذا الجزء الجنوبى الغربى من الحبشة الى ثلاثة اقسام تتراوح بين الحرارة والبرودة الشديدة حسب الارتفاع ويمتد فصل الشتاء من ابريل الى سبتمبر وهو ايضا فصل الامطار، ويختلف شتاء هذه المنطقة عن شتاء السودان الذى يتصف بالبرودة والجفاف .

والنيل الازرق هو اهم نهر فى الحبشة وينحدر من الشرق الى الغرب مع انحدار الهضبة . يكون هذا النهر حاجزا طبيعيا يفصل منطقة كجام عن الجزء الجنوبى من الحبشة . وفى الجزء الغربى تكثر الانهر الموسمية التى تصبح عند فيضانها حاجزا يعزل الحبشة

عن منطقة القلابات •

وتنقسم الحبشة الى ثلاثة عشر ولاية تقع ثلاثة منها فى الجزء المتاخم للقلابات وهى حسب وضعها من الشمال الى الجنوب : تقرى ، لمهرة ، وكجام •

ك- اهم القبائل فى هذه المنطقة

اهم ثلاث مجموعات قبلية فى منطقة القضارف ـ القلابات هى : الشكرية والضبانية والتكارير • اما الشكرية فهم من القبائل الكبيرة لا بالنسبة لهذه المنطقة بل بالنسبة لكل قبائل السودان • وقد بلغ تعداد هذه القبيلة فى اواخر العهد التركى ـ المصرى حوالى نصف مليون شخصا كانوا مقسمين الى تسعين عميرة[٤] • ويعمل الشكرية بالزراعة والرعى ويملكون مجموعة كبيرة من الابل والماشية حتى بلغ مجموع الابل المخصصة لركوب شيخ القبيلة نحوا من اربع الاف • وكانوا يتاجرون

---

٤ نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان (بيروت دار الثقافة ، ١٩٦٧) ص ٦٨ • ويتفق ابراهيم فوزى مع نعوم شقير الى حد كبير اذ يقول ان تعدادهم اربعمائة الف ، راجع :
ابراهيم فوزى ، السودان بين يدى غردون وكتشنر ، الجزء الثانى (مصر ١٣١٩ ، ١٩٠١-١٩٠٢) ص ٥٦٠ •

فى ابلهم مع مصر • ويقال ان الشيخ احمد ابو سن مات فى مصر عندما ذهب هناك ليتفاوض فى امر هذه التجارة •

وتسكن قبيلة الشكرية فى المناطق الزراعية الواقعة حول القضارف وفى منطقة البطانة الغنية بمراعيها • وتعتبر القضارف اهم مركز للشكرية بل هى مقر حكمهم حيث يسكن شيوخ القبيلة من عائلة ابو سن • وكان للشكرية وضع ممتاز فى العهد التركى ـ المصرى • وفى عهد الخديوى اسماعيل اصبح شيخ القبيلة احمد ابو سن مديرا للخرطوم وسنار ، وانعم عليه بلقب باشا " وعلى ابنه عوض الكريم من بعده بلقب " بيك " •

اما قبيلة الضبانية فهى اقل شأنا من الشكرية ولكنها من القبائل الهامة فى هذه المنطقة وقد بلغ تعدادهم فى العهد التركى ـ المصرى نحوا من خمسين الفا مقسمين على سبعة عمائر • ويسكن الضبانية فى الخريف فى البطانة وينزحون منها فى فصل الصيف الى المنطقة الواقعة بين نهر سيتيت ونهر باسلام (وهو اسم الجزء الحبشى من نهر عطبرة) • وتعتبر القومات (تومات ولد زايد) من اهم

مدن الضبانية فهي مقر زعمائهم من عائلة ولد زايد . ومن مدنهم التجارية الهامة الجبيره ودوكه ولقيت هذه القبيلة حظا كبيرا في العهد التركي ـ المصرى ومنح شيخهم محمود عيسى زايد لقب باك". وعاصر محمود هذا اغلب حكم الخليفة .

وتعرف المجموعة القبلية الثالثة بالتكارير او تكارير القلابات . وكلمة تكرور نفسها قد اكتنفها الكثير من التحريف والغموض مما ابعدها عن معناها الحقيقي واصبحت تستعمل في منطقة الشرق الاوسط استعمالا عاما يقصد به كل المهاجرين من غرب افريقيا الذى كان يقودهم طريق الحج عبر بعض بلدان الشرق الاوسط فيطيب لهم المقام في بعضها فيستقرون بها .[٥] ولذلك عندما نتحدث عن تكارير القلابات فنحن نتحدث عن مجموعة من قبائل غرب افريقيا استقرت في منطقة "راس الفيل" (القلابات) في القرن الثامن عشر الميلادى بعد عودتها من مكة .[٦]

---

٥ [illegible] Al [illegible], Takrur , [illegible]istory of A [illegible], [illegible], Vol. X, [illegible]. 3, 1959 , [illegible]. 37.

٦ [illegible] Vol. , [illegible], [illegible]. I, 1924, [illegible]. 95.

وبلغ اقصى تعداد للتكارير فى هذه المنطقة خمسة واربعين الفا • واعتبر بعض المؤرخين هذا العدد ضئيلا واستنتجوا من هذه القلة انهم عنصر غريب على المنطقة [٧] • ولكنا اذا قارنا هذا العدد بالضبانية مثلا لوجدنا انهم متقاربين فى العدد مما يدفعنا الى القول بان غرابة عنصرهم على المنطقة لاتعود الى هذا السبب بل الى اسباب اخرى لعل من أهمها اسمهم الغريب على المنطقة •

واصبح للتكارير فى القلابات مشيخة قائمة بذاتها ، وكان صالح ادريس (المشهور بصالح شنقا) هو شيخهم عند اندلاع الثورة المهدية • وكان التكارير يقومون بدور الوسيط فى عملية التبادل التجارى التى كانت قائمة بين الحبشة والقلابات • وقد تحصلوا على ارباح طائلة من تلك العملية وذلك عن طريق الضرائب التى كانـــوا يفرضونها باسم الحبشة او السودانيين على التجار • وكان التكارير ينتقلون بولائهـــم السياسى حينا مع الحبشة وحينا لشرمع السودان حسب الدولة التى كانت تفرض سيطرتها على القلابات [٨] • ولذلك لعب التكارير دورا سياسيا هاما فى هـــــذه

---

٧ Al-Nagar, op.cit, P. 366

٨ راجع س من هذا الفصل عن القلابات وكذلك ،

Barbour, op.cit, P. 195

المنطقة وفى ترجيح كفة هذه الدولة اوتلك •

٥- اهم المدن التجارية فى العهد التركى - المصرى

مثلما لعبت الظروف الجغرافية دورا هاما فى تاريخ هذه المنطقة لعبت التجارة كذلك دورا لايمكن اغفاله واثرت فى تكييف العلاقة بين السودان والحبشة ، وسنتعرض لاهم ثلاث مراكز تجارية فى المنطقة وهى : القضارف والقلابات فـــى السودان ثم غندار فى الحبشة •

أ القضارف

تقع القضارف وسط منطقة زراعية غنية ولذلك اصبحت سوقا تجاريا هاما للمحاصيل الزراعية • وساعدها موقعها الجغرافى الحصين ايضا اذ تحيط بها سلسلة مـــن التلال تجعل الدفاع عنها ضد الغارات الخارجية امرا يسيرا • ومما ساعدها ايضا على النمو وقوعها على مسافات متقاربة بين عدد من المدن الهامة • فتقع على بعد ١٤٢ ميلا من كسلا ، و ١٤٦ ميلا من ابى حراز ، و ٩٤ ميلا من القلابـــات • فاصبحت نقطة التقاء هامة يرد اليها التجار لامن السودان فحسب بل من مصـــر

والحجاز والهند والحبشة واحيانا اوربا [٩] • ولذلك اشتهرت القضارف ، بجانب

الزراعة ، بالتجارة فى ريش النعام والماشية • كما كان بها مصنعا للصابون وآخر

للسجاير • وقد بلغت الضرائب السنوية على التمباك مائة الف ريال كانت تذهب

كلها الى خزينة الحكومة [١٠] • وحتى اذا كانت هذه الارقام غير دقيقة فانها تعكس

الثراء الذى كانت تتمتع به القضارف • ولهذا وجدت القضارف عناية خاصة من

الحكام الاتراك اذ ظلت طوال ذلك العهد تابعة للخرطوم ، بل كان من اهتمام

الحكومة بها ان مدتها ببوستة منتظمة [١١] • فالقضارف اذا كانت لها اهمية قبلية

واستراتيجية واقتصادية •

ب ، القلابات

تقع مدينة القلابات على " خور ابو نخره " فى سفح الهضبة الحبشية

عند الطريق الرئيسى الذى يصل السودان بشمال الحبشة • وهذا الموقع الجغرافى

---

٩ نعوم شقير ، ص ١٢٠

١٠ سعد رفعت ، تقرير سعد رفعت (دار الوثائق المركزية) ، ص ٤

١١ Richard Hill, Egypt in the Sudan, 1820-1881 (Sudan, 1959)

اعطى القلابات اهمية استراتيجية خاصة فهي موقع دفاعي ومنطلق للهجوم فـــي نفس الوقت •

وتسمى المنطقة التي تقع فيها القلابات " براس الفيل " وتسمى احيانـــا بالقلابات • ولكن استعمالنا للكلمة القلابات هنا يعني المدينة فقط ولا يعني كـــل المنطقة • وتتحدث بعض المراجع التاريخية عن مدينتي القلابات والمتمة على انهما مدينتان منفصلتان ، واحيانا تستعمل المتمة لتعني القلابات [12] • والواقع انهما مدينتان توأمان على الحدود ، تقع القلابات في السودان والمتمة في الحبشـــة • ولذلك فان التفريق بينهما غير مألوف لانهما مكملتان لبعضهما البعض وعليه فسنقتصر على استعمال القلابات فقط •

ونشأة القلابات غير واضحة المعالم ، ولكن يبدو ان العبيد الهاربين — الكنجارة — هم اول من سكنها • ولعل موقع القلابات المنعزل على الحدود قد ساعدها لتصبح مأوى لاولئك الهاربين • اما اقدم تاريخ للقلابات كمدينة فيرجع الى مملكـــة

---

١٢ نعوم شقير ، ص ١٢١٠

سنار • ويبدو ان ملوك سنار هم الذين اسسوها فى القرن الثامن عشر كقاعدة حربية
وذلك عندما توترت علاقتهم مع الحبشة [١٣] •

على ان تاريخ القلابات اصبح اكثر ارتباطا بقبائل غرب السودان (التكارير) الذين
استقروا بها عند عودتهم من مكة ، اكثر من ارتباطها بملوك سنار • واصبح للتكارير
مشيخة قائمة بذاتها شبه مستقلة ولهم " نحاس " خاص بهم يحتفلون بتجليده كل
عام فى شهر رجب (عيد الرجبية) •

واستمرت القلابات تابعة لملوك سنار حتى بداية العهد التركى ــ المصرى
عندما تحولت تبعيتها الى الحبشة • ولعل الحبشة قد اغتنمت الفوضى التى صاحبت
سقوط مملكة سنار فاحتلت القلابات • واصبح حاكم الولاية الغربية من الحبشة هو
المسئول عن المدينة • وكان يعين وكيلا من جانبه من المسلمين ليدير شئون القلابات •
واهم واجبات الوكيل جمع الضرائب وتسليمها للحبشة وكانت تلك الضرائب تجمع
بواسطة شيخ التكارير فى المنطقة [١٤] •

---

١٣ S.H.R, op.cit., P. 95

١٤ Ibid.

وظلت القلابات تتبع للحبشة حتى عام ١٨٣٨ [١٥] . ففي ذلك العام نشب صراع بين الحبشة والحكومة التركية ، فارسل حكمدار السودان خورشيد اغا حملة الى القلابات لاحتلالها وساحتها واستطاعت الحملة الاستيلاء على المدينة وسلم لها الشيخ " ميرى " شيخ التكارير ، وفرض الاتراك ضريبة سنوية على المدينة [١٦] .
وتبين لخورشيد اهمية القلابات فاقام بها حامية تركية مؤلفة من مائة جندى من الباشبوزق والاتراك . وهذه هي المرة الاولى التي تقام فيها حامية في القلابات بجانب قوة التكارير الحربية . اما وضع التكارير الادارى فلم يتغير اذ ظلوا هم الاداة الادارية المسئولة عن المدينة .

وفي عهد الحكمدار موسى باشا حمدى (١٨٦٣-١٨٦٥) زادت حدة الصراع بين الحكومة التركية والحبشة حول الحدود ، وكثرت تعديات الحبشة على القبائـــل

---

١٥ يذكر نعوم شقير (ص ٥١٦) ان تاريخ ذلك الصدام هو عام ١٨٣٠ ولكن الصحيح هو عام ١٨٣٨ . فقد اشار هل (Hill, P.33) ان ذلك الصدام حدث في عهد خورشيد باشا (١٨٢٦-١٨٣٨) وكان من نتائجه استدعاء خورشيد ولذلك تكون تلك الحادثة قد تمت في اخر عهده . وكان استدعاء خورشيد بواسطة محمد على باشا بغرض ارضاء بريطانيا التي رأت ان احتلال القلابات فيه تعد على مناطق نفوذها .
راجع : S.N.R. op.cit, P. 96
١٦ نعوم شقير ص ٥١٦

الخاضعة للحكم التركي ـ المصرى . فاستنجد شيخ التكارير جمعه ابو دقن بالحكمدار طالبا حمايته من تهديدات الامبراطور تيودور . وفى نوفمبر ١٨٦٢ قام موسى حمدى على راس حملة مكونة من ثلاثة الاف جندى نظامى وخمسة الاف غير نظامى وسار الى القلابات [١٧] . وهناك رأى ضرورة تحصين المدينة فانشأ فيها استحكاما منيعا ودعمه بالموانع واقام بها اورطتين من الجهادية بقيادة ادم بك . كما فرض ضرائب جديدة على المنطقة بلغت اربعة وعشرين الف ريال سنويا . فقام الشيخ جمعه من جانبه بفرض ضرائب جديدة على الواردات الحبشية ليواجه بها التزامه الجديد نحو الحكومة [١٨] .

وكان من جراء ذلك الاستقرار ان زادت اهمية القلابات كمركز تجارى واصبحت سوقا لمختلف البضائع مثل الماشية والذهب والقطن والشمع والزباد والبن والسمن والرقيق والعاج . وبلغ سكانها عام ١٨٦٤ خمسا وعشرين الف نسمة موزعين على خمسة وعشرين قرية [١٩] . ويبدو ان هذا العدد اكثر

---

١٧ S.N.R, op.cit, P. 97

١٨ نعوم شقير ، ص ٥٣٦

١٩ S.N.R, op.cit, P. 97

واقعية من العدد الذى ذكره شقير ، فسكان الخرطوم نفسها فى تلك الفترة بلغوا ثلاثين الفا [٢٠] .

وسوق القلابات من اكثر الاسواق تنظيما ، ويجتمع يومى الثلاثاء والاربعاء من كل اسبوع ويزداد نشاطه بين نوفمبر ومايو . ولعل حجم التجارة بين القلابات وسواكن يعطى صورة لما وصلته القلابات من اهمية تجارية . فقد بلغ مجموع مايصدر سنويا الى سواكن الآتى :

٢٠٠٠ الف كيلو بن

١١٠ الف كيلو شمع

٤٤٥٠ كيلو عاج

١٠٠٠ اوقية ذهب

من ١٥ الى ٢٠٠ من الخيول فى كل يوم سوق

٢٠٠٠ رقيق

وبلغت كمية مابيع من القطن عام ١٨٦٣ حوالى اربعة الاف بالة . ولهذا فقد اصبحت

---

٢٠ . R. Hill, op.cit, p. 162

القلابات سوقا شبه عالمى يرد اليها التجار لا من الحبشة فحسب بل من بلاد الاغريق والارمن وغيرها [٢١] .

وقد اعطى سعد رفعت وصفا للقلابات فى اخر العهد التركى ـ المصرى فوصفها بانها بلد ذات " اهوية عظيمة " ومنازلها مبنية من الحجر والقش . وبها قلعة محصنة يحرسها جنود من البيادة والطبجية . وسكانها بجانب التكارير هم الحمدة والكواهلة والضبانية . وقدر سعد رفعت الضرائب المفروضة على القلابات بحوالى ثلاثمائة الف جنيه فى العام [٢٢] . ولعل هذا الرقم مبالغ فيه ولكنه يدل على اهمية القلابات التجارية .

فى الحقبة الاخيرة من العهد التركى ـ المصرى كان صالح شنقا هـو شيخ التكارير فى القلابات . وشنقا هذا من مجاورى الازهر جاء الى القلابـات

---

[٢١] Richard Pankhurst, The Trade of Northern Ethiopia in The Nineteenth and Early Twentieth Centuries, Journal of Ethiopian Studies, Vol. II, No 1, January 1964, pp.72-73

[٢٢] سعد رفعت، التقرير، ص ٣٠

ليصبح اماما لمسجدها ويبدو انه كان عظيم الولاء للحكومة التركية اذ منحوه وضعـــا
ممتازا فى القلابات ، فهو المكلف بجمع الجزية وبخلق علاقات تجاريـة مع الحبشـة [٢٣] •
كما كان له جيش خاص به يتكون من اربعة الاف جندى من الحبش والسودانـيين
وجميعهم باسلحة نارية • ويستعمل هذا الجيش فى زمن السلم فى اعمال الزراعـــة
الخاصة بشيخ التكارير [٢٤] •

ج : غـنـدار

كانت غندار فى النصف الاول من القرن التاسع عشر من اهم الاسـواق
التجارية فى الحبشة ، بل اصبحت فى وقت من الاوقات اهم مدينة تجارية •
وتقع غندار فى وسط طريق تجارى هام يبدا من دارفور ثم مملكة الفونج ويمر
بغندار الى عدوة فمصوع • ويمر بها ايضا طريق تجارى اخر يسير الى شلقا (Celga)
ووهنى (Wahani) ثم القضة والقلابات • وتسير القوافل التجارية من غندار متجهة
غربا فى فصل الجفاف بين اكتوبر ومايو [٢٥] •

---

٢٣ نعوم شقير ، ص ٥٣٧
٢٤ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٣٠
٢٥ Pankhurst, op.cit., pp.52,65

وتعتبر غندار اهم سوق للذهب فى الحبشة ومن اهم الاسواق لتجـــارة البن والعاج • وبالرغم من تدهور أهميتها التجارية فى النصف الثانى من القرن التاسع الا انها ظلت واحد من اثنى عشرة سوق هام فى الحبشة • ولـعـل حجم تجارتها عام ١٨٩٠ يوضح تلك الاهمية • فقد بلغ مابيع بها من المواشى فى ذلك العام الآتى :

٨٠ الف ثور

١٨ الف بقرة

١٠ الف نعجة

٢٠ الف خروف

٦٠ الف دجاجة [٢٦]

ويبدو ان قرب غندار من الحدود السودانية وتاريخها التجارى الحافل قد خلقا لها صورة زاهية فى عقل السودانيين ولعلها كانت تمثل بالنسبة لهم مركز الثراء

---

٢٦ Ibid., PP. 54-56

المعريين عبر الحدود •

٦ـ الوضع العسكرى في القضارف ـ القلابات عند اندلاع الثورة المهدية

عند اندلاع الثورة المهدية ركزت الحكومة التركية مجهوداتها العسكرية فى غرب السودان باعتباره معقل الثورة • وادى ذلك التركيز الى ضعف المناطـق الاخرى عسكريا بالذات منطقة القضارف ـ القلابات ، فقد حولت عنها الحكومـة بعض فرق الجيش وبعثتها الى الغرب • وسنتعرض هنا الى الوضع العسكرى فى ثلاثة مدن هامة فى هذه المنطقة وهى القضارف ، القلابات ، والمجيرة •

كان بالقضارف عند اندلاع الثورةالمهدية مائتا جندى نظامى وأوردى من الباشبوزق المغاربة بقيادة محمد باشا اغا • وكان محمد عوض الكريم ابو سن مأمورا عليها • ونقل اليها بلوك من القلابات ولكنه سرعان ماحول الى سنار لتدعيم موقعها [٢٧] •

وفى عام ١٨٨١ كان بالقلابات الف وستمائة وعشرة جنديا • وعند قيام

---

٢٧ نعوم شقير ، ص ٦ ٨٩

الثورة في غرب السودان اخذ منها " ٥ جي " اورطة بقيادة البكباشي حسن افندى عارف و " ٦ جي " اورطة بقيادة سرور افندى بهجت وارسلا الى الغرب . ويبقى بها بلوكان فقط . وبها ايضا بطارية طوبجية بقيادة محمد افندى رمضان وواحد اوردى باشبوزق يتكون من اربعمائة وخمسين جندى بقيادة محمد بك السيد واورطة غير نظامية تابعة لصالح شنقا . وعند حلول عام ١٨٨٤ اصبح بالقلابات خمسمائة وثلاثة وتسعون جنديا نظاميا فقط[٢٨] .

اما المدينة الثالثة فهي الجيرة . والجيرة طابية حصينة على حدود الحبشة مبنية بالحجر على اكمة مرتفعة تطل على نهر سيتيت . وكان بها " ٤ جي " اورطة التى تتكون من ثمانمائة جندى بقيادة البكباشي فضل الله حبيب . وعند اندلاع الثورة المهدية ارسلت نصف القوة العسكرية التى بها الى سنار ، وارسل منها بلوك الى كسلا ، فبقى بها بلوك بيادة وثلاثة مدافع وصاروخ حربي[٢٩] .

---

٢٨ المصدر السابق ، ص ٦٣٥

٢٩ المصدر السابق ، ص ٩٠١

يتضح لنا من الارقام السابقة بعض الحقائق المتعلقة بالوضع العسكري في هذه المنطقة عشية اندلاع الثورة المهدية فيها • فنلاحظ اولا ان القـــوة العسكرية للحكومة كانت متمركزة في ثلاث حاميات هامة بجانب النقاط العسكريــة الصغيرة الاخرى • ثانيا انه في حالة اندلاع ثورة شعبية تصبح تلك الحاميــات عبارة عن جزر معزولة وسط بحر من الثورة الهادرة وتظل غير متصلة ببعضها البعض • ونلاحظ ثالثا ان منطقة المتضارف ـ القلابات لم تكن تشكل خطورة كبيرة على الحكـم التركي ـ المصري ولذلك كانت تعتبر كمنطقة احتياطية يؤخذ منها الجنـــود لتعزيز المناطق الاكثر خطورة ولذلك عندما اندلعت بها الثورة لم يكن بهـــا سوى الفين وستمائة جنديا موزعين على ثلاث مدن • وعليه فلم يكن امام اولئك الجند الا التسليم او الانسحاب من مراكزهم عن طريق الحبشة باعتبارها الطريـق الوحيد المفتوح • وهكذا دخلت الحبشة في الصراع ضد المهدية في هـــذه المنطقة واصبحت هي العنصر الحاسم في ذلك الصراع واحتلت مكان الحكومـــة التركية ـــ المصرية •

٧- اهم مصادر هذا البحث

تعتمد هذه الدراسة على وثائق المهدية . وكانت هذه الوثائق حتى حقبتين خلت بعيدة عن متناول الباحثين . ثم انشأت دار الوثائق المركزية فكان ظهورها فتحا في مجال البحث العلمي خصوصا في تاريخ السودان في عهد المهدية. وقد تعرض كثير من الباحثين لطبيعة دار الوثائق المركزية وتكوينها وتصنيف الوثائق فيها والامكانيات التي تتيحها للبحث [٣٠] . ولذلك لن اتعرض لهذا الجانب بل ساتحدث عن اهم وثائق المهدية التي اعتمدت عليها ، وهي الاقسام الثلاثة الاولى منها .

يشمل القسم الاول من وثائق المهدية الرسائل المتبادلة بين الخليفة من جانب وقواد المهدية وامرائها المشهورين من الجانب الاخر . فرجعت في هذا القسم الى المراسلات بين الخليفة ومحمد ارباب ويونس الدكيم وحمدان ابي عنجة

---

٣٠. راجع، P.M. Holt, The Archives of the Mahdia (London, 1955).
Mohamad Ibrahim Abu Saleem : The Central Archives and Possibilities of Research. A Paper Presented to the Philosophical Society of the Sudan(1964)
موسى المبارك ،تاريخ دارفور السياسي ، ١٨٨٢-١٨٩٢م، رسالة ماجستير لم تنشر (جامعة الخرطوم نوفمبر ١٩٦٤) .

والزاكي طمل واحمد علي واحمد فضيل وغيرهم • ولعلي اول من اطلع على هــذه الرسائل متكاملة فكانت مصدرا هاما من مصادر هذا البحث •

اما القسم الثاني فهو عبارة عن رسائل مختلفة مرسلة من بعض امراء المهدية وقوادها للخليفة او يعقوب اوكبار القادة • وكانت هذه الرسائل ايضا ركــيزة ثانية اعتمدت عليها في هذه الدراسة •

ويعرف القسم الثالث من رسائل المهدية بدفاتر الصادر وتشمل الخطابات الصادرة عن المهدي اوالخليفة الى مختلف الاقاليم • وتتميز دفاتر الصادر هذه ، بل اغلب وثائق المهدية ، بميزة عامة وهي ان اغلب تلك الخطابات تبدأ بخلاصة للرسالة السابقة التي يتم الرد عليها • فالمهدي والخليفة وبقية قواد المهدية كانوا يلخصون الرسالة الواردة اليهم قبل ان يشرعوا في الرد عليها • واصبحت تلــك الرسائل في الواقع عبارة عن رسالتين • وقد افادت هذه الطريقة كثيرا لانهــا حفظت لنا الكثير من الخطابات التي ضاعت وسهلت في كثير من الاحيان الوقوف على تسلسل الاحداث ، بل وفي وضع التواريخ في الرسائل التي غاب ذكــر التاريخ فيها •

ورجعت الى مخطوطة اسماعيل عبدالقادر الكردفاني باسم الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش ، في القسم الثامن من وثائق المهدية • وهذه المخطوطة لها اهميتها لانها تمثل مصدرا اوليا عن حروبات المهدية علــــى الجبهة الحبشية • ولعلي قد تعرضت الى كثير من اجزاء هذه المخطوطـــــة بالتحقيق وافدت منها كثيرا • وقد تعرضت لهذه المخطوطة والظروف التى احاطت بتأليفها واسلوب الكردفاني في مقالتي بمجلة الدراسات السودانية [٣١] •

وقد سافرت الى منطقة القضارف وقضيت بها قرابة الشهر واتصلت ببعض الشخصيات التى تهتم بالتاريخ ولم افد منها كثيرا مما يستحق الذكر ماعـــــدا ملاحظات عابرة هنا وهناك •

هذه هي اهم مصادر هذه الدراسة • وهناك مصادر اخرى تشمل على مؤلفات عربية وانجليزية لها فائدتها ويعرفها الباحثون في تاريخ المهدية •

---

٣١ محمد سعيد القدال " الطراز المنقوش " مجلة الدراسات السودانيـــة (العدد ٢ ، المجلد (١) ، يونيو ١٩٦٩) • ص ١٤٠ـ١٤٥ •

وقد اتصلت بشعبة التاريخ بجامعة هيلاسلاسي وبدار المحفوظـــات الاثيوبية وافادوا بان ليس لديهم مايمكن ان يعين فى هذا البحث • ولذلك اعتمدت على رسائل ملوك الحبشة وقوادها المتبادلة مع المهدى والخليفة وبقية الامراء والموجودة في القسم الاول من المهدية (١|٣٤) • وبما ان هذه الدراسة تهتم باتجاهات دولة المهدية في السياسة الخارجية فان هذه الرسائل كانـت كافية وقد اعانت كثيرا فى تفهم هذه الاتجاهات •

الفصل الأول

منطقة القضارف ـ القلابات في عهد المهدية

م ١٨٨١ـ١٨٨٥ (١٢٩٨/٩٩ـ١٣٠٢/٣ هـ)

انقسمت السنوات الاربع الاولى من الثورة المهدية الى قسمين ، فتميزت الفترة الاولى منها بنشر الدعوة والدفاع عنها ضد الحملات التي كانت ترسلها الحكومة التركية المصرية • فقد انقضى العامان الاولان والمهدي يجمع حوله الانصار في جبل قدير يقضي على حملات الحكومة الواحدة تلو الاخرى • ثم انتقل المهدي من طور الدفاع الى مرحلة الهجوم ، والذي كان يستهدف به المعاقل الهامة للحكومة في غرب السودان واهمها مدينتا الابيض وبارا • كما كان المهدي يفكر باهتمام لضرورة اشعال نار الثورة في الجزيرة وفي منطقة سواكن لاهميتها الاستراتيجية والاقتصادية • في هذه الفترة ظلت منطقة القضارف ـ القلابات هادئة نسبيا فلم تقم بها احداث هامة ولم تأخذ الثورة المهدية فيها شكلا واضحا كما حدث في السنوات اللاحقة • ولعل هذا راجع لبعدها عن معقل الثورة وعن مراكز الحكومة الهامة •

بعد هزيمة هكس في شيكان (٥ نوفمبر ١٨٨٣/ ٣ محرم ١٣٠١) اخذ اهتمام المهدي يزداد باجزاء السودان المختلفة • وكان هذا الاهتمام جزءا من

خطاه للزحف على الخرطوم بعد أن مهد لذلك بعزلها داخليا وخارجيا . وما أن جاء عام ١٨٨٤ حتى أصبحت الخرطوم جزيرة معزولة وسط خضم من الثورات المتلاحقة .

وكانت خطة المهدي في نشر الدعوة في المناطق المختلفة هي أن يعين عاملا من قبله يكون غالبا من أبناء المنطقة المعنية ويبعثه لاستنفار الأهالي للثورة باسم المهدية . وكان المهدي يهتم دائما بزعماء القبائل وقادة الطرق الصوفية والشخصيات ذات الوزن الاجتماعي والقبلي لأن في انضمامهم إلى المهدية ما يقوي من شأنها ويساعد على انتشارها . ولعل هذا يفسر لنا السر وراء منشوراته العديدة التي كان يبعث بها للسادة المراغنة والعبيد ود بدر وآل أبو سن وغيرهم من الشخصيات السودانية المشهورة .[1]

من تلك المناطق التي التفت إليها المهدي بعد شيكان كانت منطقة القضارف ـــ القلابات .

لم يلق انتشار المهدية في منطقة القضارف ـ القلابات اهتماما كبيرا من

---

(١) منشورات الامام المهدي ، مصورة من النسخة المطبوعة بالحجر ، أربعة أجزاء نشرتها دار الوثائق المركزية ، الخرطوم ، ١٩٦٤ . وفيها جملة كبيرة من رسائل المهدي . ويهمنا في هذا المجال الجزء الثاني وهو المشهور بكتاب الإنذارات

المؤرخين كالذى لقيته المناطق الاخرى التى ارتبط انتشار المهدية فيها بشخصية المهدى او بامرائه الكبار او حكام العهد التركى المشهورين • فاذا اضفنا الى هذا ان الحاميات التركية فى هذه المنطقة لم تكن حاميات كبيرة وهامة ، بل ان اغلبها قد اتخذ لتدعيم الحاميات الاخرى فى الابيض وسنار وكسلا ، لادركنا صعوبة التنقيب فى تاريخ هذه المنطقة والذى ينتشر بين ثنايا الاحداث التاريخية الهامة وفى منشورات المهدى الشحيحه التى كان يبعث بها الى عماله فى المنطقة • ولكن وجود الحبشة كعنصر هام فى تاريخ هذه المنطقة امدنا بمصادر اضافية ستساعدنا فى ان نرسم صوره لانهيار الحكم التركى هناك ، وهذا بلاشك اهم حدث تم فى عهد المهدى فى تلك المنطقة • وقد ارتبط انهيار الحكم التركى وانتشار الثورة المهدية فى منطقة القضارف القلابات بقبيلتى الشكرية والضبانية • وببعض العمال الذين بعثهم المهدى من قبله مثل الحسين عبد الواحد[٢] او القواد الذين تجاوبوا مع المهدية عن بعد واشعلوا نار

---

٢ الحسين عبد الواحد هو اخ الشيخ محمد شريف نور الدايم استاذ المهدى وشيخ الطريقة السمانية فى الفترة الاخيرة من العهد التركى ـ المصرى • والحسين ومحمد شريف كلاهما احفاد الشيخ الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية فى السودان والمولود عام ٧ م ١١٥٥ هـ •

الثورة بمجهودهم الخاص مثل محمد ولد ارباب . وقد استهدفت الثورة المهدية القضاء على المدن الهامة مثل القضارف والقلابات والجيرة ولحقتها بعد ذلك المدن الصغيرة الاخرى مثل دوكه وهبار والتومات وغيرهم .

انهيار الحكم التركى ـ المصرى :

اما عن سقوط القضارف فهناك روايتان ، الرواية الاولى يرويها نعوم شقير الذى يقول ان المهدى قد عين الحسين عبد الواحد نور الدائم عاملا على البلاد الواقعة بين النيل الازرق ونهر عطبرة . كما عين معه ثلاثة من المساعدين هم عبد الله الطريفى الجعلى والسمانى ولد احمد والطاهر محمد ثاناى [٣] . وقد وقع اختيار المهدى على الحسين لانه كان عارفا باحوال تلك الجهة اذ كان مقيما بالقرب من تبارك الله على نهر عطبره . فسار الحسين مع اتباعه حتى وصل القلعة ارانج وهى احدى مراكز قبيلة الشكرية ، فجمع اهلها وزحف بهم على القضارف . وكان بالقضارف محمد ابن الشيخ عوض الكريم ابو سن مامورا عليها ومعه محمد اغا القائد التركى على راس هاقتى جندى وموسى افندى حسن

---

٣ ويكتب هذا الاسم احيانا " تناى "

على راس مدفعين يتبعهم عدد من التجار الاجانب . فارسل لهم الحسين خطابا كان يحمله معه من المهدي [٤] وخطابا لخر من عنده يدعوهم الى اتباع المهدية ويعدهم بحفظ مالهم وسلاحهم . وبما ان الحامية كانت ضعيفة وبعيدة عن مراكز الحكومة الهامة فقد قررت التسليم ، وسلمت فى ٢١ ابريل ١٨٨٤ (٢٤ جماد لخر ١٣٠١) ، وما ان استلم الحسين المدينة حتى قام بجمع مابها من اسلحة وذخائر كما صادر بضائع التجار واودعها جميعا فى بيت المال . واجبر النصارى من التجار على دخول الاسلام وقام بقطع خط التلغراف بين القضارف والقلابات [٥] .

اما الرواية الثانية فقد اوردها سعد رفعت فى تقريره الذي كتبه عن اخلاء القلابات . فقد ذكر ان عبد الله ولد عوض الكريم ابو سن قد توجه الى المهدي بعد واقعة هكس وان المهدي قد عينه اميرا على قبيلة الشكرية [٦] . ثم يذكر ان المهدي قد ارسل الامير

---

٤ المهدي الى عوض الكريم احمد ابوسن واخرين من عائلة ابوسن ، فى ربيع اول ١٣٠١ ، منشورات المهدي ، جزء ٢ ، ص ٩١ .

٥ نعوم شقير ، ص ٨٩٦-٨٩٧

٦ الواقع ان المهدي قد عين عبد الله عوض الكريم ابوسن عاملا على حلة رفاعة وجعله تابعا لعبد الرحمن النجومي . وكان ذلك التعيين فى ٢٥ محرم ١٣٠٢ (٢٥/١٠/١٨٨٤) راجع منشور المهدي الى عبد الله عوض الكريم ابو سن فى ، ابوسليم ، المرشد ، نمره ٤٢٢

عبد المحمود[٨] ولد الشيخ الطيب بخطاب الى محمد عوض الكريم ابو سن وعمه عبد اللـه[٧] يطلب منهما اخذ الجبخانه والاسلحة من العساكر • فقاما بدعوة الناس الى المهدية وسلمت لهما الحامية فنهبوا الاهالى وفرضوا على الاوربيين الذين بالمنطقة اعتناق المهدية •[٩]

نجد ان الروايتين تتفقان على ان حامية القضارف سلمت دون كبير عنـــاء وان تسليمها قد تم بمعاونة القبائل المحلية واهمها قبيلة الشكرية • ولكنهما تختلفان فـــى شخصية القائد الذى تم على يده سقوط المدينة فنجد شقير يتحدث عن الحسين بينمـا يذكر رفعت آل ابو سن فى المقام الاول • من المؤكد ان قبيلة الشكرية بقيـادة زعيمهـا الشيخ عوض الكريم لم تسرع الى الاستجابة لدعوة المهدية • فقد كانت قبيلـة الشكريـــة وزعيمها لهم وضع ممتاز فى التركية • وهى قبيلة غنية زراعيا ولها ثروة حيوانيـــة كبيرة ، وكانت على جانب من الاستقرار • لكل هذه الاسباب نجدها قد عارضـت الدعـوة

---

٧ يقصد عبد الواحد وليس عبد المحمود

٨ لايتحدث رفعت فى تقريره عن عوض الكريم ابو سن ولا يعتبره من ضمن من خاطبهم المهدى بل يعتبره من المؤيدين للحكم التركى ـ المصرى • وايده هولت فـــى هذا الراى P.M. Holt, The Mahdist State in the Sudan,1881-1898 ,(Oxford 1958)

٩ سعد رفعت ،التقرير، ص ٢ ، ص ٤ـ٥

الجديدة ووقف زعماؤها من المهدية موقفا يعد اما متشككا او معاديا . على ان عبد الله احمد ابو سن كان اسرع زعماء الشكرية استجابة للمهدية ولكن هذه الاستجابة قد جاءت بعد سقوط القضارف عندما بدأت كفة المهدية في الترجيح . ولكن رواية سعد رفعت قد وجدت قبولا لدى بعض الكتاب فقد اخذ بها ونجت وهولت[10] اذ اعتبرا ان عبد الله عوض الكريم هو الذى استولى على القضارف . ومن الواضح انهم جميعا خلطوا بين عبد الله عوض الكريم وعمه عبد الله احمد ، فالاول قد عين عاملا على حلة رفاعة ولم يرتبط اسمه بتاريخ هذه المنطقه في المهدية في تلك الفترة المبكرة .

لذلك نجد ان رواية شقير اقرب الى الحقيقة لانها تشبه تماما الطريقة التى كان يسير عليها المهدى في نشر دعوته في البقاع المختلفة . فالمهدى قد بعث بالحسين الى القضارف وحمله رسالة او رسائل الى زعماء واهل المنطقه . فقام الحسين بالاتصال بزعماء الشكريه واهمهم عوض الكريم واخوه عبد الله وقد كان يراسلهم المهدى حتى قبيل سقوط القضارف[11] . واستطاع الحسين بمعاونة آل ابو سن ان يستولى على القضارف .

---

op.cit,

١٠ Wingate,/P. 151; P.M. Holt, The Mahdist State, P. 148

١١ ابو سليم ، المرشد ، نمره ٢٠٧ ، ٢٠٨

وبما ان المهدي كان يفضل ان يتولى زعماء القبائل ادارة مناطقهم فقد عين عبد الله احمد ابو سن عاملا على القضارف ثم دعاه اليه ليقف على حقيقة ولائه ، وطلب من الحسين ان ينوب عنه حتى حين عودته . ومنذ ذلك الوقت والمهدي يشير الى عبد الله على انه عامله على القضارف ، بل نجده بعد شهرين من تلك المقابلة يعينه عاملا على جهات " بحر اتبره "[١٢] . فالحسين هو الذي استولى على القضارف وعبد الله ابو سن اصبح عاملا عليها فيما بعد .

بعد ان استولى الحسين على القضارف سار بانصاره على المراكز المجاورة . فتقدم الى القوميات وكان بها محمود بك عيسى زايد شيخ قبيلة الضبانيه ، الذي سلم استجابة لدعوة المهدي . وبالرغم من استجابة ولد زايد السريعه الا انه لم يكن صدق الايمان بالمهدية وقد تجلى هذا في صراعه مع الخليفه . ثم دعى الحسين عرب الحمران الى المهدية فاستجاب جزء منهم بقيادة الشيخ عمر ود الكردي ، والتجأ الجزء الاخر بقيادة العجيل عوض الحمراني الى الحبشه في جهة غبته حيث اخذ يهاجم دولة

---

١٢ المهدي الى عبد الله احمد ابو سن ، في ٥ ربيع ثاني ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر ١٠ ، ص ٤٤

المهدية هجمات متلاحقة ومتكررة بغرض السلب والنهب • ثم تقدم الحسين الى الصوفي وكان بها بعض الجعليون من سلالة الملك نمر فانضموا اليه • وانتقل بعدها الى دوكة وهي من اهم مراكز الضبانية وكانت بها حامية تركية صغيرة مكونة من عشرين جنديا بقيادة محمود اغا محمد التركي وبها ايضا الشيخ عجيب ولد النمس/وكيل ولد زايد وسلموا جميعهم •[13] لم يبق بعد ذلك من المراكز الهامة الا القلابات والجيرة فالتفت اليهما الانصار•

يرجع اهتمام الانصار بالقلابات الى الفترة الاولى من الثورة المهدية • فقد حدث اول اشتباك مع اعدائهم في مركز زرقة التابع للقلابات حوالى مايو ١٨٨٢ "رجب ١٢٩٩" وذلك عندما حضر شخص يدعى محمد ولد ماجوك[14] ومعه جماعة من البقارة الموجودين بالرهد الى جهة زرقة • فقام بالهجوم عليها واحتلها وقتل من بها من الرجال وغنم مابها من اموال • وعندما وصلت الاخبار الى صالح شنقا عين محمد

---

١٣ نعوم شقير ، ص ٨٩٦–٨١٧

١٤ يكتب نعوم شقير هذا الاسم "ماجوك" ويكتبه سعد رفعت "باجوك" وفي اعتقادي ان "ماجوك" اكثر صحة لانه اقرب الى التعبير بالعربية في قولهم "ماجاوءا اليك" • وبما ان شقير قد كتب بعد رفعت بفترة طويلة فلعله تحقق من هذا الاسم • ويكتب هذا الاسم احيانا "مجوك" •

بك السيد على رأس مائة وخمسين من الخيالة وثلاثمائة من البيادة من التكارير وارسلهم الى زرقة فوجدوا البقارة مقيمين بها ويستعدون للتوجه الى سرف عرديبة وهى من المراكـــز التابعه للقلابات • فنشب بينهم قتال استمر ساعة هزم بعده الانصار وانسحبوا مـــن زرقة [١٥] • ولكن ولد ماجوك عاد ثانية فى اواخر اغسطس " رمضان " بعد ان استعداد قوته بمساعدة مشايخ الحمدة • بل ان احمد ولد الرضى ابن اخ شيخ الحمدة صحـب ولد مجوك فى حملته هذه • فقام ولد مجوك باحتلال سرف عرديبه واخذ يستعــــد للهجوم على القلابات • وكان شيخ سرف عرديبة قد هرب الى القلابات حيث افضى الــى صالح بكل ماحدث • فقام صالح على راس ثلاثة الاف نفر من توابعه ومعه محمد بك السيد واوردى باشبوزق لصد الانصار قبل وصولهم الى القلابات • والتقوا بهم عند خور القنا " سبتمبر/ شوال " حيث دارت بينهما معركة فقد فيها الانصار عددا كبيرا من القتلى من بينهم الشيخ ولد الرضى واستطاع ولد ماجوك ان ينجو بنفسه [١٦] • ويبدو ان قـــوة مركز القلابات جعلته لايكرر المحاولة ولم يظهر له اى نشاط بعد ذلك • ويحدد شقـير

---

١٥ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٣

١٦ المصدر السابق

تاريخ هذه المعركه بيوم ٢١ صفر ١٣٠٢ هجريه ويضع تاريخها المقابل بالميلادى يوم

١٠ ديسمبر ١٨٨٤ [١٧]، بينما التاريخ الميلادى الصحيح هو يوم ٢٢ ديسمبر ١٨٨٣ .

وحتى اذا وضعنا هذا الخطأ جانبا سنجد ان كلا من التاريخين يضعان هذه الاحداث

فى وقت متأخر من الثورة المهدية عندما قويت واشتد عودها ، بينما لاتعدو هذه

المحاولات عن مناوشات اوليه قام بها مجموعة من الاعراب بدافع من الحماس قبل ان

تصلهم دعوة المهدية فى شكلها الرسمى . وعليه فان تاريخ معركة خور القنا هو سبتمبر

١٨٨٢ " ذو القعده ١٢٩٩هـ " كما حدده سعد رفعت .

وتبدأ المرحلة الثانية من حروبات الانصار فى منطقة القلابات بعد سقوط القضارف

وتحول قوة الانصار نحوها . وكان المهدى قد حمل الحسين خطابا الى صالح شنقسا

يطلب منه اتباع المهدية والقيام من اجل نصرتها ويصفح عنه لما سلف منه من اعمال عدائية ،

ولعل المهدى كان يقصد حروباته مع الانصار فى زرقة وخور القنا . فارسل الحسين

الخطاب الى صالح مع احد التجار بالقضارف ويدعى دفع الله الكنز [١٨] . فرد صالح

---

١٧ لا نعوم شقير ، ص ٨٩٨

١٨ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٤

شنقا بخطاب الى الحسين بتاريخ ٢٧ ابريل ١٨٨٤ (١ رجب ١٣٠١) قال فيـــه

" .. انى انا واهلى التكارنه مسلمون للمهدى ولكن العساكر الذين بيدهم الحامية غير مسلمين فامهلونى ريثما ادبر الحيله للخلاص منهم .. " فاتصل الحسين بالمهدى يستشيره فى طلب المهله التى حددها صالح بثلاثة اشهر وذكر الحسين للمهدى ان موسم الامطار وشيك البدايه فقبل المهدى[١٩] . اما صالح شنقا فانه لم يقصد من تلك المهلــة الا ليجد الوقت الكافى ليستعد لصد هجوم الانصار المرتقب . ولذلك ما ان عاد رســول الحسين حتى قام بالاتصال بالضباط فى القلابات واتفق معهم على الاستعداد لتحصـين الحامية للمقاومة . كما قام بالاتصال بغردون فى الخرطوم وباحمد عفت فى كسلا يطلب منهما نجدته . ولكنهما لم يكونا فى وضع يمكنهما من مساعدته اذ كانا ايضا يستعدان لمواجهة هجوم مرتقب[٢٠] . ليس بمستغرب ان يقف صالح شنقا موقفا معاديا للمهدية وان يستمر على موقفه هذا حتى النهاية ، فقد كان له وضع ممتاز فى التركية وكان يستفيد من الحركة التجارية التى كانت بين البلدين ، وكانت له علاقة ودية مع الحبشه ويستطيع

---

١٩ نعوم شقير ، ص ٨٩٨

٢٠ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٥

الالتجاء اليها في وقت الشدة •

اما الحسين فقد بقي في دوكة حتى انقطعت الامطار فكتب الى صالح يطلب منه ان يسلم • ولكن صالح عاد ثانية الى المخادعة وطلب مهلة ثلاثة اشهر اخرى ، واصحب طلبه بهدية الى الحسين عبارة عن كمية من البن والعسل و خمسمائة ريال • عند ذلك ادرك الحسين ان صالح يحاول فقط كسب الوقت فصمم على حربه • وقبل ان يبدأ الحسين في العمليات الحربية مهد لها بخطاب ارسله الى الشايقية المقيمين بالقلابات وصفهم فيه بالاخلاص والصدق وطلب منهم القيام باسم المهدية [٢١] • وكان الحسين يرمي من هذا الخطاب اضعاف الموقف الداخلي للحامية وذلك ببث الفرقة بين صفوفها • ولكن الشايقية لم يتجاوبوا معه كما كان يتوقع • فانتقل بعد ذلك الى العمل العسكري وقسم جيشه الى قسمين ذهب بقسم لحصار الجبرة وارسل القسم الاخر الى القلابات •

استمر صالح شنقا من جانبه في مخاطبة الخرطوم وكسلا املا في الحصول على نجدة عسكرية فقد كان يجهل الظروف القاسية التي كانت تمر بها الحكومة التركية في

---

٢١ نعوم شقير ، ص ٨٩٨

هذه الفترة • فكتب الى غردون فى ٢٢ سبتمبر ١٨٨٤ (الحجة ١٣٠١) قائـــــلا

" •••• اننا محاطون بالاعداء من كل الجهات : الشكرية والضبانية والجعليون مـــن

جهة دوكة ، والحمدة من جهة الرهد • ولكننا لانزال ثابتين على الحصار ولازلنـــا

نواصل مركز كسلا بالمكاتبات " [٢٢] •

بدأ اول هجوم للانصار على سرف سعيد ومنها تقدموا لحصار القلابات ••

فبعث صالح باخيه عثمان على راس ستمائة من اهله التكارير وارسل معه محمد بـك

السيد مع عدد من الفرسان • فالتقوا بالانصار عند تل بين سرف سعيد ومريود يـــوم

٧ نوفمبر أ ١٨ محرم ١٣٠١) حيث دارت بينهم معركة انتهت بهزيمة الانصـــــار [٢٣] •

ورجعت القوه الى القلابات وجمع الانصار شتاتهم ليشددوا حصارهم على الحامية •

فى هذا الاثناء كان قد تم اتفاق بين الحكومة المصرية والملك يوحنا فى يوليـو

١٨٨٤ (رمضان ١٣٠١) بشأن سحب الحاميات المصرية على الحدود عن طريق الحبشة •

---

٢٢ نعوم شقير ، ص ٨٩٨

٢٣ المصدر السابق ، ص ٨٩٩

وكانت الحكومة المصرية قد ارسلت الادمرال هيوت [٢٤] وماسون بك للتفاوض مع يوحنا .

وقد لجأت الحكومة المصرية الى هذه الخطوة بعد ان قطع عثمان دقنة طريق سواكن ـ

بربر وبعد أن احتل محمد الخير بربر واغلق طريق الشمال فلم يعد هناك من طريـــق

لانقاذ حاميات الحدود الشرقية الا طريق الحبشة . وانتهت المفاوضات بموافقة يوحنـــا

على تسهيل مهمة سحب الحاميات عن طريق بلاده على ان يعاد له الجزء من منطقـــة

ارتريا الحالية والذى كان تحت سيطرة الحكومة المصرية . فوافقت الحكومة المصرية . وقـام

الكولونيل جيرمشايد ، حكمدار شرق السودان وسواحل البحر الاحمر بتعيين البكباشـــى

سعد رفعت للقيام بتنفيذ الانسحاب . وعين يوحنا قائده دهنشيم ومعه خمسة وعشرين

جنديا لمعاونته [٢٥] . وخرج سعد رفعت من مصوع فى ٢ اغسطس ١٨٨٤ (٩ شـــوال

١٣٠١) قاصدا القلابات . فمر على اسمره (مقر الراس الولد) ومنها ذهب لمقابلة يوحنـا

فى عدوة ليطلب منه تعيين العدد الكافى من الضباط والجنود لمساعدته فى مهمتـــه .

فاستجاب يوحنا لذلك الطلب وعين الراس جره مدهن ليقوم مع دهنشوم بتقديم تلـــك

---

٢٤ الادمرال هيوت (Hewett) هو قائد الاسطول البريطانى الذى ارسل الى سواكن لتعزيز الموقف العسكرى فيها بعد انتصارات عثمان دقنة على تلنتين بيكر .

٢٥ Holt, The Mahdist State, P. 148.

المساعدة • وغادر سعد رفعت عدوة وهو مطمئن على موقفه وسار يتنقل فى المـــدن الحبشية التى تقع على طريقه فمر باكسوم ومنطقة تكازي – وهي الجزء الحبشي من النيل الازرق – حتى وصل الى دمبيا (مقر الراس تسما) ، ثم قندار (مقر الراس كفلـو) ومنها الى وهنى (مقر الراس اخنشوم جبر) حتى انتهى الى شلقا (مقر الراس تواردى امهاى) ، فوصل ضواحى القلابات فى نوفمبر • ويذكر شقير ان تاريخ وصول الحملة هـو ١٢ ديسمبر وان خروجها من مصوع كان فى ١٨ اغسطس وهذا يعنى انها مكثت فـــى الطريق ٦ اشهر وهو امر بعيد الاحتمال • فاذا تذكرنا ان صالح شنقا كان قد كتب الى حامية الجيرة فى نوفمبر يخبرها بقدوم سعد رفعت لادركنا ان التاريخ الذى ذكـــره شقيرا لم يكن دقيقا • وقد ترتب على هذا الخطأ ان اعطى شقير بقية التواريخ الاخرى المتعلقة بهذه الحملة بطريقة غير دقيقة [٢٦] •

وبعد ثلاثة ايام من الراحة تقدم سعد رفعت بجنوده وهاجم الانصار الذيـــن كانوا يحاصرون القلابات • واستمرت المعركة لثلاثة ايام متتالية تمكنت بعدها حاميـة القلابات من الخروج من استحكاماتها وانضمت الى سعد رفعت • اما الانصار فقد تراجعوا

---

٢٦ نعوم شقير ، ص ٩٠٠–٩٠١

بعد هزيمتهم حتى نهر الرهد • ثم دخلت الحملة المصرية الى القلابات وقامت بتسليم الاسلحة والذخيرة الى الحبشة حسب الاتفاق • وفى اواخر عام ١٨٨٤ (مطلع عـام ١٣٠٢) خرجت الحملة من القلابات ، وفى ٥ مارس (١٨ جماد اول ١٣٠٢) تحرك محمد ولد ارباب من سرف سعيد واحتل القلابات [٢٧] •

ثم قام صالح شنقا بتزويد الحملة بكل مستلزمات الرحلة لعودتها • وســـارت الحملة الى دمبيا حيث مكثت اثنى عشر يوما • وذهب سعد رفعت لمقابلة يوحنـا فى دبر تابور ليسهل له مهمة عودته • وكان رفعت قد واجهته مصاعب شتى فـى طريق عودته • فتدخل يوحنا وذللها • وبعد اربعة اشهر عادت الحمله الى مصـر حيث وصلتها فى مايو ١٨٨٥ (شعبان ١٣٠٢) [٢٨] • اما صالح شنقا فقد عـاد مـع الحملة الى الحبشة واصبح من ضمن رعية يوحنا واصبح احد رؤساء دولته على الحـدود الغربية فى دبر شينه على مسافة خمسة اميال من القلابات • ومن تلك القاعدة اخذ صالـح

---

٢٧ محمد ولد ارباب من تكارنة القلابات وكان قد سمع بالمهدى فلحق به • ثم بعثه المهدى اميرا على اهله فى القلابات • وذكر سلاطين فى كتابه (Fire & Sword P. 405) ان ولد ارباب هو ابن عم صالح شنقا •

٢٨ سعد رفعت ، التقرير ، ص ١٤ ومابعدها •

شنقا يهاجم دولة المهدية من وقت لاخر [٢٩] وبذا اصبحت دولة المهدية تواجه فــي جهة القلابات دولة الحبشة الذى ادى دخولها الى تصعيد الصراع فى تلك المنطقــة ، وتواجه كذلك القبائل المحلية التى انضمت الى الحبشة واهمها التكارير بقيادة صالــح شنقا .

مثلما واجه الانصار صعوبات فى القلابات متمثلة فى قوة تحصين الحامية وتدخل الحبش واجهوا كذلك صعوبات مماثلة فى الجيرة . وقد بدأ حصار الجيرة فى مايو ١٨٨٤ (رجب ١٣٠١) بواسطة محمود عيسى زايد [٣٠] . فارسل ولد زايد خطابا الى الحامية يطلب فيه تسليمها له واعتناق المهدية . وواضح من خطابه ان مقاومة الحامية لاطائل تحتها لانه يقف على راس مائة الف مقاتل بخلاف افراد القبائل المحلية الاخرى [٣١] . ولكن الحامية رفضت التسليم معتمدة على تحصين قلعة الجيرة ومؤملة فى وصول امدادات لها ولذلــك

---

٢٩ الكردفانى ، الطراز المنقوش ، ص ٤٥ـ٤٦

٣٠ كانت بين محمود عيسى زايد والحبش حروبات منذ العهد التركى ـ المصرى ولعلها كانت مجرد غارات قبيلة على الحدود . وقد خلد ولد مرين ، شاعر ولد زايد ، بعض تلك الحروبات فى شعره . فيشير فى احدى قصائده قائلا :

محمود ياصد الهجيد روكــه   صقر المتر القرع الحبش من دوكه

٣١ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٦ـ٧

لجأت الى التحايل لكسب الوقت فطلبت التفاوض مع ولد زايد وارسلوا له اليوزباشــي موسى افندي عفت ، وهى نفس الخطة التى كان اتبعتها حامية القلابات من قبل • فاوضح عفت لولد زايد ان التسليم امرصعب لان العساكر لم يفهموا دعوة المهدية وان ايمانهم بها لن يكون عن طريق القوة بل التريث والاقناع وهذان يحتاجان الى وقت • فوافق ولد زايد على اعطائهم مهلة ثلاثة اشهر ثم يسلموا بعدها • فاغتنمت الحامية هـــذه الفرصة واخذت تعد نفسها للدفاع ضد الهجوم المتوقع • فقاموا بتخفيض خط دفاعهـــم وحصروا انفسهم فى نطاق ضيق يتناسب وعددهم المحدود • وبعد انقضاء الاشهـــــر المحدودة رفضت الحامية ان تسلم فهاجمها الانصار • ومن ذلك الوقت وحتى خروج الحامية فيما بعد استمر الانصار يهاجمون الجيرة دون انقطاع ودون ان يتمكنوا من اخـــتراق تحصيناتها المنيعة • ففي اكتوبر ١٨٨٤ (محرم ١٣٠٢) قام الامير احمد ولد ضــــاوى بهجوم فاشل على الجيرة [٣٢] • وفى نوفمبر " محرم " حضر عبد الله احمد ابو سن ليقوم بهجوم فاشل اخر وفى نفس الشهر تبعه عوض الكريم زايد بهجوم فاشل ثالث ، وكـان

---

٣٢ كان المهدي قد ارسل احمد ضاوى الجبرتي اميرا على " جـبهة الحبشة " ولكننا لانجد تحديدا لتلك الجهة ولم يظهر نشاطه الحربي حتى ظهر مع الانصـار فى حصار الجيرة •

الانصار قد فقدوا عددا كبيرا من اتباعهم اثناء تلك الهجمات المتكررة بينما لم تتعد خسائر الحامية عشرة قتلى وعدد قليل من الجرحى [٣٣] • وفى اواخر نوفمبر (صفر) حضر الحسين بجزء من جيشه وقرر ان يفرض حصارا على الجيرة حتى تستسلم • ويبدو ان الانصار قد قرروا حصار الجيرة بعد فشل هجماتهم عليها مقتفين اثر المهدى عندما قرر حصار الابيض بعد فشل هجومه الاول عليها •

اما حامية الجيرة فقد كانت تقوم من جانبها بالاتصال بالحكومة التركية موضحة حالها ومستعجلة نجدتها • فقد ارسل البكباشى فضل الله قائد الحامية خطابا الى حاكم مصوع بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٨٨٤ (٤ صفر ١٣٠٢) يصف الحصار الذى تواجهه الجيرة فيقول " ••• جاءنا الشقى الحسين عبد الواحد بثمانيه الاف رجل ودعانا الى التسليم فرددناه بالحسنه وقد سبق سألتكم المدد وكنت ارجو ان يصلنى فى شهر فخاب رجائى والان ارسل المهدى كتابا يدعونى فيه الى التسليم لاحد امرائه القريبين وارسل عدة تحارير بهذا المعنى وانا لا ازال اخادعهم واطاولهم حتى يأتينى المدد • وفى ٧ نوفمبر عاد الحسين عبد الواحد ومعه الطاهر تاتاى وعبد الله الطريفى والسمانى احمد ومحمود ود زايد

---

٣٣ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٦ـ٧

واعادوا طلب التسليم منى فسالتهم فرصة شهر املا فى وصول المدد . وارسلت رسلا الى معسكرهم لاتجسس احوالهم ... وقدنا النيه على الثبات الى ان تاتينا النجدة، وهم الان يهاجموننا كل يوم وقد انقسموا فريقين فريق لقتالنا وفريق لحصرنا واصبح مركزنا من احرج المراكز . نعم ان الطابيه حصينه ولكن العساكر قليلون كما تعلمون لذلك ارجو ان تسرعوا بارسال المدد ولو اورطتين تاتيان عن طريق الحمران"[٣٤] . يوضح هذا الخطاب تفاصيل الحصار وحالة الحامية وتدهورها بعد ان انهكت قواها فى صد هجمات الانصار المتلاحقة وبعد ان اشتد عليها الحصار حتى اكل الجنود القش والجلود . ولكن الحامية ظلت تتعلق بالامل خصوصا وان صالح شنقا كان يكاتبهم ويعدهم بقرب وصول النجدة كما استمر فى الاستنجاد بغردون[٣٥] .

وكما تقدم فان خلافا قد نشب بين الحسين وبقية القواد فرفع الامر الى المهدى الذى خطأ الحسين وبحث فى طلبه وعين بدلا عنه محمد ولد ارباب فجاء ولد ارباب اميرا على القلابات فى ٢٥ ديسمبر ١٨٨٤ (٧ ربيع اول ١٣٠٢) وبقى عبد الله الطريفى على رأس الجيش فى حصار للجيرة[٣٦] . واخذ المهدى يكاتب انصاره ويناشدهم بالصمود

---

٣٤ نعوم شقير ، ص ٩٠١-٩٠٢

٣٥ Holt, The Mahdist State, P.148

٣٦ نعوم شقير ، ص ٩٠٠

ويستحثهم على تشديد الحصار فكتب الى ولد زايد خطابا بتاريخ ١٧ فبراير ١٨٨٥ (٢ جماد لخر ١٣٠٢) يقول فيه " ... ليكن التشمير في حصر اهالي الجيرة وقطع المواد عنهم بالكليه حتى يهلكهم الله تعالى فيصيبهم بعذاب من عنده ... واوصيكم بتقوى الله ما استطعتم والتشمير فيما انتم بصدده وعدم الالتفات الى ماسوى الله "[٣٧] وكتب خطابا اخر الى عبد الله الطريفي والطاهر تاتاي وعبد الله احمد ابو سن بتاريخ ٢٧ ابريل (١٢ رجب) قائلا " ... ومادام انكم الان محاصرين لاعداء الله بالجيرة فدوموا على محاصرتهم والتضييق عليهم حتى يهلكهم الله على يدكم ويسلموا .. "[٣٨] وواضح من هذه الخطابات ان المهدي كان يحاول ان يعكس لانصاره تجربته في حصار الابيض التي ارغمها على التسليم بعد تجويعها • ولكن الابيض في وسط السودان معزوله عن بقية المراكز اما الجيرة ومثلها القلابات فهما على الحدود الحبشية والمهدي لم يعط اعتبارا كافيا لوجود الحبشة على الحدود والتي هي العنصر الحاسم في انقاذ تلك الحاميات • فاستمر الانصار يشددون حصارهم على الجيرة والحامية تقاوم معتمدة على وضعها

---

٣٧ المهدي الى محمود عيسى زايد ، ٢ جماد لخر ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر ١ ، ص ١٢

٣٨ المصدر السابق ، ص ١٥

الحصين • ويقول سعد رفعت ان حامية الجيرة كانت تعتمد على ولد زايد الذى كـان يمدها سرا بأخبار الحصار واحوال الانصار [٣٩] • وليس هذا بامر مستبعد لان ولد زايد لم يكن منذ البدايه عميق الايمان بالمهدية ولعله ضاق بطول الحصار وتعدد الهجمات وماصاحبها من تضحيات فراى ان امر المهدية يسير الى زوال فآثر ان يعيد ولاءه للحكومة التركية • وسنرى كيف خرج ولد زايد على المهدية وناصبها العداء •

فى تلك الفترة كان قد تم الاتفاق على ارسال سعد رفعت فكتب حاكم مصوع الى فضل الله قائد حامية الجيرة يبشره بالخبر : " ••• ان الحبش اتون لانقاذكم قريبا فاخلوا لهم الطابيه وسلموهم الاسلحه والذخائر وهم اتون بكم الى مصوع ••• " فقام فضل الله بارسال الملازم ابراهيم حزين الى النقس يوحنا فى دبر تابور يستعجله الحضور [٤٠] • وكان صالح شنقا قد ارسل ايضا رسالة الى حامية الجيرة يبلغ جنودها بقدوم سعد رفعت على راس قوة من الحبش لانقاذهم • وفى نهاية نوفمبر تمكن اثنان من الجنود الحبش من دخول الجيرة وسلما قائدها رسالة من يوحنا يبشر الحامية بقرب قدوم الحملة لفك حصارهم وانقاذهم [٤١] •

---

٣٩ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٧

٤٠ نعوم شقير ، ص ٩٠٢

٤١ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٧

فى ذلك الوقت لم يكن المهدى فى موقف يمكنه من تقديم اى مساعدة الى انصاره فى الجيرة والقلابات فقد كانت تلك الفترة هى الاشهر الاخيرة من حصار الخرطوم اذ كان المهدى قد حضر بنفسه فى اكتوبر (محرم/صفر ١٣٠٢) واقام معسكره فى ابى سعد ،وكان يحتاج لكل قوته وعتاده لتحقيق النصر الكبير بفتح الخرطوم التى تم احتلالها فى يناير ١٨٨٥ (ربيع ثانى ١٣٠٢) • وبعد فتح الخرطوم انشغل الانصار بانتصارهم وبوضع اسس الدولة الجديدة ثم بوفاة المهدى المبكرة فى ٢٢ يونيه ١٨٨٥ (٩ رمضان ١٣٠٢) وبالخطر الاكبر من الشمال •

فى تلك الفترة المحرجة بالنسبة للسلطة المركزية فى امدرمان وهى عاجزة عن تقديم اى مساعدة تم سحب حامية الجيرة عن طريق الحبش الذين ارسلوا قوة قوامها خمسون الفا وعلى راسها عدد من القواد هم وجاج تسما وراس حقوص تكازى وراس اكيم قبروحاكم دمبيا • ووصلت الحملة الى نواحى الجيرة يوم ٢٩ يونيه (١٦ رمضان) وكان وقتها امراء الانصار فى خلاف فيما بينهم ، فلما شاهدوا العدد الضخم من الجيش تفرق اغلبهم من امامه ودارت المعركة مع من ثبت من الانصار فانتهت بهزيمتهم ودخول الحبش الى الجيرة يوم ٣ يوليو (٢١ رمضان) [٤٢] • واستلم الجيش كل مابالحامية من اسلحه وذخيره وكانت

---

٤٢ المصدر السابق

عباره عن ثلاثمائه بندقيه رامنتون وستمائه بندقيه بالكبسول وثلاثة مدافع صاروخ • فــي ٧ يوليو (٢٤ رمضان) خرجت حامية الجيرة الى غبته حيث مكثت بها حوالى خمســة اشهر نسبة لهطول الامطار ومنها واصلت سيرها الى مصوع فالقاهرة [٤٣] • وبعد انسحاب الحامية دخل الانصار واحتلوا نقطة الجيرة • وقد سجل قواد الانصار هذا الحدث فى خطاب بعثوه الى الخليفه ـ اذ كان المهدى قد توفى • وذكروا للخليفه انهم صمدوا امـام الجيش وان الحبش لم يتمكنوا من دخول المدينة الا من جهة بحر سيتيت • وقد رد عليهم الخليفة بخطاب قال فيه " ... ان خطابكم المشتمل على ايضاح مقصود ماصـار من امر نقطة الجيرة وعلى وقايعكم مع اعداء الله الحبش وقتلكم لهم مرارا وتوليتهم الادبار واستلامهم لنقطة الجيرة واخذهم لها بجهة بحر سيتيت وغير ذلك مما بالجواب واقتضـاء علو همتكم وتشميركم فى الله وتشتيتكم لجموع اعداء الله الحبش بتلك النقطة " [٤٤] • مــن الواضح ان قادة الانصار لم يعطوا وصفا صادقا لما حدث ولكن الخليفه كتب رده هذا تحت تاثير النتيجة النهائية وهى احتلال نقطة الجيرة •

لم يقتصر الصراع بين الانصار والحبش على القلابات والجيرة فحسب ، بل امتد الى

---

٤٣ نعوم شقير ، ص ٩٠٢

٤٤ الخليفة الى قواد الانصار بالجيرة ، صادر ٢ ، ص ٢١

جبهة اخرى على الحدود مثل قدبى وتبارك الله حيث اشعل الانصار ثورة اخرى بقيادة النور ولد فقرا • وولد فقرا هذا من الجبرته وهم مسلمو الحبشه وكان فى القضارف عند اندلاع الثورة المهدية فهاجر الى المهدي فى كردفان حيث بايعه اميرا وبعث به لرفع راية المهدية وسط اهله • فعاد النور الى القضارف وجمع حوله عددا من الضبانية ونزل بهم على قدبى وهى قرية على الحدود الحبشية يسكنها تكارير وحبش فاستنجد اهلها بصالح شنقا الذى اتصل بدوره بدهنشوم الذى كان قد وصل القلابات مع سعد رفعت • وطلب صالح من دهنشوم معاونته لصد هجوم الانصار على قدبى لان جزءا منها تابع للحبشة • فتجمع لدى صالح خمسة واربعون الف مقاتل سار بهم الى قدبى وهاجم بهم الانصار يوم ٢٦ نوفمبر ١٨٨٤ (٧ صفر ١٣٠٢) ، وهزمهم وفقد الانصار فـــى المعركة حوالى سبعمائة قتيلا وجرح ولد فقرا نفسه • فاستنجد بالانصار المحاصرين للجيره وصلته نجدتهم بعد ثلاثة ايام • فقام باعادة الهجوم على قدبى ولكنه انهزم للمـــرة الثانية فتراجع عن قدبى وانضم الى الحسين فى حصار الجيرة [٤٥] •

يبدو ان النور ولد فقرا لم يجد تعاونا من امراء الانصار فى الجيرة فكتب يشكوهم

---

٤٥ سعد رفعت، التقرير ، ص ٥-٦ ، نعوم شقير ، ص ٨٩٩

الى المهدي • خصوصا وهو من القلائل الذين ثبتوا حول الجيرة عند حضور الحبش اليها • وقام ولد فترا بمخاطبة اهله فى الحبشة وفعلا انضم اليه عدد منهم • ثم انفصل عن بقية الامراء وسار باهله الى تبارك الله حيث اخذ فى شن الغارات على الحبشة[٤٦] •

ادارة منطقة القضارف ــ القلابات فى عهد المهدي :

باحتلال القلابات والجيرة اصبحت منطقة القضارف ــ القلابات خاضعة للمهدية ، فكيف ادار الانصار هذه المنطقة فى عهد المهدي ؟ لم يعش المهدي طويلا بعد فتح الخرطوم ولكنه استطاع بالرغم من قصر مدته فى امدرمان ، ان يحدد الخطوط العريضة لدولة المهدية ونظام الحكم فيها[٤٧] • فقسم السودان الى اقاليم وعين على كل اقليم اميرا واحيانا يسمى عاملا • اما الامير فهو القائد على المنطقة التى بها جيوش والعامل على المناطق الاخرى • وكانت القضارف ــ القلابات احدى هذه الاقاليم او العمالات • واصبح محمد ولد ارباب عامل المهدية عليها • وقد حدد المهدي مسئولية ولد ارباب بوضوح • وكان اختيار ولد ارباب مبنيا على معرفته بالجهة ولوجــــود اهلـــه

---

٤٦ مهدية ، ٢/٣٠/١/٧٩

٤٧ مكى شبيكه ، السودان عبر القرون ،(بيروت ١٩٦٥) ص ٣٤١

التكارير هناك [٤٨] . كما عين المهدى عمالا على كل مركز من المراكز الهامه وحرص ان يكون عامل كل جهة من نفس المنطقة او من زعماء القبائل والبيوت الحاكمة فيهـا . فعين عبد الله احمد ابو سن عاملا على القضارف [٤٩] ، ومحمود عيسى زايد على الضبانية والنور ولد نفرا على تبارك الله وبشير طه على الجيرة . وحرص المهدى على تنبيه عماله بالتعاون والتشاور فيما بينهم [٥٠] . كما عين المهدى الحسين عبد الواحد وعبد الله الطريفى والطاهر تاتاى والسمانى احمد امناء ، وجعل الحسين مقدما عليهم وحدد مهمة هؤلاء فى منشور بعث به اليهم بتاريخ ٢٢ يوليو ٨٤ (٢٦ شوال ١٣٠١) وحصر مهامهم فى النظر فى احوال الناس واجراء الاحكام بينهم على ان يترك التنفيذ لرؤساء الجهات [٥١] . وقد جرى المهدى فى هذا التعيين على غرار الامناء الذيـن كونهم فى امدرمان من عقلاء الناس واوكل اليهم مهمة النظر فى الخلافات التى تنشأ بين كبار الانصار واصدار احكام بصددها . ويبدو ان مهمة هؤلاء الامناء كانت مهمـة

---

٤٨ ابو سليم ، المرشد ، نمره ٦٥٤

٤٩ المصدر السابق ، نمره ٤٣٢

٥٠ مهدية ، غلم ، ١/١/١٠٠ ، ص ١٤

٥١ ابو سليم ، المرشد ، نمره ٣٦٤

استشارية غير محددة المعالم مما ادى الى صراع بين الامناء انفسهم وبينهم وبين بقية العمال .

وكان صراع الامراء والعمال فيما بينهم من القضايا التي شغلت دولة المهدية من حد الى حد . وقد بدأت تلك الخلافات حول قضايا شخصية مثل تقسيم الغنائم اوتضارب اختصاصات العمال ولكنها تطورت في السنوات اللاحقة الى صراع كبير بين اولاد البلد واولاد العرب فشغلت الدولة الفتية ، وفت من عضدها . ولعلنا نذكر الخلاف الذى نشب بين الطريفي والحسين والذى استمر لفترة من الزمن حاول خلالها المهدى ان يسوى الامر بالحسنى فلم يوفق . ويبدو ان الخلاف بينهما كان حول تفسير مشكلة من المشاكل واجتهد كل منهما في تفسيرها بطريقة مختلفة من الاخر[٥٢] . ثم تطور الامر الى صراع حاد بينهما حتى انقسم الامناء الى فريقين : الحسين ومعه السماني من جانب والطريفي وتاتاى في الجانب الاخر ولخيرا اضطر المهدى لحسم الخلاف بعزل الحسين وجماعته وابقاء الطريفي[٥٣] . ولعلنا نذكر ايضا الشكوى التي تقدم بها

---

٥٢ المهدى الى الطاهر تاتاى وعبد الله الطريفي ، ٧ ربيع أول ١٣٠٢ ، منشورات صادر رقم ١ ، ص ١٣ .

٥٣ المهدى الى محمد ارباب ، ٢ رمضان ١٣٠٢ ، منشورات ، صادر رقم ٢ ، ص ١٣

التور ولد نفرا ضد القواد الذين رفضوا التعاون معه مما اضطر ولد نفرا اخيرا الى تـرك القلابات والاقامة فى تبارك الله • وفى آخر عهد المهدى نشب صراع آخر بين ولـد ارباب وعبد الله الطريفى • فرفع ولد ارباب الامر الى المهدى وطالب بنقل الطريفى وتأكيد امارته على المنطقة • فرد عليه المهدى منتقدا مسلكه وذكر له ان المسلمين يجب ان يتعاونوا ويكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضا • كما نصحه بان يستفيد من وجود الطريفى وبقية الامراء لانهم ارسلوا اليه بغرض مساعدته وتقديم العون له • وختم المهدى خطابه بتأكيد امارة ولد ارباب على المنطقة[٥٤] •

اهتم المهدى كذلك بموضوع الزكاة والغنيمة لانهما يكونان الدخل الرئيسي للدولة التي ينوى اقامتها ويكونان المحور الذى ارتكزت عليه الادارة فى تلك الدولة وحـرص المهدى على تطبيق الشريعة الاسلامية فى هذا الصدد • لذلك نجده يأمر بجمع الزكاة حسب قوانين الشريعة الاسلامية ووضعها فى بيت المال كما كتب منشورا الى محمد خليل عامله على الحمدة[٥٥] ، حدد فيه الزكاة الواجبة على المواشي والحبوب والذهب والفضـة ،

---

٥٤ المصدر السابق

٥٥ تنقسم قبيلة رفاعة الى قسمين : قسم جنوبى وهم رعاة ، وقسم شمالى مستقرون • وينقسم الجزء الجنوبى الى رفاعة الشرق او ناس ابو جن والحمدة • ويقضى هؤلاء الرعاة معظم وقتهم فى زمن الخريف فى البطانة •

كما طلب من عامله هذا ان يتصل ببقية العمال في الجيرة وغيرها من المراكز لتعميم هذه الاراء [٥٦] • وعين المهدي ابراهيم عدلان مندوبا على بيت المال من ام درمان وارسله الى عماله في منطقة القضارف ـ القلابات بغرض "خدمة الزكوات" وارسالها الى العاصمة وطلب من عماله معاونة ذلك المندوب والانقياد لاوامره [٥٧] •

كذلك انشغل المهدي بموضوع الغنيمة وطريقة جمعها وصرفها • فقد كتب خطابا الى ولد زايد لخبره فيه بان تترك الغنيمة للمجاهدين الذين لاحرفة لهم الا الجهاد وان يؤخذ الخمس من الذين لهم حرفة يعودون اليها بعد انتهاء الجهاد وان يصرف للمجاهدين المنقطعين للجهاد من بيت المال [٥٨] • بهذا يكون المهدي قد وضع الاساس لتكوين جيش نظامي يعتمد على الدوله في معاشه ويبقى دائما على اهبة القيام للجهاد • وقد تطور هذا التنظيم بشكل اكبر في عهد الخليفة •

ولكن مشكلة الغنائم لم تكن بتلك السهولة فهي من القضايا التي شغلت دولة

---

٥٦ مهدية ، فلم ، ١/١/١٠٠ ، ص ١٤

٥٧ المهدي الى محمود عيسى زايد ، ٢ جماد لخر ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر رقم ١ ص ١٢

٥٨ المصدر السابق

المهدية وبرزت الى سطح الحياة فيها منذ الاشهر الاولى • فمنذ ايام المهدى الاولى في قدير وهو يحذر اصحابه من كثرة الاهتمام بالغنيمة لانها عرض زايل ومتاع الدنيا الفانية • واستمر المهدى يرسل تحذيراته هذه باستمرار حتى وفاته • ولعله قد راعه تكالب انصاره على الغنائم واهتمامهم الشديد بها وهو الذى بنى دعوته على اساس روحى بحت وانطلق بها من واقع الصوفية والزهد • حقا لقد جمعت الثورة المهدية غنائم طائلة من انتصاراتها العديدة كانت مصدر اغراء للافراد بل ان بعض من انضم الى المهدى لم يكن " يجذب من نوره الساطع " او لاقتناع يقيني بدعوته بقدر ماكان جريا وراء الاسلاب التى عادة ماتاتى بها الحروبات ، وجريا وراء الفرص المعيشية الجديدة التى قد يخلقها العهد الجديد • وكان المهدى يرى فى نمو هذا التيار الدنيوى البحت مايهدد قلب الدعوة ويصرفها عن تحقيق اهدافها ومراميها التى خطها لها • ولذلك نجده مافتئ ينهى عن عرض الدنيا الزائل وقيمتها التى لاتساوى " جناح بعوضه " فكتب الى ولد زايد ، كما كتب الى عماله فى الاقاليم المختلفة ، خطابات فى هذا الصدد • كما امر المهدى بالتشديد على الانصار الذين يجرون وراء الغنيمة وطلب ضبطهم وزجرهم واخذ غنيمتهم واحالتها الى بيت المال [٥٩] • وهكذا

---

٥٩ المصدر السابق

نجد ان مشكلة الغنائم قد برزت الى سطح الحياة فى الدولة المهدية وهى لم يمض

على تثبيت اقدامها سوى بضع اشهر .

علاقة المهدى بالحبشة :

مثلما سارت السياسة الداخلية لدولة المهدية في منطقة القضارف ـ القلابات

وفق الخطوط العامة التي رسمها المهدى لدولة المهدية سارت كذلك سياسة

المهدية تجاه الحبشة وفق الإطار العام الذى حدده المهدى للسياسة الخارجية، وبما

ان منطقة القضارف ـ القلابات كانت نقطة الاحتكاك الرئيسية بين المهدية والحبشة

فلا بد من الحديث عن علاقة المهدى بامبراطورية الحبشة فى هذه الفترة . لم تخرج

علاقة المهدى بالحبشة عن حدود علاقته بالبلدان الاخرى فلم تكن دعوة المهدية

قاصرة على السودان فحسب بل كانت تسعى الى نشر نفوذها خارج حدود السودان وفى

العالم الاسلامى بالذات . فالمهدى لم يكن يرى العالم دار سلام ودار حرب

فحسب كما هو معروف في الفكر الاسلامى السائد ، بل كان يراه على اساس مؤمنين

بالمهدية وغير مؤمنين بها . ولذلك اعتبر كل من لا يؤمن بالمهدية فهو كافر . وعلى

راس هؤلاء الكفار كان يضع الاتراك ، فهم اعداء الدين الذين شوهوا وجهه

وخربوه . ولذلك كان هدف المهدى الاول فى سياسته الخارجية هو مصر. لانها مقر هام للاتراك وربما لاهميتها الاستراتيجية[٦٠] . وقد حدد المهدي الاتجاه العام لسياسته الخارجية فى نبوءة واضحة قال ان الرسول اخبره فيها قائلا " .. فكما صليت بمسجد الابيض تصلى بمسجد الخرطوم ثم بمسجد بربر ثم بمسجد المدينه المنوره ثم بمسجد مصر ثم بمسجد العراق ثم بمسجد الكوفة .. "[٦١] يتضح لنا اذا ان المهدى كان ينظر شمالا الى مصر ومابعدها ، وان الحبشة لم تكن تحتل جزءا من اهتمامه مثل اهتمامه بمصر والبلاد الاسلامية الاخرى . ولكن علاقة المهدى بالحبشة لاتخرج عن حدود الفكرة العامة للمهدية التى ترى ان انتشارها يجب ان يعم العالم ، وبذلك تصبح الحبشة دار حرب . ولم تغير مسيحية الحبشة فى نظرة المهدى . ولكن الذى اثر فى علاقته بالحبشة هو دخول الحبشة الى جانب الحكومة المصرية ومساعدتها فى اخلاء الحاميات على الحدود . وبهذا اصبحت الحبشة فى موقف عدائى مباشر مع دولة المهدية . وقد راى المهدى خطورة وجود دولة معادية له على حدوده الشرقية . فهى ان لم تعرقل فكرة غزوه شمالا ستهدد سلامة الدولة فى تلك المنطقة . ولذلك كتب المهدى

---

٦٠ شبيكة ، عبر القرون ، ص ٣٣٧-٣٣٨

٦١ مهدية ، حيدر اباد ، ٥/٨ ، ورقة ٦

الى عماله فى منطقة القضارف ـ القلابات بمراقبة الحبشة والتشديد عليها وتأمين الحدود .
فكتب الى ولد زايد فى ١٧ فبراير ١٨٨٥ (٢ جماد لخر ١٣٠٢) يقول له (... اما
الحبشة فعما قليل سيهلك الله باقيهم حيث انهم تعينت لحراستهم الانصار من هنـا
فليكن ابنكم محمد وما معه من الجيش راصدين لهم فى الثغور التى تكون مرصدا لهـم
..." [62] وكتب كذلك الى عبد الله ابوسن وبقية العمال فى نفس المعـنى [63] .

اذا لاتختلف نظرة المهدية الى الحبشة عن بقية البلاد المسلمة التى لاتؤمـن
بالمهدية فلم يكن هناك مجال لاى التقاء بينهما دون الايمان بالمهدية . وقد كـان
المهدى واضحا فى هذه الفكرة وهى تمثل الاساس الفكرى لسياسته الخارجية . ولذلـك
عندما رد على طلب يوحنا لتوضيح امر المهدية ومراميها ، كتب اليه المهدى خطابـا
لايختلف عن بقية الخطابات التى بعثها داخل وخارج السودان والتى يدعو فيهـا
لاعتناق المهدية . فكتب المهدى فى ١٥ يونية ١٨٨٥ (٢ رمضان ١٣٠٢) الى يوحنا
مخاطبا اياه " بعظيم الحبشة " مثلما كان يخاطب الولاة والملوك بالقابهم الرسمية . ثم

---

٦٢ المهدى الى محمود عيسى زايد ، ٢ جماد لخر ١٣٠٢ ، مهدية صادر رقم ١ ، ص ١٢

٦٣ المهدى الى عبد الله الطريفى والطاهر تاتاى ، ١٢ رجب ١٣٠٢ ، مهدية صادر رقم ١ ، ص ١٥

اخذ يشرح له فى اسلوب رقيق فكرة المهدية وانه مرسل من عند الله ليدعو لفكـــرة المهدية ثم ذكرله الملوك الذين قتلوا والدول التى انهارت لانها فقدت نور الايمـان ثم ذكره بانتصاراته على الاتراك والانجليز • وهدده برفق من ان مصيره لن يختلـف عنهم اذا هو لم يؤمن بدعوة المهدية • ثم شكره على مبادرته بطلب المكاتبة ودعـاه للاسلام والمهدية • وتبدو براعة المهدى عندما ذكر ليوحنا سلفه النجاشى ومعاونتـه للمسلمين الاوائل وكيف اكرمه الله بان حضر عهد الرسول • ثم طلب من يوحنـا ان يكون كسلفه وانهى خطابه بتهديد قاطع عندما قال (••• وان ابيت الا الاعراض نانما عليك اثمك واثم من تبعك ولابد من وقوعك تحت يدنا •• "[64] ولعل خطاب المهدى هذا كان اقل حدة من خطابه الذى ارسله الى الخديوى توفيق[65] •

وقد رد يوحنا على المهدي بخطاب اخر ارسله الى ولد ارباب ووصل القلابات فى ٢٤ سبتمبر ١٨٨٥ (١٤ الحجه ١٣٠٢) اى بعد وفاة المهدى بفترة طويلة • بدأ يوحنا خطابه برفض الطريقة التى خاطبه بها المهدى كما رفض دعوة المهدي له لدخول

---

٦٤ المهدي الى يوحنا ، ٢ رمضان ١٣٠٢ ، مهدية صادر رقم ٣ ، ص ١

٦٥ منشورات، جزء ٢ ، ص ٢٧٧

الاسلام بل سخر واستهزأ من تلك الدعوة ، وتعرض لشخص المهدي بالاساءة • ثم دعى يوحنا المهدي وولد ارباب لدخول المسيحية لانها في نظره هي الدين الصواب والحق •[٦٦] وبهذا الخطاب يكون يوحنا قد وضع حاجزا فكريا بين الحبشة والمهدية واصبح هذا الحاجز واحدا في الاسس التي قام عليها الصراع بين البلدين فاذا اضفنا الى هذا تحرشات الحبشة الاولى ضد المهدية لاتضح لنا الخط الذي سارت عليه العلاقة بين البلدين •

لقد استطاعت الثورة المهدية في السنوات الاربعة الاولى من تاريخها ان تفرض سيطرتها على كل منطقة القضارف ـ القلابات وان تتصدى لبعض التنظيمات الادارية والمشاكل الداخلية في محاولة لحلها • وبقيت علاقتها بالحبشة يحفها الكثير من عناصر العداء والتحرش • وتوفى المهدي ليأتي من بعده الخليفة وليتصدى لكل هذه القضايا خلال الثلاثة عشر عاما التي حكم فيها السودان •

---

٦٦ محمد ارباب الى الخليفة ، مهدية ٥١/٢/١٣ • (بدون تاريخ)

الفصل الثاني

الفترة الاولى من حكم الخليفة

يونيه ١٨٨٥– يناير ١٨٨٨ (رمضان ١٣٠٢هـ – ربيع ثاني ١٣٠٥هـ)

يمكن ان نقسم هذه الفترة من حكم الخليفة الى عهدين ، الاول يبدأ بوفاة المهدى ويمتد الى هجوم الحبشة على القلابات ومقتل محمد ارباب فى ديسمبر ١٨٨٦ (ربيع ثانى ١٣٠٤) والثانى يشمل الفترة التى كان فيها يونس الدكيم قائدا على جيوش المهدية في القلابات وينتهي بتعيين حمدان ابوعنجة واستدعاء يونس الدكيم فى يناير ١٨٨٨ (ربيع ثانى ١٣٠٥) وسنتعرض فى كل عهد منها للمشاكل والقضايا الداخلية والخارجية التي واجهت دولة المهدية فى تلك المنطقة •

امارة محمد ولد ارباب

أ – الاوضاع الداخلية

كانت المشكلة الداخلية الاولى التى واجهتها دولة المهدية فى هذه المنطقة هى مشكلة الحدود بين العمالات وتحديد سلطات العمال المختلفين • ولم تكن هذه المشكلة قاصرة على تلك المنطقة بل عرفتها بقية انحاء الدولة الفتية ، على ان عمالة القضارف عانت اكثر من غيرها من حيث الاضطراب المستمر فى حدودها طوال عهد المهدية وذلك

لتغير الظروف السياسية والاحتياجات الحربية والاستراتيجية والاقتصادية [١] .

لم تبرز مشاكل الحدود والصراعات بين العمال في عهد المهدي بشكل واضح اذ طغت ظروف الثورة على كل اعتبارات تنظيمية اخرى . وعندما جاء عهد الخليفة كان من الضروري معالجة هذه القضايا بما تتطلبه مهام الدولة الجديدة . فقام الخليفة بتقسيم دولته الى عمالات تتطابق حينا وتختلف حينا لغرض مع التقسيمات التي وضعها الحكم التركي ـ المصري . فقسم مديرية كسلا الى عمالتين هما عمالة طوكر وعمالة القضارف ـ القلابات . وتشمل الاخيرة ثلاثة مراكز هامة هي القلابات والقضارف والجيرة [٢] . ثم قسم هذه العمالة الى قسمين وجعل محمد ولد ارباب عاملا على منطقة القلابات وتولى عدد من العمال امر القضارف . ويبدو ان الخليفة قد لجأ الى ذلك الاجراء لتفادي الصراع الذي نشب بين عماله في تلك المنطقة اذ كتب الى ولد ارباب قائلا : " ... فقد حررنا لكم جواب وصورته يلصق هذا وذكر الجهات التي هي هي جهات القلابات لاغير فالان ورد لنا جواب من الحبيب عبد الله الطريفي ومعه جواب محرر منكم للمذكور بانكم

---

١ Holt, The Mahdist State, P. 225

٢ نعوم شقير ، ص ٨١ـ٨٢

المناظرين لامور القضارف والقلابات وكافة الجهات الشرقية ... والحال يا حبيبنا ... فلفظ الجهات المذكورة بجوابنا هي جهة القلابات خاصة لاغير اما جهة القضارف وراشد فهذه جهات مستقلة عن القلابات لوحدها ...".[3] ويبدو ان ولد ارباب لم يقتنع بتحديد الخليفة لسلطاته فكتب اليه ثانية يطلب منه الاشراف على جهات القضارف وراشد بحجة انه يتوقع هجوما من الحبش . ولكن الخليفة اصر على رايه الاول[4] . وبهذا ظلت القلابات في هذه الفترة منفصلة على القضارف .

اما القضارف فقد تولى ادارتها عدد من العمال في هذه الفترة . ففي بداية عهد الخليفة استمر عبد الله احمد ابو سن عاملا عليها ، ولكن بعد تمرد محمود عيسى زايد واعتقاله[5] ، تشكك الخليفة في نوايا عبد الله فاتبع القضارف لمحمد عثمان ابي قرجة في كسلا ولكن هذا الوضع لم يستمر سوى بضعة اسابيع[6] . ثم اصبح عوض

---

٣ الخليفة الي محمد ارباب ، ا شوال ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر رقم ١١ ، ص ١٩-٢٠ وكتب الخليفة الي عبد الله الطريفي رسالة في نفس المعنى .

٤ الخليفة الى محمد ارباب ٢٧ شوال ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر رقم ١١ ، ص ٣٤

٥ انظر ص ٤٤ من هذا الفصل عن تمرد ولد زايد

٦ الخليفة الي عبد الله الطريفي ، ٨ ربيع اخر ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر ٦ ، ص ١٩٦ الخليفة الى محمد عثمان ابي قرجه ، ١٨ ربيع اخر ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر ٩ ، ص ٢٠٧

الكريم كافوت عاملا على القضارف . وكان عثمان دقنه قد ارسله الى القضارف لاعتقال ولد زايد ، ومراقبة عبد الله ابوسن [٧] . ويبدو ان كافوت لم يكن على وفاق مع قادة الانصار فى القضارف ولذلك امره الخليفة بالعودة سريعا الى كسلا هو ومن معه من الانصار . وخلفه عبد الله الطريفى ، وقد كان حائزا على رضاء الخليفة حتى ذلك الوقت ، ولكنه لم يستمر طويلا اذ ارتكب بعض المخالفات المالية مما ادى الى عزله واعتقاله فى نوفمبر ١٨٨٦ (صفر ١٣٠٤) [٨] . وجاء من بعده ادريس احمد وديدى . وفى عهده قام الخليفة بتوسيع عمالة القضارف بضم منطقة النور ولد فقرا اليها فى يناير ١٨٨٧ (ربيع ثانى ١٣٠٤) . على ان يكون ولد فقرا مندوبا عن ادريس وديدى على " ذمه الجهاد " [٩] اما المراكز الاخرى الصغيرة فكانت تتبع الى احد المركزين الكبيرين .

وحدث فى بداية عهد الخليفة تحول مركزى فى امانة بيت مال المسلمين . فقد عزل احمد سليمان امين بيت المال فى ٢٦ ابريل ١٨٨٦ (٢٢ رجب ١٣٠٣) وخلفه

---

٧ الخليفة الى عوض الكريم كافوت ، ١ جماد اول ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر ٩ ، ص ٢٥٧–٨

٨ انظر ص ٥٤ من هذا الفصل

٩ الخليفة الى ادريس وديدى ، ١٧ ربيع ثانى ١٣٠٤ ، مهدية ، صادر ١١ ، ص ١١٥

ابراهيم عدلان • وتبع هذا التغيير ان تغيرت امانة بيت المال في القضارف فاوكلت الى محمد عثمان حاج خالد وذلك في يوليو ١٨٨٦ (شوال ١٣٠٣) • واستمر ولد حاج خالد في ذلك المنصب حتى خلفه العوض المرضى[١٠] في اواخر عام ١٨٨٦ (مطلع عام ١٣٠٤ • وقد شغل الخليفة ببيت المال والمشاكل المتعلقة به ، ولعل اهتمامه في هذا الصدد لم يكن باقل من اهتمام المهدي •

وكان اول اجراء اتخذه الخليفة في امر بيت المال ان طلب من ابراهيم عدلان ان يستمر في المهمة التي ارسله لها المهدي في القضارف • وكانت تلك المهمة تتعلق بتنظيم احوال بيت المال وطريقة الصرف منه وتأكيد السلطة المركزية لبيت المال في

---

١٠ العوض المرضى : اسمه الحقيقي العوض المهدي • وعند قيام الثورة المهدية غير اسمه الى المرضى حتى لايختلط مع محمد احمد المهدي • وقد ولد العوض المرضى عام ١٨٣٠ • وفي اثناء العهد التركي ـ المصري عمل باشكاتبا لمديرية التاكا • وهاجر الى امدرمان والتحق بالمهدي بعد سقوط الخرطوم • واوكل اليه الخليفة القيام بالعديد من الاعمال المالية حتى عين فيما بعد امينا لبيت مال العموم • وفي اواخر عهد الخليفة سجن وغنم وظل بالسجن حتى دخول الانجليز الى البلاد واطلق سراحه ، وبقى في عواصمه بكد كسلا حتى توفى عام ١٩١٠م •

امدرمان [11] . ويبدو ان ابراهيم عدلان قد انجز مهمته بدقة اذ انتقل من القضارف ليخلف احمد سليمان فى امانة بيت مال العموم .

واصدر الخليفة فى بداية حكمه منشورا الى اهالى القضارف بخصوص الغنايم والاعمال الزراعية قال فيه " .... ولما كان اوان نزول الغيث المبارك فقد راينا من باب الرفق بكم والشفقة عليكم والرافة بحالكم ان نرفع عنكم الخدمات المتصلة بالغنايم وحقوق الله غير زكاة الفطر والمواشى (وذلك فى شهرى شوال والقعده لكى تنتبهوا فى زراعة اطيانكم واصلاح شأنها وقد نبهنا على كافة الانصار والمندوبين لذلك لرفع ايديهم عنكم وتخليه سبيلكم فى هذين الشهرين ..." [12] ويظهر من هذا المنشور اتجاه الخليفة الواقعى حيال المشاكل المالية . ولعل الخليفة كان يرمى من وراء تلك السياسة المرنة الا تتأثر منطقة القضارف اقتصاديا وهى من الشرايين الهامة التى يعتمد عليها اقتصاد دولة المهدية ولذلك آثر ان يعطى الاهالى الفرصة لاستغلال موسم الامطار حتى على حساب " الغنايم وحقوق الله " .

---

١١ احمد سليمان الى الخليفة ، بدون تاريخ ، مهدية ٢/٣٠/١/٦

١٢ الخليفة الى اهالى القضارف ، ٢ شوال ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر ، رقم ٢ ، ص ٢٥

وكانت اكبر مشكلة واجهت الخليفة في تلك المنطقة في بداية عهده ، هي مشكلة محمود عيسى زايد وقبيلة الضبانية عموما • وهي تمثل فصلا من الحروبات القليلة التى واجهها الخليفة فى تلك الفترة • فبعد ان اعتلى الخليفة كرسى السلطة طلب من كل القواد والعمال وزعماء القبائل ان يحضروا شخصيا الى امدرمان لتقديم فروض الولاء والطاعة وذلك باعطاء البيعة له ليطمئن على سلامة موقفه فى الاقاليم ضد عواصف المعارضة التى اخذت سحبها تتجمع فى الافق البعيد • وكان الخليفة يرمى من وراء تلك المقابلة ، او المعاينة ، عدة اشياء • منها انه يستطيع بالمقابلة والحديث المباشر ان يسبر غور الاشخاص اكثر من المراسلات • ولعل نظرة الخليفة الثاقبة وقدرته على معرفة الاشخاص كانت احدى ميزاته • ثانيا ، بحضور اولئك القواد والزعماء الى امدرمان يستطيع الخليفة ان يبقيهم معه اطول مدة ممكنة اذا ما احس بعدم ولاء احد منهم ، ويصبحوا بذلك فى حالة ضعف وهم على بعد من مراكز قوتهم واهلهم وعشيرتهم ، ويسهل بالتالـــــى القضاء عليهم • وقد كانت تلك المقابلات التى تمت فى بداية عهد الخليفة ، والــــتى اصبحت طابعا عاما لحكمه ، من العوامل التى استخدمها فى معرفة انصاره والقضـــــاء على معارضيه وكان الخليفة قد طلب فيمن طلب حضورهم الى امدرمان محمود عيســـى زايد وعبد الله احمد ابو سن والطاهر تاتاى وعبد الله الطريفى ومحمد ارباب • وقد حضر

جميعهم الا ولد زايد فانه لم يستجب لدعوة الخليفة [١٣] • وعندما احس الخليفة بابطائه كتب اليه رسالة فى اواخر عام ١٨٨٥ (مطلع عام ١٣٠٣) يستحثه للحضور قائلا " ••• وكان سابقا قد تحررت لك الاوامر بالحضور ولم يقدرالله ذلك فقد سامحناك ظاهرا وباطنا فيما مضى ••• (فبادر الآن) بالحضور لمقابلتنا ولا تخشى من شيئ• فعليك امان الله ورسوله ومهديه ••• " [١٤] من الواضح ان الخليفة كان رقيقا فى اسلوبــــه ومتسامحا فى روحه وقد ملأ رسالته هذه بالوعظ والتذكير بطاعة الله اذ لم يكن فــى مقدوره ان يفعل اكثر من ذلك وولد زايد بعيد عن قبضته مستقر بين اهله وعشيرتـــه • ولكن ولد زايد ظل فى تباطئه مما قوى الشك فى نفس الخليفة ولذلك رأى ان يستعمل معه الحيله ويستدرجه قبل الدخول معه فى مواجهة حاسمة بكتب اليه رسالة اخرى يطلب منه ان ينضم الى عثمان دقنة اذا كان ذلك اهون عليه من الحضور الى امدرمان [١٥] • ولكن ولد زايد لم يستجب حتى لهذه الدعوة • على ان الخليفة ظل يراسله بنفــــس

---

١٣ الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ١٤ القعده ، ١٢ ، مهدية ، صادر ، رقم ٥ ص ١٣

١٤ الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ٢٨ محرم ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر ، رقم ٩ ، ص ٥٢

١٥ الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ٣ صفر ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر ، رقم ٦ ، ص ٦٢

الاسلوب الرقيق والروح المتسامحة فكتب له قائلا " ... والحال ياحبيبنا انك من الاصحاب السابقين الذين بادروا باجابة داعي الله والانقياد للمهدية رغبة فيما عند الله تعالى وبذلك لازال سعيك مشكورا ومحبتك ثابتة في قلبنا ... وكان ايها الحبيب اكثرنا لك التحريـــر بالحضور والمشاهدة معنا واخذ البيعة وكذلك حررنا لك بالتوجه لعثمان دقنة وماقدر الله لك حضور وظننا انكم اذا لم تكونوا مشغولين هناك بمصلحة دينية لكنتم حضرتم وقدسامحناكم في التاخير ولا حرج عليك فيه ... فينبغي بوصول جوابنا هذا عندك ... تحضر لطرفنا ... " [16].

ومما زاد من موقف ولد زايد تعقيدا حادثتان . الاولى انه تكاسل في احدى المرات في امر المهدية . فقد ترك حلة ابو سحنون وبها كميات كبيرة من الذرة دون حماية حتى هجم عليها الحبش واخذوا اغلب مابها من مؤن . وكان محمد ابراهيم ضاوي ـ احـــد العمال في تلك المنطقة ـ قد نبه ولد زايد الى ضعف موقف الحلة ولكن ولد زايد لـــم يعر كلامه انتباها [17] . وبالرغم من ان الخليفة لم يهتم لتلك الحادثة في وقتها ، الا

---

١٦ الخليفة الي محمود عيسى زايد ، ٢٢ صفر ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر رقم ٩ ، ص ٩٦

١٧ محمد ابراهيم ضاوي الى الخليفة ، ٨ القعدة ١٣٠٢ ، مهدية ، ٣٢/٢/١٣

انها ظلت عالقة بذهنه اذ ذكرها لولد زايد فى احدى خطاباته منبها له من عـدم التهاون فى امر المهدية [١٨] • ثانيا ، ان ولد زايد قد دخل فى صراع مع عمـال المهدية فى تلك المنطقة واهمهم عبد الله الطريفى والنور ولد فقرا [١٩] • وعلى الرغم من ان ولد زايد قد كتب الى الخليفة متضررا من سلوكهما نحوه ، وان الخليفة قد نبهه على عامليه بعدم التعرض لولد زايد ، الا ان الخليفة اعتبر ذلك الصراع نوعا من عدم تعاون ولد زايد ومظهرا من مظاهر تضجره من المهدية • فكتب الى عبد الله الطريفى فى نفس الوقت ان يلاحظ ولد زايد ويراقبه اذ قال " ••• وطيب نفسك معـه ولا تظهر له الا مايسره ومع ذلك كن ملاحظا عليه ومتى ماصدر منه شيء مخالف فيدنا بمه نورا ••• " [٢٠] •

لقد حاول الخليفة ان يضم ولد زايد الى صفه وان يكسبه بكل الاساليب ، ولكن يبدو ان ولد زايد لم يكن على يقين من امر المهدية ، اولعله كان يشك فى نوايا الخليفـة ،

---

١٨ الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ٣ صفر ١٣٠٣ ، مهدية صادر ، رقم ٢ ، ص ٦٢

١٩ الخليفة الى عبد الله الطريفى ، ٢٢ صفر ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر رقم ، ص ٩٥

الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ٢٢ صفر ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر رقم ٩ ، ص ٤٦

٢٠ الخليفة الى عبد الله الطريفى ، ٧ ربيع اول ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر رقم ٢٥ ص ١٢٠

او ربما كان مفتونا بقوته وقوة قبيلته ولذلك آثر ان يظل محتفظا باستقلاله ، غير مدرك للتطورات التى احدثتها المهدية فى علاقتها بالقبائل واصرار النظام الجديد بضرورة الولاء لسلطة مركزية واحدة ، كانت فى بادئ الامرفى يد المهدى ثم الخليفة من بعده . فكان لابد للخليفة اذا ، من القضاء عليه .

فقام الخليفة بتكليف عبد الله الطريفى ـ وليس عوض الكريم كافوت كما تقول رواية الشبانية السماعية ـ باعتقال ولد زايد . فسار الطريفى ومعه النور فقرا على راس قوة من الانصار الى منطقة كصبر شرق نهر عطبرة حيث كان ولد زايد يعسكر على الضفة الغربية مستعدا للحرب . واستطاع الطريفى ان يعتقل ولد زايد مستعملا الخدعة . فاخبر ولد زايد بانه مرسل من قبل الخليفة لمساعدته للمحافظة على الحدود الشرقية من غارات الحبشة ، واقسم لولد زايد على المصحف بحسن نواياه . فصدقه ولد زايد وقام بارجاع قبيلته الى مراعيها بعد ان كان قد جمعها للحرب . وفى اليوم التالى ذهب ولد زايد الى معسكر الانصار بدعوة من الطريفى وهناك تمت مباغتته واعتقاله وهو فى قلة من انصاره بعد مقاومة ضعيفة استشهد فيها ستة من الانصار . وقد صور الشاعر الحاردلو كيف خدع ولد زايد اذ قال فى قصيدة له :

اكتب لي جواب يلحقني لانتماني   ود زايد يقول ظاهر الامان غشاني [٢١]

وتذهب رواية الضبانية الى ان ولد زايد وانصاره على قلتهم قد حاربوا ببطولـــة وقاوموا بعنف [٢٢] . ولكننا لانشق كثيرا في صحة هذه الرواية لان احفاد ولد زايد ربما حاولوا ان يظهروا اسلافهم على جانب من الشجاعة . ولعل ولد زايد وابنه محمد قـد ابديا نوعا من المقاومة التي اخمدت في حينها [٢٣] .

وكتب الخليفة الى الطريفي مبديا ارتياحه لاعتقال ولد زايد قائلا : " نعـــرف الحبيب ان جوابكم الحاوي لخباركم لنا بضبط محمود عيسى زايد ... ومن معه علـــى يدكم انتم والاحباب انصار الدين جماعتكم والنور نفرا وجماعته قد وصلنا " [٢٤] وطلـــب الخليفة من الطريفي في نفس الرسالة ان يسلم ولد زايد الى عوض الكريم كانوت ليقوم هذا بدوره بتسليمه لعثمان دقنة بدلا من ارساله الى امدرمان . ويبدو ان الخليفة رأى من الافضل حفظ ولد زايد في الشرق حتى ينتهي من صراعه الذي بدأ مع الاشراف

---

٢١ الطاهر عبد الكريم ، ود زايد ، ص ٧٥ــ ٧٩

٢٢ المصدر السابق

٢٣ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٢٦ ربيع لخر ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر ، رقم ٩ ص ٢٤٨

٢٤ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ١٩ ربيع لخر ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر رقم ٩ ، ص ٢٢٣

فى ذلك الوقت خوفا من ان يستفيد الاشراف من وجود ولد زايد فى امدرمان او يغتنم نحو ظروف ذلك الصراع فيهرب عائدا الى اهله • وكان للدور الذى قام به ولد كافـــوت فى ارسال ولد زايد الى دقنة ماجعل رواية الضبانية تعتقد خطأ فى ان كافوت هـــــو الذى قام باعتقال ولد زايد •

اما تاريخ اعتقال ولد زايد فغير محدد تماما • ولكن يبدو من الخطابات المتبادلة بين الخليفة وعماله انه اعتقل فى منتصف يناير ١٨٨٦ (اوائل ربيع اخر ١٣٠٣) • ثـــم ارسل ولد زايد الى دقنة حيث احتفظ به اسيرا حتى سبتمبر ١٨٨٦ (اوائل عام ١٣٠٤) ثم ارسل الى امدرمان وسجن فى " الساير" •

وحتى بعد سجن ولد زايد فان الخليفة لم ييأس تماما من كسبه الى جانبه • فكتب له رسالة عند حضوره الى سجن امدرمان ذكر له فيها ان ماحل به انما هو امـــر اراده الله وقدره ، وتمنى ان يكون ذلك من اسباب رشاده وصلاحه • ثم اخبره انــه مازال من المظنونين بالخير ، وان حضوره الى البقعة لم يكن الا لصالحه • واخيرا اقترح عليه ان يحضر عائلته الى امدرمان ليقيموا معه لانه قد اختير ليكون بجانب الخليفـــة [٢٥] •

---

٢٥ الخليفة الى محمود عيسى زايد ، مهدية صادر رقم (١) ، ص ٨٩

هذا بلاشك خطاب رقيق استعمل فيه الدهاء وكان بعيد النظر • ولعله عندما طلب من ولد زايد ان يحضر عائلته اراد ان يكسب جانبه ، او ربما كان يرمى من وراء ذلك الا الا ان يكون ولد زايد تحت سيطرته التامه هو واهله • وقد اورد الاستاذ الطاهر عبد الكريم رواية للضبانية تقول ان ولد زايد هو الذى طلب من الخليفة ان يسمح له باحضار عائلته الى امدرمان لتقوم بخدمته فى المعتقل [٢٦] • وهذا الراى ضعيف اذ يستبعد ان يضع ولد زايد نفسه واهله تحت السيطرة المباشرة للخليفة وان يعيش على احسانات الخليفة • ثم نجد ان خطاب الخليفة السالف الذكر يكذب هذا الراى ايضا • وعليه فقد قام ولد زايد بارسال ابنه محمدا لاحضار عائلته وحمله الخليفة رسالة الى عمال المنطقة لمساعدته والاخذ بيده والاسراع فى انجاز مهمته وهى " احضار كافة اهالى منازل الحبيب محمود عيسى زايد ونساؤه وعشيرته " [٢٧] • وفعلا تم جمع عائلة ولد زايد وارسالهم الى امدرمان •

اما قبيلة الضبانية فقد بقيت بعد اعتقال زعيمها بلا رئيس خصوصا وان محمد ولد

---

٢٦ ولد زايد ، ص ٨٠

٢٧ الخليفة الى ادريس احمد ومحمد عثمان حاج خالد ، ٣٠ صفر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٩٥

زايد كان معتقلا مع والده • عند ذلك برز عوض الكريم عيسى زايد ، اخ محمود ولـد زايد وتقلد زعامة القبيلة ليجمع شملها حتى يحفظها من التشتت والضياع • فجمع مابقى من افراد القبيلة وكتب للخليفة يطلب منه الانضمام الى الراية الزرقاء ، كما طلب ان ترفع عن القبيلة " المعارضة " ووعد بالوقوف بجانب المهدية والجهاد فى سبيل اللـه • فقبل الخليفة طلبه وعينه عاملا على قبيلته • وكتب الخليفة الى عبد الله الطريفي يخبره بتعيين عوض الكريم زايد وطلب منه ان يرفع عن الضبانية بقية العملاء وان يترك جمع الزكاة الى عوض الكريم كما اوصاه بمعاملتهم بمقتضى العدل والانصاف اذ ان "المقصود راحة العباد وهدايتهم الى الطريق الرشاد بالحكمه وطريق الرفق • "[٢٨] كما بعـث بخطاب اخر الى كافة عربان الضبانية يحثهم فيه على نبذ الدنيا والعمل من اجل الفوز بالآخرة ثم اوصاهم قائلا " ••• وعليكم امان الله ورسوله ومهديه عليهما السـلام وتم اماننا فاطمئنوا وابقوا فى محلكم الذى انتم فيه الآن واشتغلوا بمزارعكم وقضـاء حوائجكم وكونوا قايمين بامور دينكم على الوجه المطلوب فى محلاتكم ولاتخشوا حصـول

---

٢٨ الخليفة الى عوض الكريم عيسى زايد ، ١٩ جماد اولى ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٧ ، ص ١٧

شيء عليكم لافي انفسكم ولا في اولادكم ٠٠٠ " [٢٩] لقد كان الامان الذى بعثه الخليفة الى الضبانية ضروريا لهم بعد سنوات الشدة التي مرت بهم وهم هائمون بعيدا عن ارضهم ، وكان ضروريا كذلك لان الخليفة كان يود ان يعيد لقبيلة الضبانية استقرارها لتساهم في الانتاج الزراعي خصوصا بعد ان انكسرت شوكتها وعادت طائعة الى حظيرة المهدية • ويبدو ان الخليفة كان يعول على اهمية الضبانية الاقتصادية وقد اوضح رايه هذا في رسالة بعث بها الى ادريس احمد ومحمد عثمان خالد يقول فيها ان للضبانية منفعة كبيرة لبيت المال ، ولذلك اوصاهما خيرا بها [٣٠] • اذا ، فقد استطاع الخليفة ان يعيد قبيلة الضبانية الى حظيرة المهدية ، مستشعرا اهميتها الاقتصادية ، ولكن يبدو ان اعادة الضبانية هذه ، كانت لها تكاليف باهظة في الارواح والاموال • ويمكننا ان نقول ان مسلك الخليفة تجاه الضبانية كان مسلكا مرنا متسامحا • وهذا يعطينا صورة لسياسة الخليفة تجاه القبائل المعارضة • ويمكننا ان نقول ايضا ، ان الخليفة لم يكن يقصى

---

٢٩ الخليفة الى كافة عربان الضبانية ، ٢٥ جماد اخر ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٢٩ ص ٣٥٦

٣٠ الخليفة الى ادريس احمد ومحمد عثمان حاج خالد ، ٤ ربيع اخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٠٩

على معارضيه الا بعد ان يضطر الى ذلك اضطرارا .

اما عبد الله احمد ابو سن فقد اختلف مصيره عن مصير ولد زايد . فقد حدث عند اعتقال ولد زايد ان اعتقل عبد الله وزج به في السجن اعتقادا بانه كان مشاركا له في العصيان . ولكن تبين للخليفة ان عبد الله لا دور له في احداث ولد زايد ولذلك كتب الى كلغوت باخلاء سبيله وعدم التعرض له وطلب ارساله الى امدرمان [31] كما كتب الى عبد الله مبينا له ان هناك خلطا قد حدث مما ادى الى اعتقاله ، وطلب منه ان يبرز خطابه هذا الى عمال المهدية في المنطقة لاخلاء سبيله فورا [32] .

والتفت الخليفة بعد ذلك للقضاء على عبد الله الطريفي عامله في القضارف . وبدأ الخليفة يشك في سلوك الطريفي بعد اعتقال ولد زايد والاستيلاء على ثروته . ولعل ثروة ولد زايد كانت من اسباب القضاء عليه . فطلب الخليفة الى الطريفي ان يقسم اموال ولد زايد الى اخماس وان يرسل اربعة منها الى عثمان دقنة والباقي الى امدرمان . ويبدو ان الطريفي لم يكن دقيقا في تصريف تلك المهمة المالية . فطلب منه الخليفة

---

٣١ الخليفة الى عوض الكريم كافوت ، ٢٨ ربيع آخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ٩ ، ص ٢٥١

٣٢ الخليفة الى عبد الله احمد ابو سن ، ٨ جماد اولى ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٩ ، ص ٢٦٧

الا يقوم بأى اعمال مالية اخرى خاصة اموال ولد زايد وارسل محمد عثمان حاج خالد ليتولى كل الاعمال المالية المتعلقة ببيت المال والغنائم وطلب من الطريفي ان يطيعه وان يقدم له اى مساعدة ممكنة [٣٣] •

ويبدو ان مهمة ولد حاج خالد هي ان يقوم بجرد عام لبيت المال ثم يبعد عنه الطريفي كليا • ولكن الطريفي لم يقبل ان تسلب منه سلطات بيت المال وهى مصدر نفوذ كبير له ، ولذلك لم يتعاون مع محمد عثمان حاج خالد ولم يقدم له المساعدة المطلوبة • فنشب بينهما خلاف من نوع تلك الخلافات التى يزخر بها تاريخ المهدية [٣٤] • وحسما لذلك النزاع قام الخليفة بارسال العوض المرضى بغرض استلام اموال ولد زايد من الطريفي ، وان يكون المسؤول عن بيت المال على ان يعاونه محمد عثمان خالد فى تلك المهمة • ويبدو ان الطريفي قد تردد فى قبول الوضع الاخير كذلك • فبعث له الخليفة بخطاب حاد اللهجة قال فيه " •••• سبق التحرير لكم بتسليم كافة ماهو بطرفكم من حقوق

---

٣٣ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ١ شوال ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٠

٣٤ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٢٩ شوال ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٣٦

بيت المال الى الحبيب العوض المرضى واكدنا عليكم بابراء ذمتكم وتنظيف طرفكم .. فينبغى لكم ان تسعوا فى ذلك وتسلموا انفسكم من الحساب فى يوم المآب ..." [٣٥]

وعلم الخليفة ببعض التصرفات غير المقبولة من جانب عبد الله الطريفى والتى ادت فى نهاية الامر الى اعتقاله . فقد كتب محمد عثمان حاج خالد الى الخليفة يخبره ان عبد الله الطريفى ولخيه محمد يقومان " بامور مغايرة " للدين ومخالفات مالية . ويبدو ان الطريفى كان قد استبقى لديه بعض اموال بيت المال ولم يسلمها لمحمد عثمان خالد . كذلك قام الطريفى بالتعدى على محمد عثمان خالد الذى قام بابلاغ الامر للخليفة ، الذى اعتبرها مخالفة دينية . كما تأخر الطريفى فى ارسال سرية الطاهر تاتاى عندما طلب منه الخليفة ذلك ، فاضطر الخليفة الى مخاطبته بعنف فى هذا الشأن [٣٦] . ونتيجة لمخالفات الطريفى المتكررة قرر الخليفة ان يحسم الامر ، فارسل ادريس احمد وديدى الى القضارف ليقوم باعتقال الطريفى وتجريده من امواله وجهاديته . وفعلا ذهب

---

٣٥ الخليفة الى عبد الله الطريفى ، ٢٧ القعدة ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٥٦

٣٦ الخليفة الى عبد الله الطريفى ، ٣ محرم ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٦٠٨

ادريس الى القضارف واعتقل عبد الله الطريفى مع اخيه محمد ومعهما امين بيت المال

يوسف طاهر ، وقام بوضعهم فى الحديد واودعهم السجن • وتبين لادريس ان عبد

الله الطريفى قد استولى على كميات من الذهب وانه قام بارسالها مع اخيه احمد الطريفى

الى " السافل " • ثم قام ادريس بالاستيلاء على كل جهادية الطريفى فاصبح

بلا قوة حربية وبلا مال [٣٧] • ورأى الخليفة انه من الصواب ارسال الطريفى وجماعته

الى امدرمان حتى يتفرغ ادريس لتنظيم الجهادية فارسل الطريفى مع جماعته الى البقعة فى

يصحبه النقيب حمزه صديق يعقوب ، فوصلوا اخر فبراير عام ١٨٨٧ (اوائل جماد

اخر ١٣٠٤) [٣٨] • وبهذا يكون الخليفة قد تمكن من القضاء على عامله فى القضارف

بعد صراع استمر قرابة العام • ثم اصبح ادريس ود يدى عاملا على القضارف خلفا

للطريفى •

تبرز لنا من الحادثة الماضية بعض الحقائق عن الاوضاع الداخلية فى دولة المهدية

تشير منها الى حقيقتين : الاولى ان الغنائم واموال بيت المال عموما كانت فى كثير من

---

٣٧ الخليفة الى ادريس احمد ، ١٤ صفر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٨٤

٣٨ الخليفة الى ادريس احمد ، ٢ جماد اخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٣٨

الاحيان مصدر اغراء للعمال فى الاماكن النائية ، وان بعض اولئك العمال قد كون لنفسه منها ثروة شخصية • فهل يرجع تصرف اولئك العمال الى بعدهم عن مراقبة السلطـــة المركزية ، ام يرجع لعدم تعمق روح المهدية فيهم ، ونظرتهم لها على انها سلطة سرعان ماتزول ، ولذلك قاموا باثراء انفسهم لمواجهة اى تحولات قد تطرأ فى المستقبل ؟ لعل ذلك راجع الى كلا السببين • وقد شهدت منطقة القضارف عدة امثلة من تلــك المخالفات المالية لانها كانت من اغنى مناطق الدولة المهدية • والحقيقة الثانية هــى ان الخليفة كان يجد صعوبة فى القضاء على العمال الخارجين عن سلطته فــى المناطــق البعيدة خاصة اذا كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال الذاتى وهم وسط جهاديتهـــم وحاشيتهم واقاربهم الذين يحيطون بهم • ففى مثل هذه الاحوال كان الخليفة يلجأ اما الى الحيلة بان يستدرج العامل الى امدرمان او يرسل له من يباغته ويعتقله ويجرده من مصادر قوته •

(ب) الصراع مع الحبشة

قبل التعرف لتفاصيل هذا الصراع واحداثه لنقف قليلا عند الاسس النظرية الـتى ارتكزت عليها سياسة الخليفة الخارجية •

اعتنق الخليفة فكرة الجهاد كما حددها المهدي ونادى بها . والجهاد ، سواء كان على النطاق المحلي او الخارجي ، كان من الافكار الاساسية في دعوة المهدية . وقد راى الخليفة في استمرار فكرة الجهاد استمرارا لدعوة المهدية وقوة دافعة لها . لذلك تميزت سياسة الخليفة الخارجية باستمرار فكرة الجهاد والفتح ونشر الدعوة المهدية .[٣٩] فكانت حروبات الخليفة مع الحبشة تعتمد على هذا الاساس الفلسفي العام . ولكن كانت لتلك الحروبات دوافع اخرى . اولها ان الخليفة كان يريد ان يشغل جيوشه ، التي تكونت خلال الصراع ضد الحكم التركي ـ المصري ، بالغزوات والحروبات والاعمال الحربية الاخرى . فالخليفة لم يكن يريد ان تبقى تلك الجيوش في حالة هدوء مما قد يدفع بها للتعدي على الاهالي في المناطق المختلفة خصوصا المناطق الزراعية ، او ربما تدفع حالة الاستقرار والتعطل بعض قواد تلك الجيوش للانفراد بالسلطة لانفسهم . ثانيا ، كانت الغنائم من الاسباب التي دفعت بعدد من القبائل للانضواء تحت راية المهدية ، ولذلك فان استمرار الحروبات من اجل الغنيمة سيجعل تلك القبائل تحتفظ بولائها المهدية

---

٣٩ مكي شبيكة ، عبر القرون ، ص ٣٧٥

Holt, The Mahdist State, PP. 132-133

مستعدة للجهاد في البوغازات الهامة • فلم يكن في مقدور الخليفة ان يحتفظ بجيش كبير مثل جيش بوغاز القلابات ، وان يقوم بمده بالغذاء والكساء فكان لابد لذلك الجيش من الغزو حتى يعيش نفسه • ثالثا ، فان منطقة القلابات لها اهميتها الخاصة • لها اهمية تجارية فالاستيلاء عليها والدفاع عنها كان امرا ضروريا اذ يعود بفوائد تجارية كما يضمن السيطرة على سير التجارة نفسها • ولها اهمية استراتيجية كذلك • فثغر القلابات "ثغر حصين على حدود الحبشة وحفظ السودان يقضي بحفظه مسدودا"[٤٠] • لذلك كانت حروبات الخليفة مع الحبشة لها اسبابها ودوافعها ولم تكن حروبات بلا هدف ولا مبرر يقول ثيوبولد ويكرره محمد فؤاد شكري[٤١] • وسنحاول في هذا الفصل وفي الفصول القادمة ان نثبت صحة تلك الاهداف ونرى مدى قوتها كمحرك لسياسة الخليفة تجاه الحبشة[٤٢] •

---

٤٠ نعوم شقير ، ص ١٠٦٠ •

٤١ A.B. Theobold, The Mahdia, A History of the Anglo-Egyptian Sudan 1881-1899 (London 1951), P. 151.

محمد فؤاد شكري ، مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣) ، ص ٣٨٩ •

٤٢ حدد هولت ثلاثة مراحل لسياسة الخليفة الخارجية هي :

(١) ١٨٨٥–١٨٨٩ – وهي المرحلة التي حدثت فيها اهم حروبات الخليفة مع الحبشة

(٢) ١٨٨٩–١٨٩٦ – فترة ركود في السياسة الحربية على اثر هزيمة عبد الرحمن النجومي في توشكي •

بقيت قضية اخيرة في علاقة الخليفة بالحبشة وهي الخاصة بحديث الرسول (ص) عن الحبش الذي يقول فيه " اتركوا الحبش ماتركوكم " . فاذا كان الرسول قد دعى الى ترك الحبش فكيف توفق دولة المهدية بين الحديث الشريف وحروباتها مع الحبشة ؟ يبدو ان هذا التناقض قد شغل ذهن الخليفة ومن حوله من المفكرين . لذلك نجد ان اسماعيل عبد القادر الكردفاني قد تصدى لهذه القضية في شيء من التفصيل في كتابه "الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش"[٤٣] . يبدأ الكردفاني مناقشته بالحديث عن دولة الحبشة فيقول انها من الامم القديمة ذات البأس والقوة في الحرب . وعندما ظهر الرسول كان مهتما بنشر الدعوة في الجزيرة العربية وكان هذا هو هدفه الاول . ولذلك لم يشأ ان يشغل انصاره بحرب مع دولة قوية مثل الحبشة قد تشغلهم عن تحقيق الهدف الاساسي . لذلك امر المسلمين بترك الحبش والاشتغال بمقاتلة غيرهم ، ويرى

---

(٢) ١٨٩٦ـ١٨٩٨ ـ بداية تدهور الخليفة وتغول الدول الاوربية على دولة المهدية ثم نهاية الخليفة .

P.M. Holt, The Sudanese Mahdia and the outside world, Bulliteen of S.O.A.S., Vol., XXI, 1958.

٤٣ القدال ، ص ١٤٠ ـ ١٤٥

الكردفاني انه قد جاز ترك مقاتلة الحبش في ذلك الزمان والاشتغال بغيرهم . وبما ان

ترك قتال الحبش امر جائز فيصبح قتالهم جائزا كذلك اذا لم يقفوا عند حدودهم مثل

ماكانوا من قبل . ويستمر الكردفاني ليقول ان الاتراك قد انشغلوا بالشهوات وتركـــوا

القيام بشعائر الاسلام واهملوا امرالجهاد واهملوا الثغور حتى تمكن الكفار ـ اي الحبش ـ

من دخول ارض الاسلام وملكوا ضواحيها ووضعوا النواقيس على الكنائس وامتدت يدهم حتى

القلابات وغيرها من بلاد المسلمين وجعلوا عليها عمالا من عندهم والزموا اهلها بدفع الجزية

(القبر) كل راس سنة [٤٤] . ثم ان ملكهم يوحنا قد اتخذ سياسة معادية للاسلام ، فقد

بث جنوده على سواحل البحر الاحمر واخذ من الاتراك عدة مدن . ويصفه الكردفاني

بانه من اشد ملوك الحبشة بغضا للاسلام حتى انه كان يتشاءم من مقابلة المسلم فـــي

الصباح ، كما قام بارسال جنوده الى القلابات حيث قاموا بقتل المسلمين ولذلك يرى

الكردفاني ان محاربة الحبش ليست امرا جائزا فحسب ، بل هي واجب ، وان الحديث

الشريف " اتركوا الحبش ماتركوكم " لم يعد قائما بعدئذ [٤٥] . وعليه فان حرب المهدية

---

٤٤ الطراز المنقوش ، ص ٢٩ـ٣٢

٤٥ المصدر السابق ، ص ٣٣ـ٣٦

مع الحبشة لها اسباب سياسية واقتصادية ودينية • فكيف بدأ ذلك الصراع فى عهـــد الخليفة وكيف تطور ؟

بعد وفاة المهدى وصل رد يوحنا على الخطاب الذى ارسله له المهدى والـذى تحدثت عنه فى الفصل السابق (ص) • وقد بعث يوحنا مع ذلك الـــرد بخطاب الى الخليفة ، ويبدو انه لم يختلف فى محتواه عن الخطاب الذى بعثه الى المهدى • فلاغرابة اذا احدث رد فعل عنيف عند الخليفة اذ نجده يشير الى خطاب يوحنا بقوله " ••• ورد الجوابين من الكافر النقس •• ونقول الله اكبر على كل من كـفـر وتمرد وفجر (و) الله ولى الذين امنوا ••• والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت •• "[٤٦] وكتب الى عبد الله الطريفي معلقا على نفس الخطاب قائلا " ••• اما فى خصوص عدو الله ريس الحبشة فان خطابه وصل وعلم ماهو منطويا عليه خذله الله واذله ولاتخشوا من جهته فانه مطرود مخذول ••• "[٤٧] هكذا كانت بداية العلاقة بين الخليفـــة

---

٤٦ الخليفة الى محمد ارباب ، ١٢ محرم ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٩ ، ص ١٧

٤٧ الخليفة الى عبد الله الطريفى ، ١٢ محرم ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٩ ، صـــ ١٧ـ١٨

والحبشة ، علاقة يكتنفها العداء ويحفها العنف • وقد انعكس هذا الاتجاه فى الحروبات المتكررة التى شغلت حيزا كبيرا من عهد الخليفة •

فى نوفمبر من عام ١٨٨٥ (صفر ١٣٠٣) طلب محمد ارباب اذنا من الخليفة بالهجوم على كنيسة للحبش تقع على مسافة يوم من القلابات وقد كان الحبش اتخذوها نقطة لشن الغارات على حدود دولة المهدية • فرد عليه الخليفة موءيدا ، وناشده الا يدع الحبش " يفسدوا ديار الاسلام وينهبوا المسلمين " ، وسمح له بتخريب الكنيسة اذا كان ذلك ممكنا • ثم حذره من التسرع فى الهجوم على الحبش لانهم متحصنين فى اماكنهم ، واكد عليه ان يكون دائما فى حالة تأهب واستعداد[٤٨] • ولعل الخليفة لم يكن متأكدا من قوة ولد ارباب ومن مقدرته على مصادمة الجيش ، ولعله قد خشى كذلك من وقوع هزيمة حربية على جيشه وهو مازال فى بداية حكمه قد تعود بنتائج وخيمة ولذلك كانت رسالته الى ولد ارباب مزيجا من الحماس والتريث •

---

٤٨ الخليفة الى محمد ارباب ، ٢١ صفر ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٩ ، ص ٦٢ — لعل هذه هى كنيسة ضبته التى قام الحاج على ولد سالم من قبيلة الكواهلة بالهجوم عليها • واتخذ راس عدار ذلك الهجوم سببا فى هجومه على القلابات • راجع

Slatin, PP. 404-405

وفى يناير من العام الجديد (ربيع ثانى ١٣٠٣) قام صالح شنقا ومعه احد قواد الحبشة ويدعى دهناشوم ، بالهجوم على القلابات • ويبدو ان الهجوم كان ضعيفا اذ تمكن الانصار من صده وقتلوا خمسة من اتباع دهناشوم ، وتمكن صالح شنقا من الفرار مع عدد من اتباعه • وقام الانصار باقتفاء اثرهم وقضوا على فلولهم الهاربة ، اما صالح شنقا فقد استطاع ان ينجو بنفسه [٤٩] • وقام الحبش كذلك بهجوم مماثل على جهة تبارك الله استطاع النور عنقرا من صده وغنم عددا وافرا من نساء الحبش [٥٠] • ثم سار النور عنقرا على راس الف مقاتل لتعزيز جبهة القلابات لانها اكثر تعرضا لهجمات الحبش ، خصوصا وان الاخبار قد بدأت تتواتر عن استعداد الراس عدار للهجوم عليها • كما انضم احمد البصيرى على محمد ارباب كذلك • وفى يونيه ١٨٨٦ (رمضان ١٣٠٣) قام ولد ارباب بالهجوم على جبل عورة بالحبشة ، وقد لاقت هذه الحملة مصاعب شتى مثل وعورة الطريق ، وانضمام بعض من الجبرتة فى تلك المنطقة التى

---

٤٩ الخليفة الى عبد الله الطريفى ، ١ جماد اول ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٩ ، ٢٥٦

٥٠ الخليفة الى النور عنقرا ، ١ جماد اول ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٣٥

جانب الحبش على عكس ماكان يتوقع الانصار • ولكن بالرغم من تلك الصعوبات

استطاع محمد ارباب ان يهزم الحبش وان يحتل جبل غورة ، وعين احمد البصيرى

وكيلا عليه [٥١] • وكان ذلك اول امتداد لدولة المهدية داخل حدود الحبشة •

وكان منتصف عام ١٨٨٦ (أواخر ١٣٠٣) هو فصل الامطار الذي لايستطيع فيه

الحبش القيام باى اعمال حربية • فاغتنم الخليفة هذه الفرصة ، اذ كان عليما

بطبيعة الاحوال الجغرافية ، وطلب من قواده في المنطقة ان يحضروا الى امدرمان [٥٢] •

ـــ ولعله كان يرمى من تلك الزيارة ان يقف بدقة على تحركات الحبش وامكانية صمود

جيوشه ضد هجومهم الذي كان يتوقع ان يشنه الحبش بعد نهاية موسم الامطار •

فكتب الى محمد ارباب والنورفقرا يطلب مثولهما اليه [٥٣] • وفعلا تم ذلك اللقاء

وعادا الى مكانهما في نوفمبر ١٨٨٦ (صفر ١٣٠٤) • وقد استطاع الخليفة خلال

تلك الزيارة ان يقف على ضعف الحاميات على الحدود الحبشية ، لانه ما ان عاد ولد

---

٥١ الخليفة الى محمد ارباب، ٢٧ شوال ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٣٥

٥٢ الخليفة الى محمد ارباب ، ٢٧ شوال ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٣٤

٥٣ الخليفة الى النور فقرا ، ٨ القعدة ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٣٨

ارباب والنور نقرا حتى اتبعهما بخطاب الى ادريس احمد وديدى عامل القضارف يطلب منه ان يمد يد العون لهما لانهما مكلفان بسد البوغازات وحراستها [٥٤] • وكان الخليفة يتوقع ان يقوم الحبش بهجوم على بوغازات المهدية بعد نهاية فصل الخريف وفعلا كان توقعه صحيحا •

بدأ الحبش هجومهم على المناطق الاكثر قربا اليهم ، فهجموا اولا على جهة القدمات • فخف ادريس احمد لملاقاتهم ، ولكن تحركات الحبش فى تلك المنطقة لم تكن الا مجرد مناوشات فلم تحدث معارك رئيسية [٥٥] • ثم قام الحبش بالهجوم على جبل غورة وقتلوا احمد البصيرى عامل المهدية هناك واعادوا سيطرتهم على الجبل [٥٦] •

وفى يناير ١٨٨٧ (ربيع لخر ١٣٠٤) شن الحبش هجومهم الرئيسى على جبهتى تمارك الله والقلابات • وكان السبب المباشر الذى برر به الحبش ذلك الهجوم

---

٥٤ الخليفة الى ادريس احمد ، ١٠ صفر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٨٢

٥٥ الخليفة الى محمد عثمان حاج خالد ، ٢٣ ربيع لخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ص ١١٧

٥٦ الخليفة الى محمد ارباب ، ٢٥ ربيع لخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١١٩

نحو ان احد امراء ولد ارباب ويدعى الحاج على ولد سالم قد قام بالهجوم على كتيبة قوتة وخربها [٥٧] . فارسل الراس عدار ، حاكم مقاطعة امهرة ، خطابا الى ولد ارباب يطلب فيه تسليم الحاج على وكان ذلك الخطاب قد ارسل بايعاز من صالح شنقا والفكى المضوى عبد الرحمن [٥٨] . وعندما رفض ولد ارباب تسليمه قام عدار بالهجوم عليه . وكان هجوم الحبش من اتجاهين : الاول بقيادة عجيل الحمرانى على النورفقرا ، والثانى بقيادة الراس عدار على القلابات [٥٩] .

كان هجوم الحبش على جبهة النور فقرا هجوما مفاجئا وسبب ذلك ان الطلائع التى كان يرسلها الانصار لاكتشاف اخبار الاعداء كانت تأتيهم بمعلومات خاطئة " خيانة منهم لانهم من قبائل الحمران والضبانية " والتى لم تكن لها مصلحة كبيرة

---

٥٧ نعوم شقير ، ص ١٠٥٩ ، Slatin, op.cit, pp. 404-405

٥٨ الفكى مضوى عبد الرحمن من خريجى الازهر . عاد الى السودان فى العهد التركى ـ المصرى حيث انشأ حلقة للدرس فى كركوج . وعندما سمع بالمهدى هاجر اليه فى جبل قدير فعينه المهدى عاملا على سنار . ولكنه لم يكن عميق الايمان بالمهدى فذهب الى الخرطوم وبعد سقوط الخرطوم التحق بالمهدى للمرة الثانية ثم هرب الى الحبشة واصبح من ضمن العناصر التى تهاجم دولة المهدية على الحدود . وتزوج الشيخ المضوى من الحبشة . وفى عام ١٨٩٠ ذهب الى مصر . وبعد الغزو الانجليزى ـ المصرى رجع الى السودان وذهب الى حلة العيلفون وحاول ان يجمع حوله بعض الاتباع ويخلق اضطرابا للحكومة فاعتقلته السلطات البريطانية . راجع نعوم شقير ، ص ٦٧٤ ومابعدها Ten Years Captivity / op.cit, pp. 217-8

٥٩ يقول نعوم شقير (ص ١٠٥٩) ان راس عدار هو الذى قام بالهجوم على النورفقرا

فى المهدية . ففى اواخر يناير ١٨٨٧ (اواخر ربيع آخر ١٣٠٤) قام عجيل بمباغتة النور نقرا بجيش يتكون من حمران وضبانية وشكرية وهدندوة وتكارير ، وقتلوا نحوا من خمسمائة من الانصار واستولوا على الديم وغنموا مابه من نساء واموال [٦٠] . ولكن ولد نقرا استطاع ان ينجو بنفسه . وبعد ايام وصلته نجدة بقيادة ادريس احمد وحامد على وشايب احمد ولكنها وصلت بعد ان تمكن الحبش من العودة الى بلادهم ليستعدوا لهجوم اخر [٦١] . وعاد ادريس بجيشه لانه لايستطيع ان يدافع عن البوغار ويترك القضارف دون حماية ، خصوصا وان هجوم الحبش الاخير قد احدث نوعا من الفوضى فى المنطقة . ولذلك اثر ادريس ان يتحصن فى التومات . ثم قام عجيل بالزحف نحو التومات ، وفى طريقه هاجم قافلة كانت محملة بالذرة فى طريقها لكسلا

= ولكن الوثائق لم تثبت هذا الرأى . ولعل شقيرا وقع فى هذا الخطأ لان الهجوم على القلابات كان بعد الهجوم على النور نقرا ولذلك استنتج ان الهجومان قام بهما شخص واحد .

٦٠ الخليفة الى حمدان ابى عنجة ، ٣٠ ربيع آخر ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٥/ ٤/ ٢٩٢

٦١ الخليفة الى ادريس احمد ، ٣٠ ربيع اخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٢١

وسار عجيل حتى صار على مسافة يوم من القومات • فقام بتقسيم جماعته الى مجموعتين ،
جزء يهجم على القومات والجزء الاخر على محمد عثمان خالد الذي كان متحصنا فى
دوكة • وكان الخليفة قد امر ادريس احمد بعدم الهجوم على الحبش وطلب عنه ان
يتحصن فى مكانه حتى تصله النجدات • ولعل الخليفة كان يخشى من ان اى
هجوم غير مركز من جانب الانصار قد يؤدى الى نتائج ضارة • وقد عبر الخليفة
عن قلقه للموقف الحربى فى تلك المنطقة فى خطاب الى حمدان ابى عنجه • اما
عجيل فلم يقم باى هجوم اخر على الانصار ، ولعله خشى من تحصينات الانصار ، فاثر
ان يعيث فى الارض نهبا وسلبا دون الحاجة الى الدخول فى معركة حربية [٦٢] •

وفى اليوم التالى لهزيمة النور فقرا قام الراس عدار ، على راس ستين الف مقاتل ،
بالهجوم على محمد ارباب الذى كان كل جيشه لايتعدى ستة الف مقاتل ولعل هذه

---

٦٢ الخليفة الى ادريس احمد ، ٢١ جماد اول ١٣٠٩ ، مهدية مصادر رقم ١١ ، ص ٢١
الخليفة الى ادريس احمد ، ٦ جماد اخر ١٣٠٩ ، مهدية مصادر رقم ١١ ، ص ١٤٦

الارقام التي ذكرها سلاطين مبالغ فيها ولكنها تعكس التفوق العددي لجيش الـراس عدار على انصار محمد ارباب[٦٣] • وتمكن راس عدار من هزيمة الانصار ، بل اوشـك ان يبيد الحامية عن اخرها لولا ان عددا قليلا بقيادة محمد ارباب تمكنوا مـن الانسحاب الى مكان يبعد يوم ونصف من القلابات • واحتل الحبش القلابـات واحرقوها وغنموا كل مابها من مال وعتاد • ثم قاموا بمطاردة فلول الانصار وقتلـوا محمد ارباب وذلك في اواخر يناير ١٨٨٧ (اخر ربيع اخر ١٣٠٤)[٦٤] •

ونتيجة لتلك الحروبات فقد أصبحت كل المنطقة من "حد القلابات الى القضارف في اضطراب شديد"، بل ان بعض القبائل هناك تطلعت للانضمام للحبـش[٦٥] •

اما الحبش فقد عادوا الى بلادهم بعد تلك الانتصارات ولم يوالوا زحفهم • وربما فعلوا ذلك ليستعدوا لهجوم اخر اولعلهم اكتفوا بما حققوه من نصر • اما فلـول

---

٦٣ Slatin, op.cit, pp. 404-5

٦٤ الخليفة الى ادريس احمد ، ١٥ جماد اول ، ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٥٠

٦٥ الخليفة الى حمدان ابي عنجه ، ٢٠ ربيع اخر ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٥/ ٩/ ٢٩٢

الانصار فى القلابات فقد التفوا حول محمد ارباب سكر الذى كان وكيلا لمحمد ولد ارباب •

احدثت تلك الهزائم رد فعل عنيف عند الخليفة ، وربما خشى من ان يواصـــل الحبش زحفهم على كل منطقة القضارف ـ القلابات • فقام باتخاذ اجراءات حاسمة وسريعة تمثلت اولا فى ارسال يونس الدكيم فورا الى المنطقة ، وثانيا استدعـــاء حمدان ابى عنجة من جبال النوبة على وجه السرعة • وهكذا انتهت فترة محمـــد ارباب فى القلابات والحركة المهدية تمر بايام من اصعب ايامها هناك فمصيرها معلق وقوادها بعضهم قتل وبعضهم متحصن فى مكانه فى انتظار النجدة • وتحرك يونس الدكيم الى القلابات ليبدأ عهده فى تلك المنطقة •

عهد يونس الدكيم[٦٦]

تمتد فترة يونس الدكيم فىمنطقة القضارف ـ القلابات الى عام وبعض عام برزت

---

٦٦ يونس الدكيم من قبيلة التعايشة وهو ابن عم الخليفة • وقد لمع اسمه عندما عين عاملا على الجزيرة والقلابات • ثم نقل عاملا على دنقلا لفترة وجيزة •

خلالها ثلاثة جوانب جديرة بالدراسة • اولا مسالة تعيين يونس على القلابات ومسيره من امدرمان الى القلابات ، ثانيا معالجته للقضايا الداخلية التى واجهته ، ثالثا حروباته مع الحبشة •

(أ) الاوضاع الداخلية

ترجع صلة يونس الدكيم بمنطقة القضارف - القلابات الى مطلع عام ١٨٨٦ وذلك عندما عينه الخليفة عاملا عموميا على الجزيرة والقضارف - القلابات • وقد وقع اختيار الخليفة على يونس الدكيم لصلة القرابة التى تربطه به ولثقته فيه فهو مفضى سره [٦٧] • وكان تعيين يونس للجزيرة تعيينا سياسيا لان الجزيرة من المناطق الهامة التى يريد

= وعين ثانيا اليها عام ١٨٩٥ م بدلا من محمد خالد زقل • واشترك مع الخليفة فى واقعة ام دبيكرات حيث وجد مختبئا بين القتلى فاسر • ونقل الى مصر حيث توفى هناك •

٦٧ الخليفة الى يونس الدكيم ، ١٨ جماد اول ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٥ ، ص ٢٠٤

الخليفة ان يوطد نفوذه فيها • وامضى يونس العام الاول الذي امتد حتى يناير ١٨٨٧ (جماد اول ١٣٠٤) وهو مقيم بالجزيرة دون ان يمارس سلطانه على المناطق الاخرى من عمالته مع احتفاظه بالنفوذ الاسمى فقط • ولم تكن الفترة التي قضاها يونس الدكيم في الجزيرة ناجحة تماما وذلك لانه اطلق العنان لجيشه لسلب ونهب الاهالي مما ادى الى ارتفاع اسعار الذرة • فاضطر الخليفة الى استدعائه بكامل جيشه الى امدرمان حيث بقي بها الى ان ذهب الى القلابات [٦٨] • ولعل الخليفة رأى في القلابات مكانا مناسبا يبعد فيه يونس الدكيم بجيشه ريثما يصل حمدان ابو عنجة الذي كان قد استدعي من كردفان على عجل •

اخذ يونس الدكيم يستعد للذهاب للقلابات وذلك بعد ان وصلت اخبار هزيمة الانصار في تلك المنطقة • وفي اواخر ديسمبر ١٨٨٦ (اواخر ربيع اخر ١٣٠٤) خرجت راياته للعرضة خارج امدرمان استعدادا للسفر • وكتب الخليفة الى عدد

---

٦٨ Slatin, op.cit, P. 403

من عماله لينضموا الى يونس الدكيم فى الطريق ومن هوءلاء احمد المكاشفى والمرضى ابوروف ومحمد حامد جفون ومحمد على ابو ضلع ، كما كتب بذلك الى " كافة الانصار على طريق جيش يونس الدكيم" [٦٩] • وفى يوم ٣١ يناير / ١٨٨٧ (٦ جماد اول ١٣٠٤) تحرك يونس بجيشه من الشاطىء الشرقى للنيل الازرق متجها الى القلابات [٧٠] • واكد الخليفة على يونس ان يسير بجيشه بطريق الشرق ، كما كتب الى اهالى الجزيرة بذلك قائلا " ••• وقد تأكد على عموم الانصار السير بالطريق المذكور وحذرناهم من القطوع للى الهوى لانه ليس بطريق لهم ولما انكم من جملة الانصار فليزم ان كل من تجدونه قطع الى الهوى من الجيش المذكور تضبطوه وتشعبوه وتحملوه الينا لاجل مجازاته لاسيما اذا كان معه عايله •••" [٧١] • كما اكد على يونس الدكيم عدم التعدى على اهالى الجزيرة والتزام طريق الشرق فى

---

٦٩ هناك مجموعة من الخطابات من الخليفة الى عماله وكافة انصار الدين : مهدية ، صادر رقم ١١ ، من ص ، ١٢٤ الى ص ١٢٨

٧٠ الخليفة الى حمدان ابى عنجة ، جماد اول ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٥/ ٤/ ٢٩٧

٧١ الخليفة الى اهالى الجزيرة ، ٥ جماد اول ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٢٧

مسيره [٧٢] . والسبب فى اختيار طريق الشرق هو ان الخليفة كان يخشى من ان يحدث

عبور ذلك الجيش فى قلب الجزيرة نوعا من الفوضى من جراء النهب والسلب . والسبب

الثانى انه كان يخشى من ان يستقر عدد من المجاهدين فى الجزيرة اثناء عبورهم

بها ويتركوا امر الجهاد ايثارا لحياة الاستقرار والاخذ بالزراعة ولذلك فقد شدد على

ضبط الانصار الذين لهم عوائل لانهم أكثر ميلا من غيرهم لحياة الاستقرار . وهذا

يكشف لنا بعض الجوانب المتعلقة بالمهدية . اولها ان حماس الجهاد اخذ يفتر

عند بعض الانصار وانهم اثروا حياة الاستقرار فى المناطق الزراعية خصوصا وان

اغلب جيش يونس الدكيم من اهالى غرب السودان الذين ربما خرجوا من اماكنهم جريا

وراء الحياة المستقرة . ولم تقتصر ظاهرة الهروب من الجهاد على اولاد العرب

فحسب بل امتدت لتشمل الجهادية . فقد لاحظ الخليفة ان عددا من الجهادية

قد تسلل من جيش يونس وعادوا الى امدرمان لاخذ عوائلهم . وقد انزعج الخليفة

---

٧٢ الخليفة الى يونس الدكيم ، ١٢ جماد اول ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٣٠

لوجود تلك الظاهرة بين الجهادية وهم عصب الجيش المقاتل • فكتب الى يونس ليزجر مقاديم الجهادية على اعمالهم وان ينذرهم فى ان " من يتهاون فى ضياع نفر واحد او بندق لابد ارساله لطرفنا بالشعبه لاجل مجازاته " • كما اكد على يونس ليجمع الجهادية صباح مساء للتمام عليهم [٧٣] •

تحرك يونس الى القلابات وكان معه من القواد عربى دفع الله وابراهيم الرفيعة وادم ابوش وهنون النيل ومحمد النور مدرع وعبد الباقى خليفة الذى كان مسؤلا عن الجبخانة • وفى يوم ٨ فبراير ٨٧ (١٤ جماد اول ١٣٠٤) وصلت المرية الى ابى حراز حيث عبرت النيل الى الضفة الغربية بعد ان تجاوزت جزءا كبيرا من الجزيرة • ومن هناك ارسل يونس رجلا يدعى يوسف ابو تفه عاملا على الحمدة لاستنفارهم للجهاد [٧٤] • وفى يوم ١٤ مارس (١٨ جماد اخر) وصلت الحملة الى ود الهتول

---

٧٣ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٧ جماد اول ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٣٦

٧٤ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٤ جماد اخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٦٣

حيث مكثت بها الى ٢٩ فبراير (٤ رجب) • وفى ود البتول تقابل يونس مع محمد عثمان خالد حيث استفهم منه يونس عن احوال المنطقة وتحركات الحبش ثم ارجعه يونس قبل الحملة ليعمل على جمع الغلال لمؤنتها • وكان يونس قد رفض اقتراحا لمحمد عثمان خالد بارسال جزء من السرية وذلك لتطمين الاهالي وتهدأتهم • فقد فضل يونس عدم تفريق الجيش ورأى ان يسير كله دفعة واحدة ولكنه وعد محمد عثمان خالد بان يسرع فى مسيرته • وبما ان ود البتول كانت اخر نقطة هامة قبل الوصول الى القلابات فقد قام يونس بالكشف على كل الاسلحة حيث اكتشف ان بعض الصواريخ التى كان يحملها غير صالحة للاستعمال فارسل له الخليفة مهندسا قام باصلاحها • ومن ود البتول قامت الحملة تجد فى المسير دون توقف حتى وصلت القلابات يوم ٦ ابريل ١٨٨٧ (١٥ رجب ١٣٠٤) •[٧٥]

من الواضح ان الحملة كانت تسير ببطء • وذلك لكثرة عددها وعدد العوائل التى تصطحبها • فقد كانت الحملة تتألف من تسعة عشر الف مجاهد منهم حوالى

---

٧٥ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١٥ رجب ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٢٢

الفين من الجهادية وسبعة عشر الفا من اولاد العرب ، ومعهم من العوائل اثنا عشر الفا [٧٦] . وفي الطريق الحق الخليفة بستة الاف اخرين بقيادة ام بمدى حمدون ومحمد احمد ابو ام فضال . وفي القلابات انضم على الحملة بعض جماعة ادريس احمد ومحمد ارباب حتى بلغ مجموع الحملة عند اول تعداد لها في يونيه (رمضان) واحدا وثلاثين الفا [٧٧] . وكان الجهادية وبعض اولاد العرب مسلحين بالبنادق وغالبها من الرمنتون وبعضها من " ابو روحين " . وكان مع الحملة بعض الاسلحة الاخرى مثل المدافع الجبلية وغيرها ، وكذلك كميات من الجبخانة بلغت نحوا من عشرين صندوقا وعشرة صناديق جبخانة خاصة بالصواريخ [٧٨] .

وكان الجهادية يمثلون اهم عنصر في جيش يونس الدكيم بل وبالنسبة لكل

---

٧٦ كشف ، [illegible] شعبان ١٣٠٤ ، مهدية ١/ ٢٠/ ٣/ ٥٠

٧٧ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، [illegible]

٧٨ كشف ، ٢ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ١/ ٢٢/ ٣/ ١٠٥-١٠٦

جيوش المهدية • فقد كانوا جنودا نظاميين يجيدون فن القتال واستعمال الاسلحة النارية • ولذلك اعطاهم الخليفة اهتماما خاصا • فقد طلب من يونس ان يضع الجهادية فى مستوى واحد مع اولاد العرب من حملة الاسلحة النارية [٧٩] • ولكن الجهادية احتجوا على دمجهم مع اولاد العرب فوافق الخليفة على فصلهم منهم واوصى يونسا بحسن معاملتهم واعتبارهم من " جملة الانصار "• كما غير الخليفة قراره الاول القاضى بعدم اصطحاب الجهادية لنسائهم ، فسمح لهم باخذ عوائلهم بغية ارضائهم [٨٠] • وبالرغم من اهتمام الخليفة الخاص بالجهادية الا انه لم يكن كبير الثقة فيهم ولعل هذا راجع لتعدد حوادث الفرار من بينهم ولعدم تأكده من تغلغل روح المهدية فى نفوسهم • ولذلك نجده يوصى يونسا بان يقسم الجهادية الى مجموعات من خمسين شخصا وان يضع على راس كل مجموعة قائدا من اولاد العرب وذلك " لكى يسهل ضبطهم بهذه الكيفية والتحكم عليهم " بل طلب من يونس الا يسلم الاسلحة النارية

---

٧٩ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٧ جماد اول ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١، ص ١٣٦

٨٠ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٨ جماد اخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١، ص ١٦٣

الا للجهادية الذين يثق فيهم ٠ فنجده يوصيه قائلا " ٠٠٠ والجهادية ٠٠٠٠ ليس مدركة حقيقتهم عندنا لان بعضهم من اهل تلودى والبعض من خلافه فتفحص فى احوالهم فالذى ترى فيه الصداقة لامانع من ان تسلموه سلاح رامنتون والـذى لاتثقوا به فلاتحلم اليه شيئ ٠٠٠" [٨١] ولذلك مافتئ الخليفة يكرر للجهادية نصائحه بالامتثال والطاعة فيقول لهم مثلا " فينبغى ان تحلوا هممكم زيادة فى امور الدين وتقوموا بامتثال امر ونهى حبيبنا المكرم يونس الدكيم ولاتخرجوا من اشارتـه " [٨٢] كما امر كل العمال بمنطقة القضارف ـ القلابات بتسليم كل الجهادية الذين معهـم الى يونس الدكيم ٠ وكان يرمى من وراء ذلك التجميع الى وضع الجهادية تحت قيادة يثق فيها ٠ ويرمى كذلك الى تقوية جبهة القلابات وجعلها تجمعا لجيوشه ٠

وكانت مشاكل الحدود بين العمالات والصراعات بين العمال المختلفين مـن المشاكل الاولى التى تصدى الخليفة لحلها ٠ وقد جاء الصراع بين يونس الدكيم

---

٨١ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٦ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٩٠

٨٢ الخليفة الى يونس الدكيم ، ١٤ رجب ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٧٠

وابي قرجة حول الحدود بين عمالتيهما على راس تلك المشاكل • فكتب الخليفة الى يونس قائلا " ••• وصار على مقتضى هذا جميع من بغرب بحر اتبره فهو تبعا لجهتكم من اى الاجناس كان ومن جهة شرق البحر المذكور تبعا للحبيب محمد عثمان ابي قرجه ••• (وهذا) كيلا يحصل استحواز على الحدود المذكوره وينشأ من ذلك تشويش ••• " [٨٣] ولكن بالرغم من هذا التحديد القاطع فان علاقة القائدين لم تخل من " تشويش " وتعدى على حدود بعضهما البعض مما اضطر الخليفة لتكرار قراره في عدة خطابات •

ونشب خلاف مشابه بين ادريس احمد عامل التومات ومحمد ولد علي عامل القضارف • فقام يونس بتحديد حدود لكل عمالة فاصبحت القضارف تشمل راشد وصاره وتبعت التومات بقية المنطقة المحيطة بها حتى حدود الحبشة [٨٤] • وقد وافق ذلك

---

٨٣. الخليفة الى يونس الدكيم ، ١٩ جماد آخر ١٣٠٤ ، مهدية مصادر رقم ١ ، ٤ ص ١٥٧

٨٤. يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/٢٢/٣/٦٢

الوضع هوى في نفس الخليفة لانه يرى ان بوغار التومات هام ويحتاج الى شخص يوثق به مثل ادريس احمد .

واهتم الخليفة اهتماما كبيرا باعادة الاستقرار للمنطقة بعد الفوضى التى لحقت بها من جراء غارات الحبش . فراى ان اول عوامل الاستقرار هو تركيز كل السلطات في يد يونس الدكيم وتاكيد رئاسته على المنطقة . فكتب الى " كافة عباد الله المؤمنين بجهة القضارف " والى جميع العملاء يطلب منهم طاعة يونس الدكيم والامتثال لاوامره[٨٥] . وعندما حدثت بعض الاحتكاكات بين يونس وبقية العمال لم يتردد الخليفة من استدعائهم الى امدرمان . فقد شكا يونس من محمد ارباب سكر واتهمه بالخيانة وعدم الصدق . فطلبه الخليفة اليه . ولكن يونسا راى بقاءه في القلابات خوفا من ان يؤدى استدعاؤه الى ثورة اهله التكارير فينضموا الى صالح شنقا . ورأى يونس ان يرسل سكر بعد هطول الامطار وامتلاء الانهر والوديان اذ يصعب حينئذ

---

٨٥ الخليفة الى المؤمنين بالقضارف ، ٢٩ رمضان ١٣٠١ ، مهدية صادر رقم (١) ص ١٥٧

تحرك القبائل [٨٦] • وتضرر محمد عثمان خالد من معاملة يونس له وتعدى جماعتـــه

عليه • فكتب الخليفة الى يونس بان يحسن معاملة محمد عثمان • ولكن عندما تأزمت

الامور بينهما لم يتردد الخليفة من استدعاء محمد عثمان خالد الى امدرمـــان • [٨٧]

ولم تخل علاقة يونس وادريس احمد من شوائب • فقد ظل ادريس يتنقل بين التومات

والقلابات حسب رغبة يونس ، ودائما ما يوافق الخليفة على رغبات يونس دون اعتبار

الى تطلعات العمال • وقد حدث ان اخذ ادريس يهتم بجمع اموال بيت المال

حسب الاوامر التي وصلته من ابراهيم عدلان • ولكن يونس الدكيم لم يقبل ذلـــك

التدخل من امين بيت المال في شئون عمالته • فكتب الخليفة متهما ادريس احمـد

بانه اصبح يهتم بامور الدنيا دون الالتفات الى احوال جهته العسكرية • ولكـــن

الخليفة ادرك مايرمي اليه يونس فكتب الى ادريس قائلا " ان يونس الدكيم هـــو

---

٨٦ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٧٥

٨٧ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٨ رمضان ١٣٠٤ ،مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٠٨

عامل الجهة ... وانتم تبعه وجهاتكم الى الآن فى اضطراب فامركم متســـنى بالحبيب يونس لا بولد عدلان وما يفعله معكم المذكور اقبلوه واصرفوا النظــر عن محررات ولد عدلان فان امر الدين مقدم على امر الدنيا ... "[٨٨] هكـــذا اهتم الخليفة بتأكيد رئاسة يونس الدكيم على المنطقة وتركيز كل السلطات فى يـــده وابعاد اى عامل لاينسجم معه .

واهتم الخليفة كذلك بتطمين الاهالى ليعودوا الى قراهم واعمالهم وذلك رغبة منه فى اعادة الاستقرار الى المنطقة . فكتب الى يونس شارحا له هذه السياسة قائلا " ... حيثما انك متوجه الى جهات القلابات وماوالاها كالقضارف وراشـــد وغيرها من الاماكن الموالية لتلك الجهات ومعلوم عندك ان سكان الجهة المذكوريـــن اغلبهم تشتتوا وتحوشوا نظرا للخراب الحاصل من جهة اعداء الله الحبشة لابدلهم من التامين والتطمين ليستقروا باماكنهم وينتبهوا فى دينهم ويرجعوا بما كانوا فيـــه

---

٨٨ الخليفة الى ادريس احمد ، ١٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢١٣

من الهروب وترك الديار خالية فيلزم ياحبيبنا بوصولك الى تلك الجهات ان تجـرى تامين كل من ترى منه تحوش وتحرر لهم المكاتبات اللازمة بالامان والرجوع الى الاوطان كما كانوا سابقا ... بالخصوص الشكريه والضبانية والحمده وتحوهم من قبائل تلـك الجهه .... "[٨٩] كما طلب منه بمجرد وصوله ان يحرر الامانات الكافية للاهالى وان يوجههم الى الرجوع الى مساكنهم والعمل بالزراعة فى الوقت التى تتوقف فيـه العمليات الحربية كما راى الخليفة ان توضع كل قبيلة مع بعضها لعل هذا يساعـد على استقرار القبائل وبقائها[٩٠] . وبالرغم من هذه السياسة المتسامحة فقد واجهت المهدية ضعفا فى ولاء بعض القبائل وبالذات التكارير والضبانية والشكرية حتى ان يونس الدكيم وصفهم بانهم " خائنين من غير استثناء ... ولامحبة لهم ولامعاملة لهم ولا مع الله بل مع اعداء "[٩١] . فما هو موقف المهدية فى تلك القبائـل

---

٨٩ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢١ جماد اخر ١٣٠٤ مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٥٩

٩٠ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٧١

٩١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢١ رجب ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٢١

في عهد يونس الدكيم ؟

اما التكارير فقد كانوا موزعين في ولائهم ينظرون حينا عبر الحدود الى صالح شنقا والى ايام انتعاش التجارة مع الحبشة وحينا لآخر الى سطوة المهدية وقوتها . وقد كان وجود محمد ارباب كالد سببا في بقاء بعضهم على ولائه للمهدية لانه منهم . ولذلك عين الخليفة بعد محمد ارباب سكر خلفا لمحمد ارباب حتى لايتمرد التكارير ويتسربوا عبر الحدود الى الحبشة [٩٢] .

اما قبيلة الضبانية فقد تبينا شأنها في بداية عهد الخليفة عندما سجن زعيمها محمود عيسى زايد مما ادى الى تشتتها حتى سمح لها الخليفة بالاستقرار تحت زعامة عوض الكريم عيسى زايد . وفي عهد يونس الدكيم اتهم عوض الكريم بظلم الاهالي فقرر الخليفة عزله وولى بدلا عنه حامد مروس ، وارسل الى الضبانية لرفع ظلاماتهم ضد عوض الكريم الى يونس . فقام يونس الدكيم باستدعاء عوض الكريم والقى به في السجن ووضعه في الحديد وشدد عليه حتى يعترف بما ارتكب من

---

٩٢. يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ،مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٧٥

مظالم • وبقي عوض الكريم في السجن مدة ثلاثة اشهر دون ان ترد الى يونس اى شكوى ضده • فاطلق صراحه ووجده مازال على استعداد لخدمة المهدية • كما قام بمد يونس بكميات من الذرة كان يختزنها لجيشه • وقام يونس من جانبه بمخالفة اوامر الخليفة فعزل حامد مروس واعاد تعيين عوض الكريم وذلك لانه راى ان وجود حامد قد زاد القبيلة " زعزعة واضطرابا " [٩٣] وكان الخليفة قد قرر اعادة الشبانية المحتجزين في امدرمان الى اوطانهم بعد ان عاهدوه على الوقوف بجانب المهدية ووعدوا بان يقوموا بترصد اخبار الحبش على الحدود • ولكننا نجد ان الخليفة لم يأخذ بوعدهم كاملا فارسل الى يونس ليكون على حذر منهم وان يتأكد من انهم مهتمين بالتجسس على الحبش ، كما طلب من يونس ان يرسل دائما معهم اشخاصا موثوق بهم ليرافقوهم عبر الحدود حتى لا ينقلبوا عن وعدهم وينضموا الى الحبش على الجانب الاخر من الحدود [٩٤] • ولعل هذا الوضع يعكس منتهى عدم الثقة بين الخليفة والشبانية • ولكن رغبة الخليفة في خلق جو

---

٩٣ ، يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٢ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٤/ ٢٩١

٩٤ ، الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢١ الحجة ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٩/ ٤١

من الاستقرار فى المنطقة ، واملا فى الاستفادة من الضبانية فى عمليات التجسس وفى الزراعة فقد اطلق صراح زعمائهم وبعث لهم بالامان الكافى •

اما قبيلة الشكرية فقد اهتم بها الخليفة اهتماما خاصا ، ادراكا منه باهميتها فى تلك المنطقة • وحتى قبل أن يصل يونس الدكيم الى القلابات كان الخليفة قد كتب اليه يوصيه خيرا بعبد الله ابو سن وباخيه " عبد الاله " وقبيلة الشكرية عامة ، كما طلب منه ان يحسن مخاطبتهم بما يشرح صدورهم • وحرصا من الخليفة للتأكد من ولاء الشكرية فقد طلب حضور كل القبيلة الى امدرمان ، وكتب لهم بذلك فى يوليو ١٨٨٧ (شوال ١٣٠٤) [٩٥] ويبدو ان طلب الخليفة هذا قد جاء نتيجة لان الشكرية قد اهملوا مسالة القيام للجهاد كلية واهتموا بامور الدنيا من زراعة ورعى وتجارة • وكانت هذه نقطة الافتراق بين الشكرية والمهدية • فكان لابد من استدعاء الشكرية الى امدرمان لازالة ذلك التناقض • وعلى الرغم من مجئ الشكرية الى البقعة ومعاهدة الخليفة للقيام بامر الجهاد ، الا ان الخليفة راى ان يعيدهم الى اماكنهم وان يوزعهم

---

٩٥ : الخليفة الى قبيلة الشكرية ، ٢٥ شوال ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٢٠

الى ثلاثة مناطق متفرقة ليضعف من شأنهم • فطلب من شكرية " العاديان " الحضور الى امدرمان " بكلياتهم " • اما الشكرية على نهر عطبرة فامرهم ان ينضموا علـى كسلا • واما شكرية " الاعداد " فقد خيرهم بين كسلا والبقعة • وامهلهم حتى اخر اكتوبر ١٨٨٧ (صفر ١٣٠٥) لتنفيذ هذا الاتفاق ، ومن يوجد منهم بعد ذلك مخلا به فسيقع عليه الجزاء الشديد " بالتغنيم او ماهو اشد " • وعبر الخليفة عن عدم ثقته بالشكرية بوصفه لهم " انهم اصحاب حيل " ، ولذلك طلب من يونس ان " يرفع عنهم كل العملاء لئلا يتحججوا ••• في مابعد بان جماعتكم (تعدوا عليهم) • " وقد اتخذ الخليفة قراره هذا بشأن الشكرية لاعتقاده بانهم ليسوا اهل تربية وراسهم خالي من جهة الدين وحيلهم كثيرة ••• "[٩٦] على ان قبيلة الشكرية لم تستجـب كلها لدعوة الخليفة فقد هرب جزء منها الى الحبشة وناصبوا دولة المهدية العداء • فقام الخليفة باعتقال بعض زعمائهم الذين كانوا في امدرمان واودعهم السجن وبلـغ عددهم حوالي مائتين وعلى راسهم عوض الكريم احمد ابو سن الذي توفي في نفـس

---

٩٦ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٥ الحجة ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٦٢

العام وهو بالسجن ولحق به عدد من زعماء قبيلته [٩٨] • وبهذا ينتهي فصل هام من علاقة دولة المهدية بقبيلة الشكرية •

ولا تختلف قبيلة الشكرية عن قبيلة الضبانية في موقفها من المهدية • فكلا القبيلتين قد قاستا كثيرا من التشتت والمرارة • فاذا كان موقف المهدية من اكبر قبيلتين في المنطقة هو ماسلف ذكره فلابد لنا ان نستنتج ان المهدية لم تضرب جذورا اجتماعية وفكرية عميقة في المنطقة بل ظل وجودها يعتمد الي حد كبير على وضعها العسكري وقوتها • ولكن لابد لنا ان نشير كذلك الى ان تلك القبائل قد وقفت من المهدية موقفا جعل علاقتها مع المهدية لا تقوم الا على القوة والعنف • ولعل هذا راجع الى ان تلك القبائل لم تكن تريد التغيير الذى كانت تدعو له الحركة المهدية • فقد كانت تلك القبائل تتمتع بوضع اجتماعي وسياسي واقتصادى ممتاز تحت ظل الحكم التركي المصري مما جعلها تتشبث به • ولذلك لم تكن معارضتها للتركية مجرد نزوة من زعمائها بل لارتباط مصالحها مع النظام الماضي •

---

٩٧ ابراهيم فوزي ، ص ١١٠ ، نعوم شقير ، ص ١٣٦

الصراع مع الحبشة

لم يشأ الخليفة ان يدخل فى حرب مع الحبشة منذ بداية الامر خصوصا وان المنطقة مضطربة والقبائل مزعزعة الولاء ، وجيش يونس الدكيم لايوثق به كثيرا فـــى مجابهة جيوش الحبشة وحمدان لم يصل بعد من الغرب • فقام الخليفة فى فبراير ١٨٨٧ (جماد اول ١٣٠٤) بارسال خطاب الى يوحنا • ويختلف هذا الخطـاب فى نغمته وروحه عن الخطابات التى ارسلها الخليفة فيما بعد • ويمكننا ان نقـول ان الخليفة كان يرمى من ذلك الخطاب الى كسب الوقت حتى يقوى موقفه • يبدأ الخليفة خطابه بالديباجة المعهودة ويتحدث عن قدرة الله ويستشهد بايات من القران • ثم ينتقل للحديث عن دعوة المهدية واهدافها ويخاطب يوحنا قائلا " فان شهدت ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله نطقا بلسانك واعتقادا فى جنانك واجبت دعوتى والقيت زمام امرك طوع اشارتى فقد دخلت فى حرم الاسلام " • ثم يذكر له الحديث الشريف عن الحبش " ونحن كنا ملاحظين اشارة قول سيد المرسلـــين اتركوا الحبش ماتركوكم ومن ثم لم نصرح لجيوش المسلمين بغزو جهتكم حتى حصـل منك التعدى " • ويستمر الخليفة فى الحديث عن اعتداءات الحبش المتكـــررة

وسلبهم ونهبهم وابرائهم المرتدين من المسلمين امثال صالح شنقا وعجيل وابى جسن الشكرى والعضوى عبد الرحمن • ثم وضع الخليفة ليوحنا ثلاثة شروط لينفذها حتى يسلم من الحرب وهى ان يرجع جميع الاسرى الذين بطرفه ، ثانيا ان يعيد المرتدين اذا كانت لهم رغبة اويحصل منهم على تنازلات كتابية يعلنون فيها تنازلهم من دينهم حتى يعتبروا من غير المسلمين ، واخيرا ان يكف يده عن التعدي على "بلاد الاسلام" وان يلزم حدوده • فان اوفى بهذه الشروط فان الخليفة يعده بان يكف عنه الحرب ولا يدع "جيش المسلمين" يدخل بلاده ، وان ابى فلا سبيل الاالحرب بينهما [٩٨] •

يشير هذا الخطاب الى عدة قضايا هامة • اولها انه يضع شروطا للسلم بين دولة المهدية والحبشة بغض النظر عن مسيحية الحبشة ، وهذه فكرة غريبة على المهدية في ذلك الطور المبكر من تاريخها • ففكرة التعايش السلمى بين الدولتين فرضتها ظروف التدخل الاجنبي فيما بعد • وثانيها ان الحبشة هي الدولة المعتدية

---

٩٨ الخليفة الى يوحنا ، جماد اول ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١٢/ ٩

ولبست المهدية • ويمكننا ان نلاحظ كذلك ان اسلوب الخطاب يتصف بالهدوء وهذا
يختلف عن اسلوب التهديد والعنف الذى ظهر فى خطابات حمدان فيما بعد [٩٩] •
ولعل الخليفة كان يهدف من ذلك الخطاب ان يتجنب الدخول فى حرب مع الحبشة
قبل ان يتأكد من قوته العسكرية وموقفه الداخلى • ولذلك يمكننا ان نصف خطابه
الى يوحنا بالذكاء وحسن التصرف • فقد كان خطابه ، على حد تعبير سلاطين ، خطابا
سلميا • ولكن الخليفة لم يستلم اى رد على خطابه وبهذا يكون باب التفاهم السلمى
قد اغلق تماما [١٠٠] • وظل الخليفة ينتظر وصول حمدان ابى عنجة فى الوقت
الذى اتبع فيه يونس سياسة تجنح حينا نحو السلم وحينا نحو الحرب ولكن دون ان
يدخل فى معارك رئيسية مع الحبش • ويمكننا ان نلخص سياسة يونس فى ثلاثة
مظاهر : اولا السماح باستمرار التجارة بين البلدين • ثانيا ارسال حملات للقيام
باعمال حربية محدودة على الحدود الحبشية • واخيرا استطلاع اخبار الحبش
وتحركاتهم وارسال المعلومات عنها الى الخليفة اولا باول •

---

٩٩ انظر الفصل الرابع الجزء الخاص بعلاقة حمدان ابو عنجه مع الحبش فى

١٠٠ Slatin, op.cit, P. 415

لم تتأثر تحركات القبائل عبر الحدود الحبشية السودانية بالاوضاع السياسية والعسكرية التي تطورت في المنطقة • فقد كان التكارير ينتقلون بين القلابات ومنطقة صالح شنقا وينقلون اخبار المهدية او يتجسسون على الحبش • على ان يونس الدكيم كان يرى بانهم جواسيس للجيش لا للمهدية ولذلك قام باعتقال عدد/منهم ووضعهم في الحديد بل واتهم محمد ارباب سكر بالاشتراك معهم [١٠١] ولكن يونس لم يفقد الامل في استمالة صالح شنقا وعلى اقل تقدير ان يخلق جوا من التفاهم معه • لذلك بادره بالكتابة طالبا منه ان يسلم الاسرى الذين معه [١٠٢] • ولعل يونس الدكيم كان يرمى من تلك المحاولات عدم عرقلة الحركة التجارية • واستمرت عملية التبادل التجاري كذلك على يد النقادية [١٠٣] • وقد سمح لهم يونس بدخول دولة المهدية لانهم في رأيه " من مساكين المكاده ••• اهل بيع وشراء فقط لا اهل محاربة " ولذلك لم ير مانعا من السماح لهم بالتنقل بين الحبشه ودولة المهدية على الرغم من علمه بضعف ايمانهم وتظاهرهم بالاسلام في القلابات وعدولهم عنهم

---

١٠١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١٩ رجب ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٢٤

١٠٢ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٢ رجب ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٣٥

١٠٣ نقادية كلمة حبشية معناها تجاري وهي جمع لكلمة نقادي • واستعملها الانصار لتعني التجار الحبش • اما المكاده فتعني الحبش عموما ولكنها تستعمل عند الانصار كثيرا لتعني الحبش المتاخمين لمنطقة القلابات •

اذا عادوا لبلادهم • وكتب الى الخليفة يستشيره في امرهم فرد عليه بان التقادية

" مساكين وضعاف وليس متراء لكم منهم ضرر وحاصلة الثمرة في حضورهم للمجاهدين

فلا مانع من تركهم والتصريح لهم بالحضور اذا كان لم تروا ضرر في ذلك ولكن يوءخذ

منهم الثمن من جملة الاشياء التي يحضروا بها " [١٠٤] • وواضح ان الخليفة قد غلب

المنفعة التجارية والمصلحة التي سيجنيها المحاربون من ذلك • وطلب اكشم قبرو ،

احد زعماء المكادة ، من يونس ان يسمح باستمرار التجارة بين البلدين على ان يظل كل

على دينه ، وان ينسى الانصار مقتل محمد ارباب وينسى المكادة بالتالي مقتل دهناشوم •

فلم ير يونس مانعا من ذلك • وكتب الى اكشم قبرو بان قصد الانصار هو تسليم صالح

شنقا فقط • وعندما كتب يونس الى الخليفة وافقه على فعله تماما [١٠٥] •

ولكن هذه الروح المتسامحة وذلك النشاط التجاري وتلك الحركة الدائبة علـى

حدود البلدين لم تدم طويلا • ففي مايو ٨٧ (منتصف شعبان ١٣٠٤) حضـرت

---

١٠٤ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٦ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٨٠

١٠٥ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١٨ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية ، ٤٧/٣/٢٢/١

الى القلابات قافلة تجارية كبيرة مكونة من ٤٠٢ من المكادة والجبرتة فقام يونس باعتقالها ومصادرة بضائعها وارسلها الى امدرمان . فارتفعت اسهم يونس لدى الخليفة حتى اطلق عليه عدة القاب مثل " غريت المشركين" و " مسمار الدين" [١٠٦] .

وقد كانت حجة يونس فى اعتقالهم انهم من الحبش الذين يتبعون لامارة برهو الحبشى ودجاج تسما وكلاهما من اتباع الراس عدار ، وانهم من المضلين الذين لايقيمون الصلاة ويدفعون " القبر " للحبشه [١٠٧] . ووافق الخليفة على كل الخطوات التى اتخذها يونس بينما كان الخليفة نفسه قد وافق من قبل على استمرار الحركة التجارية على الرغم من علمه بأن المكادة غير مخلصين فى امور دينهم [١٠٨] . فما الذى ادى الى ذلك التحول فى اتجاهات الخليفة وعامله يونس الدكيم ؟ يعتقد سلاطين ان امتناع يوحنا من الرد على خطاب الخليفة هو الذى جعل الخليفة يوافق على خطوات يونس الاخيرة ، وبل وموافقته على القيام بعمليات حربية محدودة [١٠٩] . وفى راى سلاطين

---

١٠٦ Slatin, op.cit, P. 416

١٠٧ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٧ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٠١

١٠٨ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٧ رمضان ١٣٠٤ مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٠٥

١٠٩ Slatin, op.cit, P. 415

هذا ربما تكمن بعض الحقيقة ، ولكنه لايعطى تفسيرا كافيا للتحول الذى طرأ على سياسة يونس • من المرجح ان يونس الدكيم قام بمهاجمة تلك القافلة لكثرة عددها وكمية الثروة التى كانت تحملها ، ورأى يونس ان تقديم تلك الثروة سيرفع من شأنه امام الخليفة • ومما شجعه على القيام بتلك الخطوة تأكده من ان الحبش لن يتمكنوا من القيام بعمليات حربية اذ كانت تلك الفترة بداية فصل الامطار مما يجعل تحركات الجيوش امرا صعبا بل ربما مستحيلا • ووافق الخليفة كذلك لمعرفته بتلك الحقيقة ، بل ووافق يونس على القيام ببعض الاعمال الحربية • وفعلا ارسل يونس بعض الحملات الحربية الى حدود الحبشة وذلك فى شهرى مايو ويونية (شعبان ، رمضان) بلغت جملتها اربع حملات •

كانت الحملة الاولى الى قدبى [١١٠] فى مايو (شعبان) ، وكانت بقيادة الياس على كنونه • فبعد وفاة محمد ارباب تحول عامل قدبى يحى ولد الوكيل نحو

---

١١٠ • تقع قدبى على الحدود الحبشية للشمال من القلابات • وهى سوق تجارى • وكان محمد ارباب قد عين يحى ولد الوكيل عاملا عليها •

الحبش ، بل واحضر بعض قادتهم الى منزله واحسن وفادتهم واعطاهم عددا مـــن البنادق " الرامنتون" . وعلم يونس انه هنأهم بمقتل محمد ارباب ، كما سمح لهم بقتل الاهالي الذين يعتقدون انهم ضد الحبشة . وجعل سوق قدبي مفتوحـــا للحبش حتى يبيع فيه التمباك . وكان يحى يأخذ العشور على البضائع وســـمح للحبش بأخذ ثلثين منها . كما قام بارسال كل امواله ومتاعه للحبشة استعدادا للهرب [111] . يبدو ان هذه الرواية التي بعثها يونس الى الخليفة فيها بعض المبالغة . فلعل يحى ولد الوكيل قد سمح للحبش ببعض الحرية التجارية حفاظا علـى انتعاش التجارة . او لعله آثر ان يسالم الحبش لعدم مقدرته على صدهم . لانه اذا كان ولد الوكيل قد وصل ذلك الحد من الخيانة لقضية المهدية ، لما قبل دعوة يونس وذهب الى القلابات . فقد كان يونس قد دعاه الى القلابات ، وعند قدومه اليها قام يونس باعتقاله وسجنه . وفي السجن اعترف ببعض تلك التصرفات ، وربمـــا اعترف باتصاله التجاري بالحبش . فما كان من يونس الا ان قام بصلبه في ســـوق

---

١١١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١٠ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٢/ ٤٢

القلابات وكتب الى الخليفة بذلك فوافقه على تصرفه [١١٢] • ثم بعث بعلد بحملة الياسركنونه واحتلت تدبى •

وارسلت الحملة الثانية فى ١٥ مايو (٢١ شعبان) بقيادة على جبير الى جبل غورة محل اقامة سدوم الحبشى • وكان يونس قد سمع بتجمعات الحبش فى تلك المنطقة • سارت الحملة الى الجبل وتمكنت من صعوده بعد يوم كامل وهناك وجدوا ان الحبش قد فروا منه بعد ان علموا بكثرة عدد الانصار • وقام الانصار عند ذلك بهدم ثلاثة كنائس هناك واطلقوا سراح بعض الاسرى الذين كانوا قد اعتقلوا فى الواقعة التى استشهد فيها محمد ارباب • ثم قام الانصار بعد ذلك باقتفاء اثر الحبش حتى لحقوا بهم فى مكان يقال له قلقوا على بعد ثلاثة ايام من القلابات • وتمكنوا من هزيمة الحبش واسروا منهم ثلاثمائة وواحدا وعشرين رجلا ومائة وثمانية وثمانين امرأة وطفل وستة من القواد • وكان من بين الاسرى بعض من الضبانية والحمدة والشكرية • وعادت الحملة الى القلابات سالمة على الرغم من صعوبة الطريق ووعورته [١١٣] •

---

١١٢ : الطراز المنقوش ، ص ٥٠ـ ٥٣

١١٣ : المصدر السابق ، ص ٤٠ـ ٤٤

الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٦٩ـ ٧٠

وارسلت الحملة الثالثة ضد عجيل عوض الحمراني في غبشة وكانت بقيادة هنون النيل • وكان عجيل ماغتئ يقوم بغاراته على حدود دولة المهدية بغرض السلب والنهب • ففي ٢١ مايو (٢٧ شعبان) قام جماعة من اتباعه بالهجوم على حلة ابو حامد بجهة القومات ونهبوها • وفي طريق عودتهم قابلتهم جماعة من الانصار عند نهر عطبرة بقيادة محمد ولد عامر فقتلت منهم عددا كبيرا • وفي اواخر مايو (نهاية شعبان) قامت جماعة اخرى من انصار عجيل بالهجوم على حلة تدبي ولكن الانصار بقيادة عبد الوهاب ولد داود تمكنوا من صدهم [١١٤] • وتمادي عجيل الحمراني في اعماله العدوانية " فشرع في الفساد في الارض وشن الغارات على ارض الاسلام وسلب ونهب وقطع الطريق وانضم اليه المفسدون وقطاع الطرق ..." ووصلت اسماع يونس انه ينوي القيام بهجوم كبير على تبارك الله [١١٥] • فكتب يونس الى الخليفة بانه قرر القيام لمحاربة عجيل ولن يقتفي اثره • محل مايكون ولو كان مع

---

١١٤ الخليفة الى يونس الدكيم ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٧٤

١١٥ الطراز المنقوش ، ص ٥٣ـ ٥٤

النفس " ، ولكن اهل الراى من الانصار منعوه من ذلك خوفا من ان يحدث قيامه

" وهن رخم لضعفاء العقول بالنظر لقيام اكثر اهل السرية " معه ، وخوفا من

ان يقوم الحبش بالهجوم على القلابات اذا علموا بخروج الجيش مع يونس . اما اذا

بقى يونس بالقلابات فسيعتقد الحبش ان اكثر القوة باقية مع يونس بالقلابات . ولذلك

اشار الانصار من " اهل العزم والتدبير " على يونس بارسال هنون النيل على راس

" الغزوة " . وتحركت الحملة من القلابات يوم ٢٧ مايو (٤ رمضان) وكانت تتكون من

اربعة عشر الف بندقية وثمانمائة وثمان واربعين من حملة الحراب ومائة من الخيالة

بجانب رايات النور فقرا التى كانت تصاحب الحملة [١١٦] .

سارت الحملة حتى بحر باسلام حيث قابلت جماعة من اعوان عجيل بقيادة

الخيه اذ ان عجيلا كان قد ذهب لمقابلة يوحنا ليستنفره للقيام لمحاربة الانصار .

واستطاع هنون ان يهزم جماعة عجيل وان يقتل منهم نحوا من مائة وخمسين واسر

اعدادا كبيرة اخرى كما قتل احمد التوم احد قادة عجيل وكان " طليعة عجيل

---

١١٦ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٦٨

وعنيضه وقوته " • ثم توجهت الحملة الى مقر " حكومة " وهو احد عبيد الضبانية وكان قد هرب عند قيام المهدية وانضم الى عجيل واخذ فى شن الغارات من تلك المنطقة • واستطاع الانصار ان يحققوا نصرهم الثانى وكان ضد " حكومة " واجبروه على الفرار • ثم انتقلت الحملة الى حلال نقارة وهاجموها وقتلوا احد قادة عجيل ويدعى عبد الرحمن ولد الطاهر • ثم قابلت الحملة جماعة من الشكرية المعارضين للمهدية فقتلت منهم نحوا من ثلاثين شخصا • وعندما وصلت الحملة الى مقر عجيل وجدته شبه خالى ، فقتل الانصار البقية الباقية منهم واسروا عددا منهم • ثم عادت الحملة ادراجها الى القلابات بعد تلك الانتصارات المتعددة ومعها من الغنائم ستة " خروز ذهب " ، واثنان وثلاثون" شولق ذهب" ، وستة " مقمن ذهب " ، وثلاثة وثلاثون رقيق ، واثنان وعشرون جمال ، واربعة حمير [١١٧] •

وكانت اخر حملة ارسلها يونس ضد صالح شنقا وهى ايضا بقيادة منون النيل • وبعث الى الخليفة برسالة يوضح فيها الاسباب التى ادت الى ارسال تلك الحملة فقال

---

١١٧ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٧٦

" ... ان الباعث لتعيين انصار الدين لجهاد عدو الله صالح شنقا من هـذا الان عدة اوجه منها ان المذكور كلما اطفأت الحبشة نار الحرب اوقدها وكلما نامت الفتنة اثارها ... وكلما انهزم احد من المنافقين كان له ناصرا ... وتمكين بنات عمه وأقاربه الى المكادة ... ودوامًا متربص بنا وعارف باحوالنا بواسطة جواسيسه الذين يأتونه باخبارنا واكثرهم من التكارير فغيره على الاسلام وسدا لباب افساده اخترنا جهاده ... " كما اوضح يونس للخليفة ان الحملة مرسلة لاسباب عسكريـة استراتيجية وهى ان الحبش اذا هجموا بعد انتهاء فصل الامطار فان هجومهـم سيكون شاقا على الانصار خصوصا وان الحبش اكثر استعدادا من الانصار . لذلك رأى ارسال حملة لمفاجئتهم على غفلة " ليوقع الله الرعب في قلوبهم" . واذا تمكن الجيش من الهروب وافلتوا من الهجوم المفاجئ" فان فى " حرق حلالهـم وتدمير ديارهم رهبة لاعداء الله " وقطع دابرهم بحيث لا " تتعلق امالهم مـرة اخرى بصالح " [١١٨] . وكانت قد وصلت الى يونس بعض الاخبار مفادها ان صالح

---

١١٨ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٦٦

شنقا على علم باحوال الانصار ، وقد وصلته تلك الاخبار عن طريق جواسيسه • وعلم

يونس كذلك ان بعض روءساء التكارير في القلابات كانوا يرسلون جزية سنوية الـى

صالح ومقدارها الف ريال، وانهم طلبوا من صالح ان يدركهم لانهم لن يستطيعـوا

دفعها بعد ذلك لان الجهة قد خرجت عن ايديهم • وعلم يونس ان صالحا قـام

باستدعاء زعماء المكادة فاجتمع لديه عدد كبير منهم في مكان يدعى دبر سيفـا

بمقاطعة شلقة ، فاخذ صالح يستعد للهجوم على القلابات [١١٩] • لكل هذه الاسباب

مجتمعة قرر يونس ارسال حملة حربية ضد صالح ادريس ، وقد وافقه زعماء الانصـار

على رايه • وقرر يونس ان يخرج على راس الحملة ولكن عقلاء الانصار ترروا للمـرة

الثانية عدم خروجه ، ... يونس بدلا عنه عنون الفيل " لما فيه من البسالة

والهمة والشجاعة " ولم يكن قائد تلك الحملة عربي دفع الله كما ذهب الى ذلـك

الكردفاني • ولعل شهرة عربي دفع الله هي التي جعلت الكردفاني يقع في ذلـك

الخطا [١٢٠] • وخرجت الحملة من القلابات يوم ١٣ يونيه (٢١ رمضان) • واختارت

---

١١٩ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١٠ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ٣٨

١٢٠ الطراز المنقوش ، ص ٥٠ـ ٥١

الحملة ان تسير باقرب الطرق على الرغم من وعورته وممراته الضيقة لانه خالـي مـن السكان ويمكن قطعه في ثلاثة ايام • وكانت الحملة تتكون من الفين ومائتين وخمس وعشرين بندقية والف وثلاثمائة وسبعة عشر من حملة الحراب ومائة وثلاثة عشر خيالة ، وكان عدد الجهادية في الحملة الفا واربعمائة وخمسة وثلاثين بقيادة عربي دفع الله وابراهيم الرضيمه [١٢١] •

بعد مسيرة ثلاثة ايام وصلت الحملة على مقربة من حلة صالح شنقـا (١٥ يونية ، ٢٣ رمضان) وقرر الانصار مهاجمته في الحال حتى لايفلت منهم • فدارت معركة قصيرة بين الطرفين انتصر فيها الانصار ، اما صالح ادريس فقد تمكن من الفـرار مستـعينـا بالوديان والجبال التي تنتشر في تلك المنطقة [١٢٢] • وغنم الانصار كل ماله واهلـه ، وفقدوا شهيدين • ويبدو ان الهجوم كان فعلا مفاجئا حتى حقق تلـك النتائـــج الباهرة • ولكن صالح شنقا يرى ان سبب هزيمته راجع الى ان القائد الحبشي اكشم تبرو لم يخف لنجدته • فعزله يوحنا وولي دجاج برهي بدلا عنه • ثم قام الانصـار

---

١٢١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ١١٥

١٢٢ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ١٨٤

باحراق كل منازل الحلة وغادروها يوم ١٦ يونية (٢٤ رمضان) في طريق عودتهم .

وفي الطريق كان الانصار يقومون باحراق القرى وقتل اهاليها حتى وصلوا في منتصف

ذلك اليوم الى " المناتق" وهى الطرق الضيقة التى تنتشر في شعاب الجبال -

حيث وجدوا ان فلول جماعة صالح قد احتلوها . فقام بعض الجهادية بقيادة

سرور سليمان بالتصدى لهم وهزموهم . وفي اليوم التالى اعاد الاعداء الكرة ولكن

دون جدوى ، فقد كان الانصار متيقظين تماما . واستأنفت الحملة سيرها حتى

وصلت القلابات يوم ٢١/ يونيو (٢٩ رمضان) . وبلغت جملة خسائر الانصار واحدا

وعشرين شهيدا واربعة عشر جريحا [١٢٣] . وبلغت غنائم الانصار كميات كبيرة من

الذهب الشناوى وحوالى خمسين قطعة من الحلى الذهبية ، وتسعة وتسعين من الرقيق ،

ومائتين وثمانين ريالا ، وكل امتعة صالح شنقا واهله وعائلته . كما عادت الحملة

باعداد كبيرة من الاسرى الانصار الذين اخذوا بعد مقتل محمد ارباب [١٢٤] .

---

١٢٣ يونس الدكيم الى الخليفة ، ط٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١٨٨/٣/٢٢/١

١٢٤ امين بيت مال السرية الشرقية الى الخليفة ، شوال ١٣٠٤ ، مهدية ، ١٢/١/٢

واعتبر الخليفة ذلك الانتصار حدثا هاما فقام بتلاوة تفاصيله على الانصار فى مسجد امدرمان •

يبدو واضحا ان تلك الحملات التى ارسلها يونس تباعا لم تعد عن كونها غزوات او حملات تأديبية بقصد الغنيمة وتهدئة المنطقة • وكانت تلك الحملات موجهة فى جملتها ضد اولئك الذين هربوا من المهدية وانضموا الى جانب الحبش ، ولم تكن موجهة الى الحبش انفسهم ، ولذلك اقتصر نشاطها على الحدود الحبشية • وفى تلك الحدود لم يضع الحبش اى جيوش من عندهم بل اعتمدوا على اعوانهم من القبائل المحلية مثل التكارير والحمران وبعض الشكرية ، والضبانية • فلا الانصار ولا الحبش كانوا على استعداد فى ذلك الوقت لحرب كبيرة • فقد كان يوحنا فى دبر تابور يحاول تجميع جيوشه ، وكان الخليفة فى امدرمان فى انتظار وصول حمدان ابو عنجة ، لذلك طلب من يونس ان يكون مدافعا اكثر منه مهاجما • كما وجهه ليهتم بتسقط اخبار الحبش وتحركاتهم ، واكد عليه الاهتمام بتلك المهمة •

قضى يونس الدكيم بقية فترته فى القلابات (يوليو ٨٧ــ يناير ١٨٨٨ ، القعدة ١٣٠٤ ــ ربيع آخر ١٣٠٥) وهو يحاول التجسس على الحبش ومعرفة

اخبارهم لارسالها الى الخليفة ٠ فارسل له فى ٣٠ يوليو (٩ القعدة) يخبره ان عجيل الحمراني قد عاد من عند يوحنا وبصحبته تسما الحبشي بعد ان اصلح النفس بينهما ، وان عجيل قد استقر فى غبتة وهو " متعصب للقتال " ٠ اما يوحنـــا فهو مقيم فى زبول بجهات القالة " ٠ اما بقية اخبار الحبش فان يونس ليس على علم بها وتفاصيلها غير واضحة لديه [125] ٠ لاشك ان تلك الاخبار لم تزعج الخليفـــة لان عجيلا فى رايه لايمثل خطرا كبيرا ولا يمكن ان يعهد اليه الحبش بالقيـام بحرب واسعة النطاق ٠ ثم ان وجود يوحنا بجهات القالة يبعد فكرة الحرب فـى ذلك الوقت ٠ وقد كان الخليفة على يقين من ان الحبش لا يمكن ان يشنوا حربـــا فى فصل الامطار ٠ وفى ١٢ سبتمبر (٢٣ الحجة) ارسل يونس خطابا آخر الى الخليفة يكرر فيه انقطاع اخبار الحبش ويرد ذلك الى مراكنة محمد ارباب سكر لهم ، ولذلك فقد قرر اعتقاله وسجنه وارساله الى الخليفة [126] ٠

---

١٢٥ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٩ القعدة ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ١٣٩

١٢٦ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٣ الحجه ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٦٠

وفي نفس شهر سبتمبر (لخر الحجة) وصلت الى يونس بعض الاخبار مفادها ان يوحنا قد دعى كل روءساء دولته للاجتماع به بجيوشهم في دبر تابور ، وانه قد اجتمع اليه عدد كبير منهم وعلى راسهم منليك ورأس عدار • وقد حدد لذلك الاجتماع يوم ١٤ سبتمبر (٢٥ الحجه) لانه يوافق عيد "ضرب المزغل" احد اعياد الحبش حيث يجمعوا الاخشاب والحطب ويضرموا النيران ابتهاجا بانتهاء الخريف وحلول الشتاء[127] • وعلم يونس كذلك ان يوحنا نفسه كان قد عاد من ارض التقرى محل عشيرته الى دبر تابور وانه اخذ يستعد للهجوم على القلابات كما تواترت الاخبار الى يونس بوصول سيوم الحبشي الى جهة غورة" وبصحبته ادريس على وهو من قبيلة الحمدة ،وكان يونس قد بعثه للتجسس على الحبش فانحاز اليهم • وعلم يونس كذلك ان راس عدار قد وصل الى شلقة" وانضم له صالح شنقا ودجاج تسمى وعجيل • وانهم ناوين" الهجوم على القلابات من ثلاثة جهات وانهم ارسلوا طلائعهم الى جهة التومات وانهم مداومين على ذلك يوميا[128] •

---

١٢٧ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٨ الحجة ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ق ٢٢/ ٣/ ١٥٩

١٢٨ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٦ الحجة ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ١٧٤

ووصلت اخبار اخرى الى يونس تفيد ان شخصا يدعى محمد ولد الفحل الصليحابى ،
من قبيلة صليح المقيمة بجهات القلابات ،كان قد ذهب الى قدبى ومنها عبر نهـــر
عطبرة الى مكان يسمى خور الدوم على الحدود الحبشية ، وهناك وجد اعدادا كبيرة
من الحبش متجمعين تحت قيادة دجاج بوهى • كما علم ان يوحنا مصمم علــى
غزو القلابات وانه قد اجتمع له جيش كبير قام بتقسيمه كل اربعة اقسام : قسم فــى
دبر تابور ، واخر فى شلقه ، وثالث فى دبر سينا ، والاخير فى جركن مع دجـــاج
برهى ، وذلك لان يوحنا قرر الهجوم على القلابات من اربعة جهات [١٢٩] • وفــى
منتصف اكتوبر (اواخر محرم ١٣٠٥) اكد يونس للخليفة خبر استعداد الجيش للهجوم •
فقام يونس من جانبه باجراء تحركات احتياطية لمواجهة الهجوم المرتقب • فوضـــع
البديرية بقيادة النصرى محمد العالم فى مواجهة صالح شنقا ، والجوامعة بقيادة عبد
الله جاموس على جهة شلقة ، والحمر بقيادة محمد احمد ابو ام فضالى على جهة غورة ،
وعبد الله البرقاوى على جهة قدبى • فقام كل امير بارسال دوريات لتستطلع اخبـــار

---

١٢٩ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ الحجه ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/٢٢/٣/ ١٨٤

الحبش ، وكانت تلك الدوريات تدخل في اشتباكات مع الحبش احيانا [١٣٠] .

لعله من الواضح من تلك الخطابات التي كان يبعث بها يونس الى الخليفة ان الحبش كانوا يقومون ببعض الاستعدادات الحربية . ولكن بعض الروايات التي كان يوردها يونس عن خطورة تلك الاستعدادات ربما كان مبالغ فيها . ولعل يونس كان يرجو من ذلك وصول نجدات من الخليفة او لعله اراد ان يظهر امام الخليفة بمظهر المدافع عن المهدية ونحوها .

ظلت اخبار الحبش بعد ذلك منقطعة لمدة قصيرة وذلك حتى اوائل نوفمبر (منتصف صفر ١٣٠٥) حتى اخذت تصل اخبار تحركاتهم بشكل منتظم .. ففي يوم ٣ نوفمبر (١٦ صفر) وصل رسول من عبد القادر البشير عامل القومات ليخبر يونس الدكيم بوصول الحبش الى جهة سركنه وانهم متجمعين على ثلاثة فرق ، سركنه ، البادوبه ، والماء الاخضر بشرق جبل نقاره على مسافة يوم ونصف من ديم النور فقرا [١٣١] . وفي يوم ٨ نوفمبر (٢١ صفر) وصلت اخبار من النور فقرا تفيد ان

---

١٣٠ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٦ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٤/ ٢٤٤

١٣١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٦ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٤/ ٢٤٠

عجيلا ومعه جمع كبير من المكادة قد توجهوا الى بحر سيتيت وليس معلوم وجهتهم •

وبعد اسبوع علم ولد نفترا ان الحبش قرروا الهجوم عليه يوم ٢٠ نوفمبر (٤ ربيع اول) فاستنجد بيونس الدكيم • وبالرغم من ان يونس كان يعتقد ان هجوم الجيش الرئيسي لن يكون على تبارك الله ، انما اظهروا ذلك للخديعة ، الا انه قام بارسال نجدة الى ولد نفترا تتكون من خمسة رايات [١٣٢] • وبقى مع يونس بالقلابات اثنان وعشرون الف وثمانمائة واربع وتسعين مجاهدا منهم تسعة الاف ومائتان وتسعة عشر باسلحة نارية ، وبقى معه كذلك خمسمائة وواحد وتسعون خيالة •

وبينما كان يونس يستعد لمواجهة الحبش نشب صراع داخلى فى الحبشة بين يوحنا واحد قواده • فقام دجاج تسما بجيشه وانضم على يوحنا وتبعته بقية الجيوش على الحدود وتفرقت بذلك جموع الحبش التى كانت فى مواجهة الانصار [١٣٣] •

---

١٣٢ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩صفر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٤/ ٢٥٢

١٣٣ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١١ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٤/ ٢٨٦

وقبل أن يتجمع الحبش للمرة الثانية كان حمدان ابى عنجة قد وصل الى القلابات

وبحضوره حدث تحول فى القيادة ادى الى نقل يونس من القلابات فغادرها

فى منتصف يناير ١٨٨٨ (اخر ربيع اخر) الى امدرمان [١٣٤] • وبذلك انتهت فترة

يونس الدكيم فى القلابات والحبش يقومون باستعداداتهم الحربية من جانب والانصار

يستعدون من الجانب الاخر • وبقى حمدان ليقود الجهاد على جبهة القضارف ـ

القلابات •

---

١٣٤ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٧ ربيع اخر ١٣٠٥ ،مهدية ، ١/ ٢٢/ ٤/ ٢٩٦

الفصل الثالث

١
حمدان ابو عنجة فى القضارف ــ القلابات
(١٨٨٧ ــ ١٨٨٩) (١٣٠٥ ــ ١٣٠٦ هـ)

تعد فترة حمدان ابو عنجة من اهم الفترات فى تاريخ العلاقة بين المهدية والحبشة • ويمكن معالجة هذه الفترة من جانبين : من جانب القضايا الداخلية والمشاكل التى تعرض لها ابو عنجة فى تلك المنطقة مثل الصراع بينه وبين يونس الدكيم ، والقضاء على حركة محمد ادم الذى ادعى النبوة ومجاعة سنة ١٣٠٦ • والجانب الثانى علاقة دولة المهدية بالحبشة وحروبات حمدان فى تلك المنطقة •

---

١ ولد حمدان ابوعنجة حوالى عام ١٨٣٧ • وقد بنوت هذا التاريخ تقديرا على وفاته عام ١٨٨٩ وكان عمره حوالى ٥٢ عاما •

وينتمى الى قبيلة المناضلة والتى كانت تتبع قبيلة التعايشة فى التركية • وقد نشأ حمدان عبدا فى بيت الخليفة عبدالله • ولكنه عومل معاملة حسنة من قبل عبد الله وعائلته واعتبر كفرد فى تلك العائلة • وكان من عادة البقارة ان يحسنوا معاملة رقيقهم بل كانوا احيانا يزوجونهم من بناتهم (Ten Years Captivity, P.221) وتعلم حمدان من التعايشة فنون الفروسية واشترك مع القبيلة فى حروباتها ضد الزبير باشا حيث وقع فى الاسر • وبعد ان اطلق سراحه عاد الى قبيلته ولم يحدث فى حياته شيئا يذكر حتى قيام المهدية •

انتقال حمدان ابو عنجه الى القلابات

فى منتصف عام ١٨٨٦ (مطلع عام ١٣٠٤) — قبل هجوم الحبش على القلابات — استدعى الخليفة حمدان من جبال النوبة وطلب منه ان يكتم خبر مجيئه وان يكون تحركه باقصى مايمكن من سرعة [٢] . فما هى الاسباب التى ادت الى ذلك الاستدعاء المبكر ؟ هل كان الخليفة يريد ان يكون حمدانـــا

———

وعند قيام المهدية كان من اوائل من انضموا اليها ، ولمع اسمه عندما اوكل اليه قيادة الجهادية التى كونها المهدى بعد سقوط الابيض . ولعل ذلك التعيين قد كان بايعاز من الخليفة الذى لم يشأ ان تكون قيادة الجهادية فى يد شخص لايثق فيه شخصيا . وقد كان وجود حمدان ابو عنجه فى قيادة الجهادية من العوامل التى ادت الى تقوية موقف الخليفة . واشترك ابو عنجة بجهاديته اشتراكا فعالا فى انتصار المهدى على حملة هكس ، كما احتل حامية امدرمان . وقام فيما بعد باعتقال محمد خالد زقل ، كما اعتقل مادبو على وقتله . وقام بعمليات ناجحة ضد صالح فضل الله شيخ الكبابيش . وفى اثناء تلك العمليات استدعاه الخليفة للتوجه للقلابات .

كان حمدان طويل القامة غليظ اللحية قوى البنية خفيف اللحية اشيبها ، اسود اللون مهيب الطلعة ووصف بانه كان حسن الخلق سديد الراى وكان من اشد قواد المهدية باسا واكثرهم جراءة . وكان مطيعا للخليفة الى درجة بعيدة . ولعل اهم ميزاته سيطرته التامة على الجهادية . وبلغت عدد الخطابات التى تبادلها مع الخليفة ٨٦٣ خطابا .

٢ الخليفة الى حمدان ابو عنجه ، ٤ صفر ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٥/ ٤/ ٢٠٢

بجانبه لتقوية موقفه الداخلي ؟ لاشك ان ذلك لم يكن سببا قويا لان الخليفة فـي ابريل ١٨٨٦ (رجب ١٣٠٣) كان قد اخمد المعارضة التى تجمعت ضده واصبح موقفه قويا نسبيا • وفى غالب الامركان استدعاء حمدان مرتبطا بالوضع العسكرى على الحدود الحبشية • ويرى سلاطين ان استدعاء حمدان كان سببه صمت يوحنا وعدم رده على خطاب الخليفة [٣] • ولعله من المستبعد ان يحرك الخليفة ذلـــك الجيش الكبير من صحارى كردفان لمجرد امتناع يوحنا عن الرد • ويذهب كثير من المؤرخين الى الربط بين مجيء حمدان وهجوم الحبش على القلابات وقتل محمد ارباب [٤] • ولكن استدعاء الخليفة لحمدان كان قبل هذه الحادثة • اذا فاستدعاؤه كان عملا احتياطيا فى بادىء الامرثم ادت الاحداث لارساله بكل جيشه الـــى القلابات • ولذلك عندما بدأ ابو عنجة يستعد لمغادرة الابيض طلب منـــه الخليفة الا يتعجل فى الحضور اذ ان الخليفة كان قد اطمأن حينئذ من موقـف

---

٣ Slatin, op.cit, P. 416

٤ قال بهذا الرأى كل من شقير والكردفانى وهولت •

الحبشة ، وتأكد له ان الحبش لن يواصلوا انتصارهم في القلابات بالزحف غربا .
فكتب الى ابي عنجة قائلا : " حيثما ان الجهات ساكنة وليست بمتحركة واعداء الله
الحبش الذين اسبقنا لكم القول فيهم هربوا ولم يفضل منهم باقي فينبغي ان تكونوا
في حالة حضوركم ثابتين .... ولا تنزعجوا في الحضور لعدم الموجب لذلك "[٥] .

اخذ حمدان ، اذا ، يستعد للتوجه الى امدرمان في فبراير (جماد اول)
فوصل الى ضواحيها في ٢١ مارس (٢٧ رجب) . وفي اليوم التالي دخل بجيشه
مدينة امدرمان[٦] . وكان دخوله في غاية الانتظام لان الخليفة كان مهتما بمظهر

---

٥ الخليفة الى حمدان ابي عنجه ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ١٥/ ٤/ ٣٠٣
٦ الخليفة الى حمدان ابي عنجه ، خ ٢٧ رجب ١٣٠٤ ، مهدية ١/ ٢٥/ ٩/ ٣٨٠
حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ٢٧ رجب ١٣٠٤ ، مهدية ، ٢/ ٧٠٢/ ٥٢
تعرض هولت (Holt, The Mahdist State, P 151) الى اخطاء المؤرخين
في تحديد التاريخ الذي وصل فيه حمدان الى امدرمان . فسلاطين يحدده بنهاية
يونيه الذي يصادف عيد الفطر . واهرولدر يحدده بنهاية يوليو ويجعل ذلك الشهر
يصادف عيد الاضحى . ولعل الذي ادى الى هذا الخلط ان حمدانا وصل البقعة في
٢٧ رجب وكان الخليفة يحتفل بهذه المناسبة الدينية احتفالا كبيرا (الرجبية) ولذلك اعتقد
سلاطين واوهرولدر ان ذلك الاحتفال اما عيد الفطر او الاضحى اذ ان كلا الكاتبان كان
يكتب من الذاكرة .

الجيش وترتيبه قبل وصوله بمدة طويلة • فكتب الى ابى عنجة فى ١٨ فبراير (٢٤ جماد اول) ليلتفت الى مظهر الجيش فقال له " وبعد ان تنزلوا البحر مكانة الجيش لازم ان تامره بغسل جبهم بالصابون ونزع ملابس الجبال الوسخة وتامرهم ان يتنظفوا والعارى منهم تكسيه وتراعيهم حتى تقابلهم على حاله حبيبة ترهب العدو وتسر الصديق •"[٧] ولعل هذا راجع الى ان القبائل النيلية كانت تحتقر قبائل الغرب لعدم تهذيب مظهرها ، فراى الخليفة ان يتفادى هذه الظاهرة ، او ربما ادرك بنفسه هذا الفارق الحضارى فعمل على التقليل منه •

وكان الجيش الذى صحبه حمدان من الغرب يتكون من ثمانية وعشرين الفا ومائتين وواحد وخمسين جنديا ، منهم واحد وثلاثون وتسعمائة وخمسة وخمسون من العنواتل • وبلغ عدد حملة الاسلحة النارية تسعة الاف وثمانمائة وسبعة واربعين ، منهم ثمانية آلاف واربعمائة وسبعة وثمانون ببنادق رامنتون والف وثلاثمائة وستون بابى لفقه وابى روحين • وعدد الخيول الف واحدى عشر ، والدروع مائة وواحد وثلاثين ،

---

٧ الخليفة الى حمدان ابى عنجة ، ٢٤ جمادا اول ١٣٠٤ ، مهدية ١٢/ ٢٥/ ٤/ ٣٣

"واللبوس" واحد وسبعون • وكان مع الجيش مئتان وواحد وثمانون من صناديـــق الجبخانة ، وخمسة مدافع ، وخمسة صواريخ ، وثلاثة وستون نحاسا ، وواحـــد وسبعون "بوريا" وستة وعشرون "ترنبيطة" • ووزع ابو عنجة جيشه على واحـد وثمانين راية • وبلغ مجموع الجهادية ثمانية آلاف ومائة وست وتسعين • [٨]

وفي امدرمان مكث ابو عنجة حتى منتصف اكتوبر (منتصف محرم ١٣٠٥) •

فما هي الاسباب التي ادت الى ابقاء حمدان بجيشه الكبير في امدرمان شبه معطل قرابة نصف عام ؟ لعل اهم سببين هما بداية فصل الامطار وانحسار خطر الهجوم الحبشي مؤقتا • ولذلك لم يشأ الخليفة ان يرمي بجيش كبير ومعه الآف العوائل للزحف اثناء فصل الامطار • وتصادف في ذلك الوقت ان حدث عصيان قبيلة

---

٨ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ٢٦ رجب ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/٢٨/٨/ $\frac{٢٥}{١}$

ذكر سلاطين (ص ٤١٦) ان الجيش الذي كان مع ابي عنجة هو اكـبر جيش تجمع في تاريخ المهدية وان تعداده بلغ خمسة عشر الفا باسلحة نارية وخمسة واربعون الف باسلحة بيضاء وثمانية الاف من الخيالة • ولكن هذه الارقام مبالغ فيهـا لان التعداد الذي اجراه ابو عنجه كان دقيقا اذ قام بحصر الجيش "راية راية مقدم مقدم نفر نفر بالاسماء" •

رفاعة الهوى بقيادة شيخها صالح ابوروف . فقام الخليفة بارسال جزء من جيش حمدان بقيادة عبد الله ابراهيم واسماعيل الامين والزاكى طمل لتأديب قبيلة رفاعة ولخضاعها [٩] . ولعل الخليفة قد ارسل ذلك الجزء من الجيش الى الجزيرة لانه لايستطيع اعاشة كل الجيش فى امدرمان فرأى ان فى ارسال جزء منه الى الجزيرة مايخدم له غرضين هامين .

وعندما شارف فصل الخريف على نهايته راى الخليفة ان يبعث بابى عنجه الى القلابات لمواجهة تحركات الحبش العسكرية التى اخذت تزداد فى ذلك الوقت [١٠] . فغادر الجيش امدرمان يوم ٦ اكتوبر (١٨ محرم ١٣٠٥) [١١] سائرا بالشاطئ الشرقى

---

٩ يقول الكردفانى ان حمدانا ارسل عبد الله ابراهيم والزاكى طمل الى الجزيرة . ولكن اسم الزاكى طمل لايرد فى منشورات الخليفة فى هذه الفترة كقائد هام بل يرد اسم اسماعيل الامين . اما الزاكى فكان فى هذه الفترة تابعا لربع عبد الله ابراهيم حتى ان حمدانا وضعه محل عبد الله عند مرضه .

١٠ الطراز المنقوش ، ص ٥٥-٥٦

١١ يذكر هولت (The Mahdist State, P. 152) ان حمدانا غادر امدرمان يوم ٧ اكتوبر (١٩ محرم) . ولكنى حددت التاريخ على اساس خطاب

للنيل بينما كان ابوعنجة يتابع مصر الحملة من الوابور . وفى ابى حراز انضم اليه

احمد على ومحمد الطيب ، كما ارسل يستدعى عبد الله ابراهيم واسماعيل الامـــين

والزاكى طمل من الجزيرة [١٢] . وفى ابى حراز بدأ فى تعدية الجيش الى الجانـب

الغربي و ارساله على دفعات صوب القلابات لانه جيش كبير فاذا سار فى دفعة

واحدة فقد تنشأ مشكلة حول موارد المياه [١٣] . وفى يوم ٢٣ اكتوبر (٥ صفــر) ،

وحمدان مازال بابى حراز ، وصلت اخبار من يونس الدكيم تفيد ان العدو قــد

تأهب للهجوم على القلابات فقام حمدان فورا بتجهيز جيش بقيادة عبد الله ابراهيم

" مجرد من كل العوائق " ليتوجه رأسا الى القلابات ، وجيش اخر بقيادة اسماعيـل

الامين ليلحق به بعد يوم ، وبعدهما تقوم الجبخانة توا . وتحرك الفوج الاول يوم

= مرسل من ابى عنجة الى الخليفة يخبره بوصوله الى الكاملين يوم ٦ اكتوبر
مهدية ، ١٢٩/١ ، ١/١ / ٢/١ ، ٨ محرم ١٣٠٥ .
وبما ان الكاملين تقع على مقربة من امدرمان فالارجح ان ابا عنجه غادر امدرمـان
فى نفس اليوم او ربما قبل يوم على اكثر تقدير .

١٢ الطراز المنقوش ، ص ٦٩-٧٠

١٣ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ٥ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ٢/٣٥/٧/١٠٧

٢٥ اكتوبر (٧ صفر) بقيادة الزاكى طمل الذى حل محل عبد الله ابراهيم لمرضه .

ويوم ٢ نوفمبر (١٥ صفر) تحرك اسماعيل الامين من بعده . وسار الزاكى واسماعيل

الامين بطريق القلعة ـ رانيج ، واتبعهما بالنور عنقرة على ان يسلك طريق " البحر "

حتى لاتحدث مشكلة فى الماء ، على ان يلتقيا فى راشد . وفى هذا الاثناء ارسل

يونس رسالة اخرى يستعجل قدوم الحملة نظرا لقرب هجوم الحبش . كما وصلت

رسالة اخرى من عبد القادر البشير عامل التومات تفيد بقدوم عجيل/ على راس قوة كبيرة [١٤] .

فقام حمدان بمضاعفة استعداده فارسل الجبخانة امامه يوم ٥ نوفمبر (١٨ صفر) ،

وتحرك هو من بعدها بعد ان مكث شهرا فى ابى حراز . وكان سبب ذلك التأخير

كثرة عدد الجيش وبطء حركته فى عبور النيل . وسلك حمدان طريق " البحر "

متجها الى القضارف . وفى يوم ٩ فبراير (٢٢ صفر) وصل مشرع ليوقة وهناك لحق به

عبد الله ابراهيم مع الجبخانة . ويبدو ان رسائل يونس المستمرة قد اثارت حمدان

وجعلته يجد فى سيره . وقد وضح استعجاله من خطاب بعث به الى الخليفة

---

١٤ النور عنقره الى حمدان ابى عنجه ، ١٧ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ٢/ ٤١/ ٦/ ٤٦

من مشرع لويقة يقول فيه " ... ولذلك سيدي بعد ان قصدنا سابقا تدريج الذين هم معنا الى ان يتم الوصول بالمركز نقصنا كافة المجاهدين اهل السلاح وخصصنا للجبخانة الجمال القوية جدا وقمنا ظهيرة يومنا هذا جادين السير على بركة الله ... ونشرنا لكافة الاخوان تداما على ان يتفصلوا من كافة العوايل والمشقلات وينشطوا للغاية ... "[١٥] وفي يوم ٧ نوفمبر (٢٠ صفر) وصل الجزء الاول من الجيش بقيادة الزاكي والنور عنقرة الى سرف سعيد وانتظروا بها وصول بقية الجيش ليدخلوا معا الى القلابات[١٦] . وفي يوم ١٣ نوفمبر (٢٦ صفر) وصل ابو عنجة الى جبل بيلة . ويوم ١٨ نوفمبر (٤ ربيع اول) دخل حمدان القضارف . ويوم ٢٠ نوفمبر (٤ ربيع اول) وصل الى سرف سعيد بعد رحلة شاقة اسرع فيها حمدان السير وذلك لان يونس الدكيم كان قد اخبره بان الحبش ينوون الهجوم يوم ٢٠ نوفمبر (٤ ربيع اول) وهو يوافق نفس اليوم الذى هجموا فيه على القلابات فى العام الماضي

---

١٥ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ٢٢ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٩/ ١/ ٢٦

١٦ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٦ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٢/ ٤/ ٢٤١

وقتلوا محمد ارباب • ولعل يونس الدكيم قد خمن هذا التاريخ وليس نتيجة معلومات موكدة • ثم اخذ ابو عنجة في ترحيل الجبخانة حيث تم وضعها في خور أُطرب على بعد ساعة ونصف من القلابات • وفي ٢٥ نوفمبر (٩ ربيع اول) تم اكتمال جميع رايات الجيش ماعدا احمد على الذى وصل براياته البالغ تعدادها تسعة الاف جندى بعد شهر من وصول حمدان (٣ يناير ٨٨ — ١٨ ربيع ثاني ١٣٠٥) • ورأى ابو عنجة ان يكون دخول الجيش الى القلابات على دفعات "بحيث ان في كل يوم او يومين تاتى سرية لما في ذلك من الرهبة والرعب للكافرين ولكونه اوقع في قلوبهم واشد عليهم من دخول الجيش باكمله " • وفى يوم ٢٨ نوفمبر (١٢ ربيع اول) بدأ حمدان فى ارسال الجيش الى القلابات وفى ٢ ديسمبر (١٦ ربيع اول) دخل ابو عنجة مع ماتبقى من الجيش ، فكانت جملة راياته تسعا وسبعين راية [١٧] • وكان ابو عنجة قد امر ببناء حائط مربع محل نزول الجيش اذ " كانت القلابات من قبله بدون ترتيب ولاتمييز لاحوال النازلين " • فرتب كل قبيلة

---

١٧ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ١٨ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية ١/٢٢/ ٤/ ٢٤١

بمكان منفصل ، وكذلك فصل الرايات عن بعضها ، كما امر ببناء اماكن من الطوب لحفظ الجبخانة [١٨] . وهكذا تم وصول حمدان بجيشه الى القلابات بعد رحلة دامت مايقرب من شهرين .

الصراع بين حمدان ابى عنجة ويونس الدكيم :

يرجع هذا الصراع الى بداية تعيين حمدان على راس الجيش المتوجه للقلابات . ولعل الخليفة قد ادرك ان مثل ذلك التعيين قد يثير يونس الدكيم . ولذلك كتب الى يونس الدكيم ، قبل تعيين حمدان على القلابات ، يطلب منه ان يرسل الى حمدان اخبار الجبهة . ولعل الخليفة قصد بذلك ان يمهد لتعيين حمدان على القلابات . وعندما قرر ارسال حمدان كتب خطابا مطولا الى يونس شرح له فيه العوامل والظروف التى ادت الى ارسال حمدان الى القلابات . فذكر ليونس ان منطقته بها اعداد كبيرة من الاعداء من حبش وغيرهم ، ونظرا لاهتمام الخليفة بتلك المنطقة ولاجل نصرة الدين فقد راى ان يبعث بابى عنجة على راس جيش كبير

---

١٨ الطراز المنقوش ، ص ٧٥-٧٦

للمحافظة عليها • ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن ابى عنجة وعن مكانته وانه من "الاقارب الاحباب الباذلين انفسهم معنا فى السراء والضراء ومن خاصة الرجال الذين يجب المراعاة لهم وحرمتهم على جميع المؤمنين" فضلا عن ان يونس بالنسبة للخليفة هو "النفس والحالم الواحدة" • ثم ذكر له ان حمدانا موضع رضائه ورضاء يعقوب • وحدثه كيف كانت علاقة حمدان بعثمان ادم عندما كان فى كردفـــان ، وكيف ان عثمان ادم كان يحترم حمدانا ويجله ويتادب معه ويحسن معاملته ومعاملة كافة من معه من الانصار ، وان عثمان ادم كان يفعل ذلك عملا بوصية الخليفة وانـــه بذلك قد شرح صدر الخليفة اذ ان تصرفه مع حمدان كان "كامرنا وزيادة حـــتى نال الرضا •" وبعد هذه المقدمة طلب الخليفة من يونس ان يفيده ان كان يرغب فى قدوم حمدان اليه ، وهل هو على استعداد لاحترامه واكرامه وتوقيره مثل ما فعل عثمان ادم ؟ فان كان على استعداد فعليه ان يكتب الى الخليفة حتى "ينشـــرح صدرى ويتوجه لك الحبيب المذكور واذا كان لا مقدرة لك على اكرام الحبيب •••• تفيدنا لنحرر اليه بعدم الوصول اليك" [١٩] لاشك ان هذا الخطاب قد وضع يونس

---

١٩ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٥ الحجه ١٣٠٤ ، مهدية ١/ ٢٤/ ٩/ ٤٨

الدكيم فى موضع دقيق ، فهو لايستطيع رفض حمدان قائدا عليه بعد كل ماذكره الخليفة ، وفى نفس الوقت سيجد صعوبة كبيرة فى قبوله . ولكن خطاب الخليفة كان بارعا فلم يجد يونس مخرجا الا ان يكتب الى الخليفة موافقا على قبول حمدان ، وكان رده مقتضبا للغاية [٢٠] . فى نفس الوقت بعث الخليفة الى حمدان نسخة من خطابه الذى بعثه الى يونس .

ورأى الخليفة ان ينفصل مكان اقامة جيش حمدان عن جيش يونس ، حتى يتفادى اى احتكاك قد ينشب بين القائدين . فكتب الى ابى عنجة فى شىء من التلميح قائلا " وعند وصولكم لجهة القلابات ومداولتكم انت والحبيب يونس فى محل النزول فالمحل الذى تروا منه اللياقة لنزول الجيش اذا كان خارج مركز ناس يونس او خلاف ذلك تجربوه " [٢١] . كما طلب من حمدان بان لايدع مجالا للوشاية بينه وبين يونس ، وذكره بانه هو الاخ الاكبر " المأمول فيه جمع الشمل "

---

٢٠ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٧ محرم ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٢/ ٤/ ١٩٩

٢١ الخليفة الى حمدان ابى عنجة ، ٣ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ، U.C./٥٦

ولعل هذه اشارة الى ان حمدانا هو القائد الاول ، حقا لقد كان الخليفة في بداية الامر في حرج من امر هذين القائدين ، احدهما قريبه ويثق فيه كثيرا ، والثاني قائد مقتدر له مكانة وله نفوذ وموضع ثقة الخليفة ايضا ، فايهما يؤيد في مركز القيادة ؟ لعل الخليفة كان اميل الى ابي عنجة ولكنه لم يشأ ان يحرج قريبه بل وابن عمه . وكان الوضع الامثل بالنسبة للخليفة ان يظل يونس الدكيم بجانب حمدان . ولكنه شعر بعدم رغبة يونس في ان يكون في المرتبة الثانية . فبدلا من عزله آثر ان يبقيه في القلابات مع الاحتياط لتفادي اي احتكاك بينه وبين حمدان . ولذلك لجأ الى فصل جيشه عن جيش حمدان ، ولم تكن فكرة الفصل هذه من عند يونس كما قال بذلك نعوم شقير [٢٢] . ولعل الخليفة قد اقترح انفصال القائدين في عدة امور اخرى وهذا ما اشار اليه حمدان بقوله " وعلمنا من منطوق الاوامر الكريمة اننا على جماعتنا والحبيب يونس على جماعته وتكن الموافقة بين الفريقين في نصرة الدين [٢٣] " ولكن

---

٢٢ نعوم شقير ، ص ١٠٦٨

٢٣ حمدان ابو عنجة الى الخليفة، ٢٦ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٩/ ١/ ٤٣

الخليفة راى ان يشير الى اولوية حمدان بالقيادة دون ان يلجا الى اصدار اوامر مشددة فكتب الى يونس طالبا منه اتباع " اشارة ... حمدان وامتثال امره ولا يخالفه .... فى شيء ما ولا تكون له مشاركة فى ذلك ... ولانه له خبرة وتجربة فى الحروب " [٢٤] . لقد اتخذ الخليفة كل هذه الاجراءات والاحتياطات قبل وصول حمدان الى القلابات . وهذا دليل على ان الخليفة كان يشعر بما سيكون عليه مسلك يونس مع ابي عنجة .

وعندما وصل حمدان الى القلابات وجد ان موضوع بيت المال لم يحسم بعد ، وهل هو تابع ليونس ام تحت امرته هو . ويبدو ان يونس الدكيم قد اثار صراعا فى هذا الامر . اذ ما ان وصل حمدان الى القلابات حتى طلب من الخليفة ان يعزل محمد حمزة العمرابي امين بيت مال القلابات والذى كان قد عينه يونس ، واقترح استبداله بمحمد ابي القاسم صالح . كما طلب من الخليفة ان يحدد الوضع بالنسبة لبيت المال فكتب اليه قائلا بان " بيت المال ماوقفنا فيه من جناب

---

٢٤ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٠ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ٢٢٣/٤/٢٢/١

السيادة على اشارة بتصريح ولا تلويح ... نرجو الارشاد "[٢٥]

واقترح حمدان عند وصوله الى القلابات ان ينتقل بجيشه الى التومات ليبتعد عن يونس . فكتب الى الخليفة يطلب الاذن بذلك ، وذكر له ان سبب انتقاله الى التومات لانها معتدلة الارض وهواؤها صحي وفيها " نوعا من التنفيس على الجيش بدلا عن تراكمه محلا واحدا " . كما ذكر للخليفة ان جهة القلابات تصبح في زمن الخريف غير صالحة للحيوانات ويصعب فيها الحركة وتنقطع المواصلات مما يجعل الحصول على قوت الجيش امرا فيه مشقة وهذا يجعل ضبط الجنود وحفظهم صعبا مالم " يروا الكفاية في المعاش" . وذكر له ايضا ان الجيش منذ وصوله الى القلابات قد اصيب " بمرض الدم " ، وان هذا المرض يشتد في زمن الخريف ، وقد مات عدد كبير منه وربما ازداد العدد بعد ذلك . واشار حمدان كذلك الى ان الخريف في القلابات يجعل حركة الجيش تتوقف تماما ولا يمكن تحريكه ضد الحبش او الى اي جهة اخرى[٢٦] . وعلى الرغم من ان ابا عنجة قد قدم حججا قوية لاقناع الخليفة ليسمح

---

٢٥ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٦ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٩/ ١/ ٤٣

٢٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٦ جماد اخر ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٩/ ١/ ٩٥

له بالانتقال للتومات الا ان الخليفة لم يقبل طلبه ورأى انه من الاصلح " جعل الديم بالقلابات محلا واحدا بحيث يكون قريبا ملتصقا " فذلك " اولى من الفرق بينهما لما فيه من وجوه المضار الشتى " • واقترح على ابى عنجة بدلا من الانتقال الى التومات ان ينفصل "بديمه " عن يونس الدكيم [٢٧] • من الواضح ان الخليفة لم يشأ ان يفصل جيوشه ويفرقها فى عدة جهات مما قد يضعفها عسكريا • ولكن يبدو انه فيما بعد ، وبعد عزل يونس من القلابات ، قدتبين وجاهة الحجج التى اوردها حمدان فكتب اليه مقترحا ان ينتقل من القلابات الى عصار او دوكة • ولكن حمدانا فضل حينئذ ان يبقى بالقلابات فقد حسم فى ذلك الوقت الخلاف بينه وبين يونس [٢٨] • وعلى الرغم من ان فكرة الانتقال من القلابات التى اقترحها حمدان قد غلفها صراعه مع يونس حول السلطة ، الا ان الحجج التى اوردها عن القلابات وعن عدم صلاحيتها تكشف لنا عن حقيقة هامة وهى ان تلك المنطقة لم تكن صالحة لاستقرار الانصار بشكل مستديم • ولذلك فقد كان وجود الانصار بها وجودا سطحيا مرتبطا

---

٢٧ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ٩ جماد لخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٠٤

٢٨ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ٢٧ جماد لخر ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٩/ ١/ ١١١

بالوضع العسكرى الذى نشأ فى ذلك الوقت • ولعل جحافل الانصار كانت تشعر بغربتها عن تلك المنطقة •

بعد انقضاء شهر على حمدان فى القلابات قام يونس فجاة بالتسليم الكامل له وتنازل عن " الرايات والجهادية وبيت المال والاسلحة وجميع الالات الحربية وغيرها " ولكن الخليفة لم يوافق على تلك الخطوة فامر حمدانا بان يرد الى يونس " جميع اشغاله المتنازل عنها ويكن على ماهو عليه " [٢٩] ، فما الذى جد فى موقف يونس حتى اتخذ تلك الخطوة ؟ هل احس بضعف موقفه امام حمدان ، ام اراد ان يكسب رضاء الخليفة فاظهر الطاعة وعدم الاكتراث بالسلطة ؟ يبدو فعلا ان يونسا كان يرمى الى شيء من هذا القبيل اذ ان تلك المناورة التى قام بها عادت عليه بالفائدة اذ طلب الخليفة اعادة سلطاته اليه • ولم يكن تنازله رغبة منه وايثارا لحمدان بالقيادة •

واستمر يونس يضع العراقيل امام حمدان مما صعب عليه القيام بواجباته •

---

٢٩ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٢ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية ١/٢٢/٤/٢٦٥

فقد كتب حمدان الى الخليفة فى ابريل (رجب) بانه منذ وصوله الى القلابات لم يجد " راحة فى الدين " فاضطر الى السكوت خشية " موجبات الفشل " ولانه وجد " اعراضا من الكل " فاختصر على حدود ماالديه من الاوامر والوقوف على " ادبنا وصرنا لا حل لدينا ولا ربط ... ولم يكن وقتها حالنا الا كحال الاخرين ".[٣٠]

يبدو ان الخليفة قد اقتنع بعد تلك التطورات بعدم جدوى سياسته الخاصة بابقاء يونس مع ابي عنجة فقام باستدعائه الى البقعة فى يناير (جماد اول) . ومكث يونس الدكيم ملازما للخليفة " صباح مساء " مدى اربعة اشهر ثم اعاده القلابات فى ابريل (رجب) بعد ان نال " حسن التربية وحوزة الفضائل " ، وبعد ان اكد الخليفة لحمدان " باولوية جميع الجيش ... وكذلك الدار وما فيها ... مع اعلام الجميع بامتثال الامر منا "[٣١] . ولكن يونس الدكيم لم يبق بالقلابات

مهدية
٣٠ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ١٨ رجب ١٣٠٥ ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٣٠

مهدية
٣١ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ٢٢ رجب ١٣٠٥ ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٣٢

سوى اسبوع عاد بعده الى امدرمان ، وعين عربي دفع الله قائدا على اولاد العرب والجهادية الذين كانوا تابعين ليونس . وهكذا انتهى الصراع بين يونس وحمدان لصالح حمدان . ولعل هذه من المرات القلائل التى يعزل فيها الخليفة قائدا من قواده على احد اقربائه ، ولكن حمدان ابى عنجة لم يكن قائدا عاديا بل كان بالنسبة للخليفة من اهم قواده بل ويعتبر في مرتبة اسرته .

القضاء على محمد البرقاوي الذى ادعى النبوة

وكانت المشكلة الثانية التى واجهت حمدان عند قدومه للقلابات هى مشكلة ادم محمد البرقاوى [٣٢] الذى ادعى انه نبي الله عيسى وكان ادم هذا تابعا

---

٣٢ يقال أن ادم محمد هذا ولد ببرقو . وكان عمره ٢٥ عاما عند قيامه بتلك الدعوة فيكون ميلاده حوالي عام ١٨٦٣ . وهو ، حسب وصف ابو عنجة ، شاب لالحية له اخضر اللون يميل الى صفرة ، مفرق الاسنان السفلى ، مفتوح الوجه مربوع القامة واسع الجبهة عظيم الرأى اعجمى اللسان .

٣٣ انتشرت في السودان في ذلك الوقت الدعوة الى نبي الله عيسى والخضر والمهدى المنتظر . ويقول حمدان في رسالة للخليفة ان فكرة نبي الله عيسى كانت رائجة في القلابات . مهديه ، ٢/٤٣/٢/١٤

لراية الحاج عبد الله البرقاوي • ويبدو ان ادم قد بدأ دعوته بالاتصال بعبـد الله البرقاوي الذى آمن بها • فقام عبد الله ورتب لقاء فى منزله بين ادم وبعض امراء الرايات ، وكان ذلك اللقاء حول مائدة طعام • وقد لبى تلك الدعوة عدد من امراء الرايات وهم : محمد عمر المشهور بابي القرشي والذى اصبح فيما بعد اليـد اليمنى لادم ، ومهاجر اسماعيل ، وعيسى احمد ، والطيب محمدين البديري ، ومحمد احمد ابو ام فضالي الحميري ، والطايف احمد وهنون النيل الهباني ، ومحمـــد حسين بقادي ، ومحمد علي البرناوي ، وعبد الله جاموس • وقام اولئك الامـــراء بمبايعة ادم البرقاوي فى ذلك الاجتماع واقسموا على المصحف وتعاهدوا على ان يكونوا عونا لبعضهم البعض وان يكتموا امرهم فيما بينهم [٣٤] • كما قرروا ان يعرضوا

= وبما ان دعوة المهدى نفسه كان تعتمد على امر الباطن فقد فتحت المجال لكل من يريد ان يدعى المهدية • وقد حدث فعلا ان قام شخص يدعى الفكي ولد محمد في التومات وادعى انه المهدى وكان ذلك فى نوفمبر ١٨٨٨ ولكنه اعتقل وارسل الى ابي عنجة فى القلابات • وعند استجوابه تنازل عن دعواه وسجن • راجع : فرج الله رجب الى احمد علي ، ١٤ ربيع اول ١٣٠٦ ، مهدية ٢/٢/١ /٢٨/٢ •

٣٤ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٨ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٢/ ٤/ ٢٨٣

دعوتهم على يونس فى الوقت المناسب واذا رفضها قاموا بقتله [٣٥] • ولكن امرهم كشف قبل ان يتمكنوا فى تنفيذ مؤامرتهم • فقد قام رجل يدعى محمد البصلاح بابلاغ الخبر الى يونس الدكيم اذ ان حمدان لم يصل بعد • فقام يونس بجمعهم فى المسجد وواجههم بالتهمة ولكنهم انكروها جميعهم • فعفى عنهم يونس واعتبر ماحدث مجرد هفوة • وقد لجأ يونس الى اتخاذ تلك الخطوة السلمية تجاه الحركة لانه كان " فى قلة لعدم وصول حضرة المكرم حمدان " • يبدو من رسالة يونس هذه ان تلك الحركة كانت على جانب كبير من الانتشار حتى انه لم يجرأ على مجابهة زعمائها وآثر ان ينتظر وصول حمدان •

وبعد وصول حمدان الى القلابات بيومين علم بالخبر ، فكون فى الحال مجلسا من نواب الشرع وهم ادم ضو البيت وحامد بلوله وادم على [٣٦] • ولضاف اليهم عددا

---

٣٥ نعوم شقير ، ص ١٠٦٤

٣٦ فى ٢٣ يناير ١٨٨٨ اصبح حامد بلوله رئيسا لنواب الشرع فى القلابات •

من الفقهاء والعمال لمشاركته هو ويونس الاستماع الى اقوال ادم وجماعته . وعندما واجهوا ادم بالتهمة لم ينكر ها . بل قال للمجلس " ان ماقد بلغكم حقيقة وانى انا لنبى الله عيسى وان الحق عز وجل اخبرنى بانى نبى الله عيسى وكذلك الرسول " . ووافقه بقية جماعته على دعواه بل كانوا " مبالغين فى تصديقهم وايمانهم بما جاء به " فقام حمدان بارساله الى السجن هو وجماعته . وبعد ايام اعاد استجوابهم فلم يتزحزحوا عن رأيهم . وكان امراء الرايات لايتكلمون امام المجلس الا باذن من ادم [٣٧] . واستمر ادم ليقول بان دعواه من امر الباطن وليست من الظاهر مثلها مثل دعوة المهدى والانبياء والمرسلين [٣٨] . فاعادهم حمدان للسجن بعد ان اثقل ارجلهم بالحديد ، وابلغ الامر للخليفة وطلب مشورته فى الامر . فارسل الخليفة رده فى ٢٧ ديسمبر ٨٧

---

٣٧ حمدان ابو عنجة ويونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ٢/٤٣/٢/٣٤

٣٨ كانت دعوة المهدى ترتكز على امر الباطن وكانت هذه هى حجة المهدى الاساسية التى اعتمد عليها فى رده على العلماء الذين اعتبرهم اهل ظاهر ولا علم لهم بامر المهدية . وقد تعرض الاستاذ عبد الله على ابراهيم لهذه القضية فى شيئ من تفصيل : عبد الله على ابراهيم ، الصراع بين المهدي والعلماء ، مطبوعات وحدة ابحاث السودان ، الخرطوم (١٩٦٨)

(٧ ربيع اخر ١٣٠٥) وخمله اربعة من الامناء • وطلب الخليفة من حمدان قتـــل آدم مدعى النبوة وخيره بين قتل الامراء الذين تابعوه او العفو عنهم [٣٩] • كما ارسل عدداً من المنشورات الى الجهادية وانصار الدين يكذب لهم فيها دعوة آدم ويطلـــب منهم التمسك بدينهم • كما خاطب امراء الرايات الذين تبعوا آدم مذكرا اياهم بوفائهم للمهدية وجهودهم لنصرتها ، ونصحهم بان يعلنوا توبتهم امام حمــــدان ويونس [٤٠] •

اما حمدان فقد كون مجلسا لمحاكمة آدم وجماعته ، واضاف اليه النـــواب الاربعة الذين ارسلهم الخليفة من امدرمان • واستقر راى المجلس على قتل آدم وجماعته • كما تقرر تعيين امراء جدد للرايات التى تبع امراوءها دعــــوة آدم ، وان يكون تولى الامراء الجدد لراياتهم فى مساء يوم ٣٠ ديسمبر (١٤ ربيع اخـــر) وان يتم قتل الامراء المتآمرين صباح يوم ٣١ ديسمبر (١٥ ربيع اخر) ، وذلك حتى

---

٣٩ نعوم شقير • • ١٠٦٥-١٠٦٦

٤٠ الخليفة الى محمد احمد ابو ام فضالى والخرين ، ٩ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١٤٣/٥/٣١/١

لانطل الرايات دون امراء مما قد يؤدى الى حدوث " خلل فيها " ، وفي صباح اليوم المحدد تم شنق آدم محمد وكل امراء الرايات في سوق القلابات " واحدا واحدا امام الجيش" ، ثم اخذ الامراء الجدد في اخذ البيعة على يد يونس الدكيم [1].

ويذكر شقير ان الخليفة قد بعث بخطاب آخر الى حمدان يؤكد فيه قتل آدم ويطلب من ابى عنجة ان يعفو عن اتباعه امراء الرايات ، ولكن خطاب الخليفة وصل القلابات بعد ان نفذ حمدان حكم الاعدام [2] . ويبدو ان الخليفة قد تأثر لقتل الامراء فنجده يقول في " حضرة نبوية " جاءته بعد قتل ادم واتباعه انه عندما سمع بقتل امراء الرايات الذين تابعوا ادم محمد داخلته " شفقة شديدة (عليهم) نظر لسابق اجتماعهم وصحبتهم وسألت الله المغفرة لهم والصفح عنهم وابتهلت الى الله كثيرا حتى استغفرت لهم سبعين مرة " . ثم يقول انه بالرغم مما احسه من شفقة نحو اولئك الامراء الا انه رأى هاتفا سماويا يدعوه لكشف امرهم فرآهم يتعذبون في نار جهنم ، وانهم عندما طلبوا التوبة من الرسول ومن المهدي

---

١ : حمدان ابو عنجة ويونس الدكيم الى الخليفة ، ١٤ ربيع آخر ١٣٠٥ ، مهدية ١/٢٩/١/$\frac{1}{1}$/$\frac{57}{1}$

٢ : نعوم شقير ، ص ١٠٦٢

احالاهما الى الخليفة الذى اكتشف انهم لم يتوبوا تماما بل ماتوا على كفر وانهم لن يغفر لهم ابدا [٤٣]. لقد كانت تلك " الحضرة النبوية " ضرورية لازالة التناقض الذى نشأ بين خطاب الخليفة الاول الذى يامر بقتل آدم واتباعه والذى نفذه حمدان ، وخطابه الثانى الذى يطلب من حمدان ان يعفو عنهم ، اذ اثبتت الحضرة ان الامراء قد ماتوا على كفرهم . وبهذا تكون مشكلة آدم محمد قد انتهت بسلام بعد ان كادت ان تحدث فتنة وسط الجيش المرابط فى القلابات .

مشاكل حمدان ابوعنجة الداخلية

لعل اهم هذه المشاكل هى : مشكلة الحدود وتخير عمال العمالات المختلفة ، ومشكلة الغنائم ، وتنظيم الجيش ، ومشاكل القبائل المختلفة ، واخيرا مواجهة مجاعة سنة ١٣٠٦ .

رأى الخليفة ضرورة توسيع عمالة القلابات فى عهد حمدان ووضع حدود

---

٤٣ الخليفة (حضرة نبوية) ، ١٢ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية ٢/ ٤٣/ ٤/ ١٠

معلومة لها حتى لاتختلط مع امدرمان ويصبح جمع الزكاة امرا صعبا • ومما جعل

الخليفة يعمل على توسيع عمالة القلابات كثرة الجيوش المقيمة بها مما يزيد حاجتها

من الزكاة • وعليه فقد اصبحت حدود القلابات الجديدة تمتد من جهة "السافل" حتى

الضبانية ومن الشكرية حتى نهر عطبرة ، ومن جهة الغرب "وسافل" القضارف ومايليها

الى العتمور ، ومن جهة الصعيد غرب عمالة الحمدة • ثم اضيفت لها الحمدة لحد

عمالة ولد عايس والقلعة [٤٤] • واضيف اليها فيما بعد بهلة والقلعة رانج لتحصيل

الغلال منهما فقط للمساعدة في غذاء الجيوش • ثم اضيف اليها كذلك عمالة الفونج

من حدود "الطرفاء" حتى الدبيبة [٤٥] • حقا لقد اتسعت عمالة القلابات فـي

عهد حمدان اتساعا كبيرا ولكن حمدان لم يتفرغ لادارتها اذ شغل بحروبـات

الحبشة ايما شغل •

وحدث في عهد حمدان بعض التغييرات بين العمال • فقد عزل عبـد

---

٤٤ الخليفة الى حمدان ابى عنجة ، ٢ رمضان ١٣٠٥ ، مهدية صادر رقم ١٥ ، ص ٥٠

٤٥ محمد الملك ناصر بادى الى حمدان ابى عنجة ، ٢٢ القعدة ١٣٠٥ ، مهدية ، ٢/١/٤١/٦/٦٠

الباقي خليفة عامل القضارف لكثرة تشكي الاهالي منه وايذائه لهم ، وعين بدلا عنه عبد الصادق عمر . وعزل كذلك عبد القادر البشير عامل التومات لعدم استقامته فقد علم حمدان انه ارسل لاهله مقدار ثمانية الف ريال وعددا من الرقيق . كما ان حامد على عامل كسلا قد اشتكى كذلك من عبد القادر . فعزله حمدان وولى بدلا عنه فرج الله رجب . كما عين عبد الرحمن محمد شرو في محل محمد ارباب بكر [٤٦] . وعين النور عنقرة عاملا على سرف سعيد وذلك لتأديب اهل الجهة " وتطهيرهم من حقوق الله . " [٤٧] وعين عبد الله حامد عاملا على الحمدة ، وادم الجزلي على بسيلة . فيتضح من هذه التحولات ان عمال المهدية كانوا اما مشددين على الاهالي مبالغين في ايذائهم متعنتين في اخذ حقوق الله منهم تساندهم السلطة الدينية التي كانت قد ترفع لواءها الدولة المهدية ، ويساعدهم بعدهم عن

---

٤٦ عبد الرحمن محمد شرو الى الخليفة ، ١٣٠٦ (تاريخ ناقص) ، مهدية ٢٠٢/٨٧

٤٧ النور عنقرة الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٦/ ٤/ ٤

مراكز السلطة والمراقبة ، واما كانوا يكرسون لغلب اوقاتهم فى اثراء انفسهم وارسال الاموال الى ذويهم لحفظها حتى اذا دالت دولتهم عادو الى بلادهم وعاشوا من الثروات التى جمعوها ايام كانوا فى السلطة ولاشك ان مثل هذه الاوضاع كانت من عوامل عدم الاستقرار وزادت على اعباء الدولة اعباء اخرى •

وكان بيت المال دائما سببا لصراعات كثيرة شهدتها دولة المهدية • فمنذ الايام الاولى لابى عنجة فى القلابات كتب له الخليفة رسالة حدد فيها سياسته فيما يختص ببيت المال • وكان الخليفة يرى ان يكون محمد حمزة امينا عاما لبيت المال فى القلابات نظرا لمعرفته بالجهة ، وان تكون الغنائم التى تجمع من الحروبات تحت مسؤلية شخص اخر يعينه حمدان بمعرفته • وقد اوكل حمدان تلك المهمة الى محمد احمد رحمة ومحمد ابى القاسم [٤٨] • ويبدو ان ابا عنجة كان يريد التخلص من محمد حمزة الذى كان قد عينه يونس الدكيم • فكان تقسيم بيت المال الى

---

٤٨ حمدان ابى عنجة الى الخليفة ، ٢٠ جمعد اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ٧٤

شقين بغرض ارضاء الطرفين • ولكن بعد استدعاء يونس الدكيم الى امدرمان اجرى الخليفة تعديلا في ادارة بيت المال مما يرضي حمدان ، فجعل محمد حمزة ومحمد ابو القاسم امناء لبيت المال الموحد ، وعين محمد احمد رحمه ملاحظا عاما عليهما [٤٩] • ولكن لم يمض على محمد احمد ود رحمة سوى بضعة أشهر في منصبه حتى امر الخليفة بمحاسبته وجرد بيت المال ، واوكل الى عبد الحليم احمد مهمة الجرد [٥٠] • فرد حمدان بان عبد الحليم يرى ان محمد احمد رحمة اذا ماحوسب وجرد بيت المال فلن يوجد لديه شيء لان بالقلايات عدد من العملاء

---

٤٩ حمدان ابى عنجة الى الخليفة ، ١٨ رجب ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٣١

٥٠ كان طلب الخليفة لجرد بيت المال نتيجة لحدوث بعض "الخبايات والامور المغايرة" في بيت المال في امدرمان ، ما ادى الى جرده • وتم ذلك في سبتمبر/ اكتوبر ١٨٨٨ (مطلع عام ١٣٠٦) • ويبدو ان ماحدث في بيت مال العموم كان مظهرا للصراع بين ابراهيم محمد عدلان امين بيت المال ويعقوب • وتطور ذلك الصراع واصبح بين ولد عدلان والخليفة مما ادى في النهاية الى اعدام ولد عدلان في يناير ١٨٩٠ (جماد اول ١٣٠٧)

Holt, The Mahdist State, PP. 174-5

حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٣ صفر ١٣٠٦ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ٢٢٣

المؤتمنين بامور المال ، وانه كلما ورد شيء من المال من اولئك العملاء فان حمدان يطلع عليه شخصيا . ولكن حمدان وعد الخليفة باجراء الجرد [٥١] . على ان عهد حمدان لم يشهد مشاكل مالية كثيرة لان الانصار شغلوا بالحروبات مع الحبشة . ولكن الغنائم التي جمعت من تلك الحروبات ومن الحروبات اللاحقة ادت الى مشاكل مالية لعلها كانت اكثر وضوحا في العهود اللاحقة .

اما الجيش الذي كان مرابطا في القلابات فقد بلغ ، بعد ضم جيش يونس عليه ، خمسة وخمسين الفا وستمائة وخمسة عشر جهاديا . وقد قسم ذلك العدد الى اربعة ارباع كما هي الطريقة المتبعة في المهدية في تقسيم الجيوش . وكان على قيادة الثلاثة ارباع الاولى كل من الزاكي طمل وعبد الله ابراهيم واحمد علي . وكل ربع يتكون من جهادية واولاد عرب . وكل الجهادية كانوا مسلحين بالاسلحة النارية . وبعضهم بالسلاح الابيض . وكان الربع الاخير يتكون من ملازمين وجهادية وكان تحت قيادة حمدان .

---

٥١ المصدر السابق

ورأى حمدان قبل ان يبدأ الحرب مع الحبشة ان يقوم ببعض التعديلات في تركيب الارباع بحيث يقوى الربعين اللذين على الجناحين اي ربع عبد الله ابراهيم واحمد علي • وان يقوى كذلك ربع الوسط تحت قيادة الزاكي • لان تلك الارباع في رأيه تصبح بذلك التشكيل في " مجرى لثقل الحرابة " • لذلك قام بضم ام بدى حمدون وادم اسماعيل وفرج الله خليل على ربع الزاكي ، وان يكونوا جزءا ممن اولاد العرب بذلك الربع لانهم من قبائل الحمر والزريقات والحوازمة وكنانة • وان يسير هؤلاء خلف الجهادية ساعة الحرب • وقام حمدان كذلك بضم كل التكارير على ربع عبد الله ابراهيم ، وضم اربعمائة بندقية على ربع احمد علي [٥٢] • وقام بذلك بتوزيع الجهادية الذي كان تحت امرة عربي دفع الله على الارباع الثلاثة ليزيد من قوتها [٥٣] • على ان الخليفة طلب من العملاء ان يختاروا الربع الذي سينضموا

---

٥٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/٢٩/١/١٤١

٥٣ الخليفة الى حمدان ابى عنجة ، ربيع اول ١٣٠٦ ، مهدية ، ٢/٣١/٦/٢١١

عليه على الا يسمح بعد ذلك بالتنقل من ربع لاخر لان التنقل من " محل الى محل يؤدى الى الفشل والتشتيت [٥٤] . وبناء على ذلك الامر نقد انضمت ست رايات الى ربع احمد على ، واربع رايات الى ربع عبد الله ابراهيم [٥٥] ، واربع وثمانون راية الى ربع الزاكى طمل [٥٦] .

وشهد الجيش المرابط بالقلابات ظاهرة هروب المجاهدين من اولاد العرب والجعادية . وكان سبب وجود تلك الظاهرة هو رغبة بعض القبائل فى الاستقرار

---

٥٤ الخليفة الى العملاء مع عربى دفع الله ، ١١ ربيع اول ١٣٠٦ ، مهديق ، ٢/ ٢١/ ١٣٢/٦

٥٥ كانت الرايات الاربعة بقيادة كل من : فضل الله محمد العالم ، على ابو عاقلة ، احمد ولد ادريس وحبيب الله ابراهيم

٥٦ كانت هذه الرايات (٨٤) تتكون من القبائل الاتية :

جوامعة	٨	رايات
الحسنات	٨	"
دار حقيل	٦	"
جمع	٧	"
محارب	٣	"
برقو	١٠	"
هبانية	٢	راية
سليم	١١	"
اولاد بلد	١٤	"
مختلفة	١١	"
جعالية	٤	"

فى المناطق الزراعية اما زهدا فى الجهاد او لان منطقة القلابات كانت شحيحة القوت • فالتجأت مجموعات من بعض القبائل الى مناطق النيل والمناطق الزراعية الاخرى • ولجأ بعضها احيانا للنهب والسلب • وقد تفاقمت تلك الظاهرة عام ١٣٠٦ نسبة لظروف المجاعة • ففى يناير ١٨٨٩ (جماد اول ١٣٠٦) ابلغ محمد مدرع وهو احد امراء الرايات بان سبع قبائل من الحسنات قد هربوا من القلابات واتجهوا نحو النيل الازرق وارض الجزيرة • وطلب من ابى عنجه ارسال بعض الاشخاص الى الجزيرة لتجريد تلك المجموعات عاهد الهاربة من " العلايق الدنيوية المعوقة عن حضورهم ••• وضبطهم وربطهم لحين وصولهم " الى القلابات [٥٧] • وقد ابلغ عربى دفع الله كذلك عن هروب ستمائة وخمسة وتسعين من جهاديته • وكان الجهادية لايكتفون بالهروب الى المناطق الزراعية بل كانوا يقومون بارتكاب الكثير من اعمال القتل والنهب والسلب وقطع الطرق ، حتى كاد الطريق بين القضارف والقلابات ان يتوقف تماما لانعدام الامان • وبلغت تلك الظاهرة درجة من الخطورة حتى ان

---

٥٧ محمد مدرع الى حمدان ابى عنجه ، ١١ جماد اول ١٣٠٦ ، مهدية ، ٢/ ٣١/ ٦/ ٠ ٢٤

ابا عنجة قام بابلاغها للخليفة ، كما قام بشنق خمسة من الجهادية من الذين قبضوا وهم يمارسون اعمال النهب [٥٨] • ولا شك ان مجاعة سنة ١٣٠٦ قد فاقمت تلك الظاهرة •

حقا لقد كانت مجاعة ١٣٠٦ (١٨٨٨-١٨٨٩) امرا شاقا على دولة المهدية •

وكان من اهم اسباب تلك المجاعة ترحيل اعداد هائلة من قبائل الغرب الـــى امدرمان حيث ظلوا يعيشون على بيت المال ويشكلون عبئا ثقيلا عليه مما ادى الى نفاذ المخزون من الغذاء • كما انهم ادوا الى انهاك منطقة الجزيرة لاعتمادهـم عليها اساسا في الحصول على غذائهم • كما ان رحيل تلك القبائل من مناطقها وانضمام قبائل اخرى عليها من مناطق مختلفة بغرض الجهاد ادى الى ان فقدت المناطق الزراعية اعدادا ضخمة من الايدي العاملة [٥٩] • وكان لوجود ثلاثة جيوش كبـيرة

---

٥٨ حمدان ابى عنجة الى الخليفة ، ٢٣ محرم ١٣٠٦ ، مهدية ، ٢٠٢/١/٧١

٥٩ مكي شبيكة ، عبر القرون ، ص ٣٦٣

مرابطة في القلابات ودنقلا ودارفور ان تفاقمت المشكلة كثيرا [٦٠] . وكانت امدرمان كثيرا ما تستنجد بالمناطق الغنية للحصول على المواد الغذائية . فها هو حمدان يرسل الى الخليفة عشرين الف ريال منها تسعة الاف " قشلي " والباقي " مجيدي " وذلك لان امدرمان كانت مشحونة بالمهاجرين والانصار من سائر الجهات . ثم جاء خريف عام ١٨٨٨ (١٣٠٥/١٣٠٦) شحيحا فادى الى حدوث المجاعة وكانت وطأة المجاعة في بداية الامر خفيفة على المناطق الزراعية مثل منطقة القضارف ، ولكن اعتماد المناطق الاخرى عليها جعل اثر المجاعة يزحف عليها كذلك . وتركزت سياسة الخليفة في اطعام امدرمان اولا وتوفير الغذاء فيها على حساب المناطق الاخرى . وكانت معارضة ولد عدلان لهذه السياسة سببا في نهايته [٦١] . فكيف نفذت تلك السياسة بالنسبة للقضارف ؟

لعل الخليفة قد احس بوقوع الكارثة عندما جاء الخريف ضعيفا ، ولذلك قام

---

٦٠ . Holt, The Mahdist State, P. 173

٦١ . Ibid, PP. 174-5

باستدعاء حمدان في سبتمبر ١٨٨٨ (مطلع عام ١٣٠٦) حيث وصل الى امدرمان في ٣ نوفمبر ٨٨ (٢٨ صفر ١٣٠٦) . وقد علم الخليفة من حمدان عن احوال تلك المنطقة من الناحية الغذائية . ولم يمكث حمدان في امدرمان اكثر من اسبوعين اذ كان في طريقه الى القضارف في منتصف نوفمبر (النصف الاول من ربيع اول) . وقضى ابو عنجة شهرا بالقضارف بالرغم من كثرة الرسائل التي وردت اليه من احمد علـــي ، وكيله بالقلابات ، يستعجل حضوره . وكان بقاء حمدان تلك الفترة لاهتمامه بالضيق الذي كان يعاني منه الانصار في القضارف بالرغم من انهم في منطقة زراعية ، لاهتمامه كذلك " بتشغيل ماهو لازم لقوت الدين انصار " في امدرمان ، وقد بذل مجهودا كبيرا في اداء تلك المهمة كما شدد كذلك على الاهالي لتنفيذ سياسته [٦٢] . واستطاع حمدان ان يرسل الى امدرمان الف وخمسمائة جملا محملا بالذرة كدفعة اولى .

وفي القضارف وضّح حمدان الاجراءات الاقتصادية التي قرر اتخاذها لمواجهة

---

٦٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٧ ربيع اول ١٣٠٦ ، مهدية ١/ ٢٩/ ٢/ ٦/ ٢٤

المجاعة • وتتلخص تلك الاجراءات في " عدم المداولة بالبيع والشراء بحد هذا في العيش ••• وان يكون البيع فيه بسوق مركز الرباط " بالنسبة لاصحاب الذرة الذين في امكانهم ترحيل محصولهم الى القلابات [٦٣] ، اما الذين لايملكون وسيلة للترحيل فيمكنهم ان يبيعوا في القضارف ودوكة وعصار والتومات • ماعدى ذلك فغير مسموح ببيع اى ذرة خارج هذه المراكز في " الحلالات " [٦٤]. وقد اتخذ حمدان ذلك الاجراء لان الذرة كانت تباع بأثمان باهظة لارسالها الى كسلا وسواكن وبربر بينما كانت الجيوش في القلابات تعاني من الضيق في المعاش • لذلك اتخذ ذلك القرار ببيع الذرة في المراكز الهامة حيث يمكن ان يفرض عليها رقابته • ولكن الخليفة لم يوافق على تلك الاجراءات التي اتخذها حمدان لان فيها اجحافا على المناطق الاخرى • فكتب اليه قائلا " بما انه حاصل ضيق في المعاش بجهة كسلا وسواكن وان الجهتين ليس بهما زرع وان [اغلب العيوش بجهة القضارف]

---

٦٣ المصدر السابق

٦٤ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٨ ربيع اخر ١٣٠٦ ، مهدية ، ٢٠٢ / ٧٥

فيجب ان تؤكدوا على فرج الله رجب وعبد الصادق بعدم منع العيش من التوجه لجهة حامد على وعثمان دقنة" [٦٥]. والحق الخليفة اوامره هذه باوامر اخرى يطلب فيها من حمدان السماح لوكيل بيت المال فى امدرمان بشراء الذرة من القضارف لان امدرمان " هى المربض للجيوش ووفود الاسلام" [٦٦]. ويبدو ان الخليفة قد اعترض على سياسة حمدان لانه كان قد سبق واعطى امين بيت المال فى امدرمان امرا ليسمح للتجار من امدرمان وكسلا بشراء الذرة من القضارف [٦٧].

على ان حمدان لم يوافق الخليفة تماما على رايه فكتب اليه يدافع عن سياسته التي قررها . تذكر للخليفة انه عندما وصل الى القضارف وجدها فى حالة " كرب لعدم المعاش " ووجد الاهالى يبيعون الذرة للتجار من كسلا وسواكن وبربر، ولذلك شفقة منه بالانصار فقد قرر اتخاذ تلك السياسة اذ ان حرية البيع خارج المراكـــز

---

٦٥ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٨ ربيع اخر ١٣٠٦ ، مهدية ، ٧٥/٧٠٢

٦٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٦ ، مهدية ٧٠٢ / ٧٧

٦٧ Holt, The Mahdist State, pp. 173-4

"ستؤدي الى الانفلات" [٦٨] .

وتحت وطأة المجاعة اضطر حمدان الى صرف الغذاءات للجيش بالتموين خصوصا في منطقة القضارف . فقام بعض امراء الرايات بكتابة اسماء وهمية اضافوها الى راياتهم وذلك طمعا " في وفر مايناولونه من عرض الدنيا " ، حتى بلغ عدد الجيش في القلابات اثنين وسبعين الف وثلاثمائة واثنين وثمانين جنديا . ولذلك قام ابو عنجة باجراء جرد كامل للجيش " رايه رايه قبيلة قبيله " ، فوجد ان الزيادة في العدد بلغت ثمانية عشرة الف وخمسمائة وستة شخصا جميعهم " هوادية لم يقابلها احد في الوجود " . وقد بلغ جملة ماكان يصرف للجيش في كل مرة تسعة عشر الف وثمانمئة وسبعة واربعين ريالا ، بواقع ربع ريال لكل فرد [٦٩] . كانت هذه هي الاجراءات التي واجهت بها دولة المهدية المجاعة الكبرى في المنطقة . ولاشك ان المجاعة قد عطلت عطية الجهاد والحروبات مع الحبشة هذا بجانب اثارها العامة

---

٦٨ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١ جماد ثاني ١٣٠٦ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ٢/ ٢٦٥

٦٩ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٦ ، مهدية ، ١/ ٣١/ ٢/ ٢٦٣

التى شهدتها كل بلد انحاء دولة المهدية • كما ان المجاعة لم تنته فى ذلك العام بل امتدت حتى عهد الزاكى طمل •

حمدان ابو عنجة والحبشة

لاشك ان اهم اعمال حمدان فى الفترة التى قضاها فى القضارف ـ القلابات كانت علاقته السياسية والتجارية والعسكرية مع الحبشة • فهى لاتمثل فصلا هاما فى تاريخ حمدان فحسب ، بل فى تاريخ المهدية كلها • وفى تناولنا لتاريخ هذه العلاقة يمكننا ان نقسمها الى خمسة فترات ، الفترة الاولى التى قضاها حمدان فى التجسس على اخبار الحبش وتحسس قوتهم وتحركاتهم والوقوف علىحقيقة المكادة والنقادية الذين كانوا يقومون بعملية التبادل التجارى بين البلدين • والفترة الثانية وتشمل حرب حمدان مع الراس عدار واحتلال حمدان لقندار • والفترة الثالثة التى ظل فيها حمدان فى القلابات ساعيا للتعرف على احوال الحبش وتحركاتهم ، والتى سمح فيها كذلك باستمرار عملية التبادل التجارى • اما الفترة الرابعة فتشمل غزوة حمدان الثانية للحبشة • واخيرا الفترة الخامسة التى فشلت فيها المساعى السلمية

بين البلدين وبداية استعداداتهما العسكرية لجولة اخرى •

عند قدوم حمدان الى القلابات للمرة الاولى كان يحمل معه خطابا من الخليفة الى يوحنا • وكان ذلك الخطاب هو الخطاب الثاني الذي يبعثه الخليفة الى النقس• على ان الخطاب الاخير يختلف في روحه وفي منحاه عن الخطاب الاول .ففي رسالتـــه الثانية حدد الخليفة اشياء معينة ليوحنا وهي الدخول في الاسلام والانتظام في سلك اتباع المهدي والنطق بالشهادتين واقامة شعائر الاسلام في بلاده • ويتحدث في نفس الرسالة عن انتصارات المهدية على الحبشة ولكنه يطلب من يوحنا ان ينســـى ذلك باعتبار " مامضى نقد فات" • ثم يتوعده قائلا " وان ••• لم تزل على اعراضك عن اجابة داعي المهدية واصرارك على دين الكفر واتباع الهوى فاعلم انك تصير مـــن الهالكين ••• ولا بد من حلول جيوش الاسلام بدارك ومناجزتك الحرب وقطع دابرك وقتل كل من يكون معك "[٧٠] لعله من الواضح في هذا الخطاب ان موقف الخليفـــة

---

٧٠ الخليفة الى يوحنا، ١٣٠٥ ، مهدية صادر رقم ٣ ، ص ٣٥

لايرد ذكر الشهر في هذه الرسالة ولكن من الارجح انها كتبت حوالى ربيع اول وهو نفس الشهر الذي تحرك فيه حمدان الى عنجة من امدرمان قاصدا القلابات

اقتنع بان يوحنا لن يتزحزح عن موقفه فاثر استعمال اسلوب الشدة ٠ وربما لانه في هذه المرة يتحدث من موقف القوة بعد ان اصبح حمدان في طريقه الى القلابات، وعلى كل فهذا الخطاب يحدد سياسة المهدية تجاه الحبشة في هذه الفترة ٠

وقبل ان يصل حمدان الى القلابات تواترت اليه اخبار تحركات الحبش في جهة تبارك الله امارة النور نقرا ومحمد الامين [٧١] ٠ ففي منتصف نوفمبر ١٨٨٧ (بداية ربيع اول ١٣٠٥) وردت رسالة من النور نقرا الى ابي عنجة يفيد فيها ان جواسيسه تسد لتخبروه بان الحبش ينوون الهجوم على تبارك الله ، وانه يخشى تكرار ماحدث في العام الماضي ولذلك فقد ارسل في طلب نجدة من يونس الدكيم ٠ الا ان حمدان قد طلب منه ان ينتظر حتى وصوله الى القلابات ٠ ولكن ولد نقرا كان يرى عدم التاخير لان "حكومة" – احد عبيد الضبانية – والتكارير الملتجئين ببلدة نقارة ، جميعهم متربصين لكي يجدوا اي فرصة سانحة يهجمون فيها ٠ وثانيا لان دجاج تسمى القائد الحبشي في تلك المنطقة قد سافر الى

---

٧١ صحب حمدان معه شخصا يدعى محمد الامين وهو ابن سلطان الجبرتة وقد عينه الخليفة عاملا وطلب منه ان يتعاون مع النور نقرا ٠

يوحنا ، وترك بدلا عنه " وبرى ام بايه " وكيلا عنه ، وهذه فرصة سانحة للانصار ليهجموا فيها [٧٢] • وكرر ولد نقرا طلبه باستعجال ارسال النجدات في اليوم التالي واضاف ان الحبش في ذلك الوقت "مضايقين ••• من الطليان" وان يوحنا قد توجه بجيشه لملاقاتهم ولم يبق على الحدود بقية من جيشه • ويخشى ولد نقرا ان يتحد الحبش مع " الطليان " فتضيع تلك الفرصة • ويضيف ولد نقرا بان يوحنا قام باستدعاء كل قواده مثل راس عدار وراس مكانين ومنليك للاجتماع به في غيتة للتشاور في امورهم الحربية ، وان ام بايه وعجيل قد صحبا اولئك القواد الى ذلك الاجتماع • وكان النور نقرا قد استلم رسالة من الجبرتة في الحبشة يطلبون فيها ارسال نجدة اليهم ليقوموا مع دعوة المهدية • فلكل تلك الاسباب مجتمعة يرى ولد نقرا ارسال نجدة من " الاخوان اولوا العزم " ليهجم بهم على الحبش ويخرب ديارهم • ويقترح اذا كان ارسال النجدة امرا صعبا ان يسمح له حمدان بالهجوم على الحبش بمعاونة عبد القادر البشير • ويرى ولد نقرا ان يأخذ عنصر المبادرة

---

٧٢ النور نقرا الى حمدان ابى عنجة ، ١٥ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ٢/ ٤١/ ٦/ ٤٨

بالهجوم قبل ان يفعل ذلك اعوان الحبش امثال " حكومة " [٧٣] • اما حمدان فقد اصر على رايه الاول ولم ير داعيا للاسراع بالهجوم ولذلك لم يرسل اى نجدات الى ولد نفقرا بالرغم من الحاحه ومطالباته المستمرة • ولعل حمدان كان يريد ان يتعرف اولا على طبيعة الوضع فى القلابات قبل القيام باى اعمال حربية • او لعله شغل فى بداية عهده هناك باخماد فتنة ادم البرقاوى • ولكن يبدو ان الاخبار التى اوردها النور نقرا عن غفلة الحبش وانشغالهم بامور اخرى قد جعلت حمدان يقترح للخليفة بان يقوم بهجوم على الحبش على غفلة وهذا فى رايه " ابلغ من القعود لهم محلا واحدا حتى يتم استعدادهم ويكونوا فى غاية الانتظام لامرهم " • ويرى حمدان كذلك انها فرصة سانحة لان موقف صالح ادريس بدا يتدهور امام الحبش وانهم اصبحوا غير راضين عنه ويفكرون فى طرده وابعاده [٧٤] •

وجاء رد الخليفة على اقتراح النور نقرا وعلى اقتراح حمدان وكانت ردوده

---

٧٣ النور نقرا الى حمدان الى عجة ، ٢٤ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ١٥/ ٣/ ١٢٧

٧٤ حمدان ابى عجة الى الخليفة ، ١٤ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ٣٦

قاطعة وواضحة • اما فيما يختص بالموقف في تبارك الله فهو يرى ان الاخبار الخاصة بهجوم الحبش ماهي الا " اشاعات فارغة " ، اذ ان الحبش مهتمين اساسا بجبهة القلابات • وحتى القلابات فهم غير مهتمين بها في ذلك الوقت لان يوحنا مهتم اساسا بامر الايطاليين ، وقد ذهب الى مصوع لاجراء صلح معهم • ولكن على الرغم من تلك التحركات فان الخليفة حذر حمدان بان لايغفل عن الحبش ، لان الحبش والايطاليين كلاهما من الكفار وربما اشاعوا انشغالهم عن دولة المهدية حتى يغفل الانصار ويكونوا في " عدم اهبة " فيهجموا عليهم بغتة [٧٥] • اما فيما يختص باقتراح حمدان فهو يرى ان يقوم حمدان اولا بالتأكد من مقدرة جيشه على ملاقاة الحبش لان اغلب جنوده من المستجدين الذين لم يسبق لهم لقاء العدو في جهاد " شل الحرابات الشديدة " ويقترح على حمدان ان يقسم جيشه على مجموعات حسب مقدرتها على القتال بعد ان يجرى عليهم فحصا دقيقا حتى يتضح له صاحب العزم القوي من غيره • وعليه كذلك ان يتأكد من سكان القلابات اذ ان اغلبهم " ليسوا صادقين ومتمكن

---

٧٥ الخليفة الى حمدان ابى عنجة ، ٢٤ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ٦٠/٢٠٢

النفاق من قلوبهم والتكارير المسموع عنهم انهم منافقين وليس لهم امان • " وبعد ان يضع الخليفة كل تلك الاحتياطات يقترح الا يقوم الانصار بالهجوم اولا بل يستعدوا في مكانهم وينتظروا قدم الحبشان اليهم [٧٦] • ولعل الذي دفع الخليفة الى ذلك التحفظ خوفه من ان يكون هجوم الانصار فاشلا بعد ان وضع املا كبيرا على ابي عنجة • فهذه السياسة الدفاعية التي اقترحها الخليفة لم تكن سياسة عامة للمهدية تجاه الحبشة بقدر ماهي موقف املته ظروف وقتية •

وفي تلك الشهر الاول الذي قضاه حمدان في القلابات كثر ورود النقادية اليها لمباشرة اعمالهم التجارية • وكان ابو عنجة يتحدث معهم دائما في امور الدين محاولا ادخالهم في حظيرة المهدية • وكان النقادية يردون على حمدان بانهم " مساكين ليسوا من الحرابة للدين في شيئ • وانما الاساس في حركاتهم من كبرائهم" • فاعطاهم حمدان الامان • ولعله بهذا كان يحاول ان يزيل اثار يونس الدكيم العدوانية عندما قام بالتعدي على قوافلهم التجارية • ونتيجة لتلك الاجراءات فقد

---

٧٦ المصدر السابق •

انتعشت الحركة التجارية حتى ان بعض النقادية قبل بدخول في الاسلام .[٧٧]

ولكن الخليفة لم يوافق حمدانا على تلك الاجراءات تجاه النقادية ، فقد كان من

راي الخليفة الا يسمح للنقادية بالحضور للتجارة بعد ذلك ، ومن يحضر منهم " يكون

هو الجاني على نفسه " . ولكنه يرى الا يقوم الانصار بالتعرض للنقادية ونهب

ممتلكاتهم اذا حضروا الى القلابات بعد ان اعطاهم حمدان الامان بذلك ، لان

في تعرض الانصار لهم بعد ذلك خروجا على الدين . وقد بنى الخليفة رفضه

لحضور النقادية الى القلابات لانهم ليسوا من المسلمين بل هم اعداء الله ولذلك

فلا توجد " مداخله بين عباد الله واعداء الله ." على انه عاد وذكر لحمدان بان

يسمح للنقادية بمباشرة اعمالهم التجارية اذا كان في ذلك مصلحة دينية وليست تجارية

فحسب ، مثال ذلك ان يكون حضورهم الى القلابات رغبة في الاسلام او ان يكون في

حضورهم " ادخال المكيدة على عدو الله النقس بتقليل جيشه او انحلال عسكره

---

٧٧ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٦ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٦/

١/ ٤١

اعداء الله وتفرق كلمتهم ." [٧٨] فرد ابو عنجة على الخليفة بان حضور النقادية فعلا فيه ثمرة دينية لانهم لايحضرون للتجارة فحسب بل لانهم يهربون من الاذى الذي يقاسونه من الحبش ، الى بلاد المهدية لما فيها من عدل . ويرى ايضا انهم بحضورهم الى القلابات "يرون تحزب انصار الدين وكثرة العدة والعدد المرهب لاعداء الدين ثم برجوعهم هناك يزدادون الذين هم هناك من اخبارهم رعبا على رعبهم ." ويرى ثالثا ان "الثمرة التى هى ابلغ من ذلك" ان زعيم النقادية نقاض راس كان قد حضر الى القلابات وان ابا عنجة قام بكسوته بلبس الانصار . وعندما يرجع الى بلاده فالمأمول ان يعود ومعه عدد كبير من قومه ، كما انه يعد حمدانا بان يأتيه باخبار الحبش وتحركاتهم [٧٩] . ونتيجة لهذه السياسة

---

٧٨ الخليفة الى حمدان ابي عنجة ، ٣ ربيع لخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ٢٠٢/٦٥
لم يكن تخوف الخليفة من التجار واتهامه لهم بانهم جواسيس يقتصر على النقادية فحسب بل- كان يشمل اساسا التجار القادمين من مصر لانهم فعلا كانوا يقومون باعمال التجسس لصالح المخابرات البريطانية ـ المصرية

٧٩ حمدان ابي عنجة الى الخليفة ، ١٠ ربيع لخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٦٦/ ١/ ٥٤

فقد بلغ عدد افراد القافلة حوالى مائتى شخص ، وان ابا عنجة اشترى من احدى تلك القوافل ثلاثين حصانا وهو عدد كبير نسبيا • ولكن الخليفة حذر حمدانا والانصار عامة الا يركنوا كلية الى النقادية اذ انهم فى اعتقاده جواسيس لانهم اذا كانـــوا حقا موءمنين فعليهم باعلان اسلامهم والحضور الى البقعة [٨٠] • لقد اصبح الشك فـــى النقادية هو الصفة المائدة لسياسة المهدية نحوهم • ولكن حتى ذلك الشك لــم يعرقل نشاط الحركة التجارية • ولعلنا نلاحظ ان موقف الخليفة تجاههم قدتحول عن ذى قبل ، فبينما كان من قبل يرى ان يسمح لهم بالحضور الى القلابـــات ليستفيد الانصار من شراء حاجياتهم ، عاد ليضع شروطا جديدة لحضورهم ، فاعتبر المصلحة الدينية هى الاساس لاستئناف النشاط التجارى •

ولاحظ الخليفة ان حمدانا قد اهتم كثيرا باحوال الاهالى واهمل التجسس على احوال الحبش وتحركاتهم ، فكتب اليه مشيرا الى هذا التقصير • ولكن حمدانا نفى عن نفسه التقصير واخبر الخليفة بانه منصرف لمعرفة تحركات الحبش ، وانه يدقق

---

٨٠ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٠ ربيع آخر ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٩/ ١/ ٥٥

في اختيار الطارشة التي يبعث بها الى الحبشة ، وانه مهتم في ارسالها بانتظـام .
وكان قد وصلت الى ابي عنجة بعض الاخبار التي تفيد بان الحبش غير موجوديــن
على جهة القلابات ، ولذلك قرر ان يسير الى بلادهم وان يقوم باحتلال قندار علــى
حين غفلة . وانه واثق من ان الجبرتة سيجتمعون عليه ما ان يدخل بلاد الحبــش .
ولكنه عدل عن تنفيذ تلك الخطة تمشيا مع راى الخليفة الذى ينادى بالاخــذ
بجانب الحذر . ولكنه منذ منتصف ديسمبر (اوائل ربيع آخر) وهو على اهبة الاستعداد
وكل الجيش خارج البلد في " العرضة "[٨١] . واستبدل ابو عنجة فكرة الغزو بالتركيز
على معرفة اخبار الحبش . فتأكدت له الاخبار السابقة من ان يوحنا مشغول مــع
الايطاليين في مصوع وان الجهات الغربية من بلاد الحبشة خالية تماما[٨٢] . وكــان

---

٨١ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ربيع آخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ٦٦/٧/٢٠١
لايرد اليوم الذى كتبت فيه هذه الرسالة ولكنها في الغالب كتبت في بداية
ربيع ثاني لانها كانت ردا على رسالة من الخليفة في ٢٦ ربيع اول . وبما ان الرسالة
تستغرق اسبوعا من الخرطوم للقلابات فيكون اليوم هو مطلع ربيع ثاني .

٨٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١ ربيع آخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ٦٤/٧/٢٠١

في امكان حمدان ان يقوم بغزو تلك المنطقة في منتصف ديسمبر (بداية ربيع اخر) لولا حادثة ادم البرقاوي التي كان يجب معالجتها بحزم • وبقى حمدان في القلابات وجيشه في حالة استعداد للجهاد، فقد اخرج كل الارباع خارج سور البلدة ووضع كل ربع على جهة من الجهات ، وقسم عليهم الاسلحة والذخيرة • واكد للخليفة بانه صرف " النظر كلية عن التوجه للاعداء في ارضهم الا من بعد المرسى جدا مما نرسله لهم من الطلائع " وانه مهتم بعملية التجسس على اخبارهم [٨٣] •

من الواضح ان الخليفة كان متشددا في مسالة التاكد من اخبار الحبش وقوتهم لانه لا يريد ان يدفع بثمرة جيشه لاول مرة خارج حدوده الى ارض غريبة تسمى مخامرة قد تكون غير مضمونة العواقب • لقد كان حرص الخليفة وتدقيقه ، اذا ، امرا طبيعيا • ولعل تلك الدقة هي من ضمن الظواهر التي تعكس مقدرته القيادية ومدى وزنه للامور • لقد ظل حمدان قرابة شهر ونصف وهو يبحث للخليفة بما

---

٨٣ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٥ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١/ ٥٣

يأتيه من اخبار الحبش ، والخليفة لا يوافق على توجهه الى الحبش ،فقد كان طوال

تلك المدة غير مطمئن الى صحة تلك الاخبار .

وفى منتصف يناير ١٨٨٨ (نهاية ربيع اخر ١٣٠٥) تأكد الخليفة من ان الحبش

فعلا منشغلين مع الايطاليين وان اى عملية حربية فى ذلك الوقت ستكون نتائجها

مضمونة . وقد عبر الخليفة عن احساسه بالرضا بتلك النتيجة فى " حضرة نبوية " قابل

فيها الرسول والمهدى ونبى الله عيسى والخضر ، وان الرسول قال للخليفة " قد

حصل لك الاذن بغزو الحبش فى بلادهم " ، ثم قام الرسول وكبر على الحبش مرارا

وكبر معه جميع الحاضرين . وقام المهدى بعد ذلك وقبل الخليفة على خده ، وكان

مسرورا ومنشرحا منه [٨٤]. ويقول الكردفانى ان الخليفة قام بعد تلك " الحضرة بارسال

اوامره لحمدان ليقوم بغزو الحبش [٨٥]. ولكن حمدانا قرر غزو الحبشة يوم ١٠/ يناير

٨٨ (٢٥ ربيع اخر) وتحرك من القلابات يوم ١١ يناير ٨٨ (٢٦ ربيع اخر) ،وقد ذكر

---

٨٤ الخليفة (حضرة نبوية) ، ٢١ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية صادر رقم ١٢ ، ص ١

٨٥ الطراز المنقوش ، ص ٧٦

للخليفة بأن قيامه كان لاقتناعه بان راس عدار قد وصل الى دمبيا ولذلك راى ابـو عنجة ان يقوم بمفاجأته • ورأى ان يقوم بتلك الغزوة كذلك " لتراكم الجيـــوش بالقلابات وخشية تفريقها لدلعى الجوع الذى منها من عدم الغلال ••• مع شدة الامراض من دم وخلافه "[٨٦] • كما ان قيام حمدان كان بغتة ولم يخبر جنـوده بانهم متوجهون لمحاربة الحبش وذلك حرصا على مفاجأة العدو • فاذا كان قيـام حمدان بغتة والجهة التى يقصدها ظلت مجهولة على جنوده فمعنى هذا انه هــو الذى اتخذ القرار بالغزو • فاذا اضفنا الى هذا ان الخليفة كان قد بعث الـى حمدان رسالة فى ١٥ يناير ٨٨ (١ جماد اول ١٣٠٥) يوافقه على قراره بالقيام للغزو وان تلك الرسالة قد تضمنت " الحضرة النبوية السابقة "[٨٧] ، فيكون حمدان هو الذى اتخذ القرار ، ثم قام بارسال خطاب الى الخليفة مع شخص يدعى الدريســى عواض ، يخبره فيه بقراره وبتحركه من القلابات • " فالحضرة النبوية " التى جاءت

---

٨٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٦ ربيع آخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ٦٣

٨٧ الخليفة الى حمدان ابى عنجة ، ١ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ٢٠٢/٧/ بدون نمرة

للخليفة والتى بموجبها قرر غزو الحبشة تكون قد جاءت للخليفة اما بمحض الصدفة في ذلك الوقت بان يكون قد توصل الى ضرورة الغزو في نفس الوقت الذى اتخذ فيه حمدان قراره ، او تكون تلك الحضرة قد جاءت بعد وصول رسالة من حمدان يخبره فيها بنية القيام للغزو . وفى كلا الحالتين فان ماذكره الكردفانى من ان الخليفة هو الذى قرر فكرة غزو الحبشة قول غير دقيق .

تحرك ابو عنجة من القلابات ضحى يوم ١١ يناير ٨٨ (٢٦ ربيع اخر ١٣٠٥) وكان بصحبته خمسة عشر الف مجاهد باسلحة نارية وخمسة عشر الفا بالسلاح الابيض . وكان حمدان قد اجرى كشفا دقيقا لكل الجيش بالقلابات فبلغ جملة المجاهديـن واحد واربعين الفا وثلاثمائة وستة وستين ، اخذ منهم كل حملة الاسلحة النارية ، ونصف حملة السلاح الابيض وترك الباقى بالقلابات لان اقليهم كان مصاب بالحمى و " الكرو" .[٨٨]

وصرف الكل بندقية ستة دستة من الجبخانة " ثلاثة منها بالفشكهليق وثلاثة بالسعن ". وكانت خطة حمدان ان يسير على طريق شلقة الى دمبيا ، وكان يعتقد انها على مسافة

---

٨٩ حمدان أبو عنجة الى الخليفة ، ٢٦ ربيع اخر ١٣٠٥ مهدية ١/ ٢٦/ ٤/ ٦٣

اربعة ايام من القلابات . وفى اليوم التالى من قيامهم قابلتهم قافلة من القادية اكدت لهم وجود الراس عدار بدمبيا ووجود يوحنا ببلاد التترى [٨٩] .

وبعد مسيرة اسبوع (١٢ يناير ٨٨ ــ ٣ جماد اول ١٣٠٥) تراءت لحمدان طلائع جيش الراس عدار . فقام ابو عنجة بترتيب جيشه استعدادا للمعركة . وكان يصحب حمدان كل قواده وهم الزاكى طمل وعبد الله ابراهيم واحمد على ومحمد ابو القاسم صالح . اما عربى دفع الله فقد بقى بالقلابات حسب اوامر الخليفة ولم يصحب الحملة كما ذكر الكردفانى [٩٠] . فقام حمدان بتقسيم جيشه الى اربعة ارباع تمتد على خط واحد ، وفى المقدمة وضع حملة الاسلحة النارية . وخلف ربع الزاكى طمل الذى يقع فى الوسط .. كان حمدان ومعه الملازمين " واهل النجدة وخفاف الحركة " . ومن خلفه وضع حملة الرماح والسيوف كل مجموعة خلف الربع الذى تنتمى اليه . ووضع الخيالة على اجنحة الجيش . وبهذا الوضع يصبح حمدان فى قلب الجيش فى موقف

---

٨٩ . حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٧ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٩/ ١/ ٦٥

٩٠ . الطراز المنقوش ، ص ٨٠

يمكنه من الاشراف على كل الارباع بحيث اذا طرا على احدها ضعف يقوم بمده بالرجال .

وسار ابو عنجة بذلك الوضع حتى التقى بطلائع الحبش وكانوا نحوا من خمسين الف فارس .

وعندما بلغ حمدان منهم مرمى الرصاص امطرهم بوابل منه حتى هلك عدد كبير من

الحبش وانتهت المعركة بانتصار حمدان . وفى الليل جاءت فرقة من الحبش لمناوشة

الانصار وهم فى معسكرهم على مقربة من جيش الراس عدار ولكن الانصار قاموا بصدها . [٩١]

وفى صباح ١٨ يناير ٨٨ (٤ جماد اول ١٣٠٥) صلى حمدان بجيشه صلاة

الصبح وزحف على الراس عدار . وكان عدار يقف على راس مائة واربعين الف مقاتل

جمعهم ــ حسب المعلومات التى ادلى بها الجبرته ــ من كجام ، شلقه ، طاقنسه ، ودمبيا .

وبادر الحبش بالضرب اولا باربعة مدافع ثم بالبنادق . واستمر الانصار سائرين نحوهم

دون ان يسمح لهم حمدان بالضرب حتى تحقق " بان افواه السلاح امتلات من اعداء الله

فوقتها شرعنا فى ضربهم " بالرصاص " ماحجب الشمس " . وبعد ساعة انهزم الحبش

وفروا من امام الانصار ملتجئين بنهر قريب . وبلغ عدد الفارين نحوا من عشرة الاف .

---

٩١ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٥ جماد ١٣٠٥، مهدية ، ١ / ٢٩ / ١ / ٢٦

اما راس عدار فقد نجى بنفسه وترك ابناء، واهله للاسر • وبعد مطاردة دامت عشر ساعات ، عاد الانصار الى معسكر الراس عدار وشرعوا فى جمع الغنائم • وكان عدد القتلى قد بلغ سبعة وعشرين الفا وعدد الاسرى تسعة الاف [٩٢] • ويبدو ان هذه الارقام مبالغ فيها ولكن مهما كانت درجة المبالغة فيها فانها تعكس عنف المعركة وفداحة خسائر الحبش • وغنم الانصار كل متاع الراس عدار من ملابس وحلى واثاث وارسلت جميعا الى الخليفة • كما ارسل حمدان الى الخليفة برؤوس بعض قادة الحبش • وبقى ابو عنجة فى معسكر الراس عدار ثلاثة ايام كان يرسل خلالها الطلائع يمينا وشمالا دون ان يعثر للحبش على اثر • وكانت حالة المعسكر سيئة ، وبلغ من كثرة القتلى ان اصبحت رائحته " منتنة من جيف اعداء الله " [٩٣]

وفى يوم ٢١ يناير ٨٨ (٧ جماد اول ١٣٠٥) تحرك ابو عنجة قاصدا قندار • وفى الطريق قابله بعض سكان المدينة راغبين فى الامان • وعندما قرب من المدينة

---

٩٢) الطراز المنقوش ، ص ٨٣-٨٥

٩٣) حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٥ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدية ٢/٧٠٢/٦٢

خرج اليه " كبرايها من مسلمي الجبرت بالطاعة والاذعان " . وفي يوم ٢٣ يناير ٨٨ (٩ جماد اول) دخل حمدان مدينة قندار فوجد ان اغلب اهلها قد هجروها بعدما علموا بما حل بجيش الراس عدار . وفي قندار شاهد الانصار " عجبا مـــن القصور الشامخات (واحرقوا) اربعين كنيسة "[٩٤] ووجد حمدان اربعة قسس بالمدينة كان قد عثر عليهم عبد الرحيم سالم ابو دقل وعبد الله ابراهيم . فمنح حمدان قتلتهم واعطاهم الامان[٩٥] . وعندما لم يجد حمدان اثرا لجيش الحبش كر راجعا فوصـــــل الى وهني في ٢٩ يناير ٨٨ (١٥ جماد اول) . وفي يوم ٣ فبراير ٨٨ (٢٠ جماد اول) دخل القلابات . ولم يكن وصوله في منتصف فبراير (اوائل جماد اخر) كما ذكر الكردفاني . لان حمدانا كان قد كتب الى الخليفة يوم ٢ فبراير ٨٨ (١٩ جماد اول) انه على مسافة ساعتين من القلابات وانه توقف لجرد الجيش قبل دخـــــول القلابات[٩٦] .

---

٩٤ الطراز المنقوش ، ص ٨٧ـ٨٨

٩٥ صالح محمد نور (تحقيق) ، مخطوطة يوسف ميخائيل ، (رسالة دكتوراه لجامعة لندن ـ غير منشوره) ، ١٩٦٢ ، ص ٧٤

٩٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٩ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٩/ ١/ ٧٣

وقد لخص ابو عنجة للخليفة المغزى من تلك الغزوة بقوله " ونفضل الله فقد رأى الكفار سطوة المهدية وراعت قلوب جميع اهل دارهم مع ماوقفنا عليه من قياس ارضهم ومعرفة الاغلب من جهاتها وفي شقة حزب الله الغالب لدار الحبشة عبرة لولي الالبـــاب ان انها من عجب العجايب "[٩٧] . وبلغ شهداء الانصار في تلك المعارك خمسمائـــة وتسعة عشر ، وجرحاهم خمسمائة وثلاثة وستين وعادوا بكميات من الغنائم بلغت نحوا من اربعمائة واربعة وسبعين من الخيول ، وثلاثمائة وستة وعشرين بغلا ، وثلاثة الاف وستمائة وسبعة واربعين حمارا ، وثلاثة الاف واربعمائة وخمسة واربعين من الرقيق ، واربع عشرة قطعة من ملابس القسس ، وتسع وستين قطعة من ملابس واثاث رؤساء الحبش ، وخمسمائة واربع بندقية من مختلف الانواع . وكان الخليفة قد ذكر حمدان بارســـال الخمس الى طرفه . وبلغ عدد الجبرتة الذين انضموا الى الانصار الف واربعمائة وستة .[٩٨] وقد واجه الانصار في تلك الغزوة صعوبات جمه متمثلة في وعورة الطريق وكثرة الجبال

---

٩٧ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ١٥ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٦٩/ ١/ ٦٧

٩٨ المصدر السابق

والمرتفعات . ولكنهم ، كما يدعى حمدان ، قد لاقوا العديد من " الكرامات " فقد كانت الاشجار تسقط على الارض بثمارها ، كما ان الجيش شاهد نورا ابيضا ينير لـه الطريق ، وكانوا فى ساعة القتال يسمعون صوت " ام بابا " [٩٩] .

ولكن لماذا عاد حمدان الى القلابات دون ان يستأنف زحفه ، او يبقى فى قندار ويعمل على تحصينها ؟ لقد اعطى حمدان تبريرا لعودته من قندار فى رسالـــة بعثها الى الخليفة قال فيها " لقد كانت اوبتنا للمركز كوعدنا للمراحم وعدم التصريح الكافى من قبل هذا فى اقامتنا بدار الحبشة والتوجه لما يلزم من الجهات ولان الاخبار قد انقطعت من جهتنا على السيادة من مدة فلذلك حضرنا بالسلامة ..." [١٠٠]

ففى هذه الرسالة يذكر ابو عنجة اربعة اسباب لرجوعه ولكنها لا تكفى لتفسير عودة ذلك الجيش المنتصر وعدم احتفاظه بانتصاره . فاذا كان السبب الرئيسى هو عدم تصريح الخليفة للجيش بالبقاء فى الحبشة ، فلماذا لم يصرح الخليفة بذلك ؟ لاشــك

---

٩٩ الخليفة الى حمدان ابوعنجة ، ٢٢ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدية ١/٢/٣١/٥/١٥٥

١٠٠ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٩ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٦/ ١/ ٧٢

ان العامل الجغرافي كان من اهم تلك الاسباب • فطبيعة الارض الجبلية وغـزارة

الامطار وبرودة الجو كلها لاتناسب الانصار الذين لم يألفوا تلك الظروف الجغرافيـة

العنيفة • فاذا علمنا ان فصل الخريف كان وشيك البداية وهو خريف عنيف خصوصـا

في المناطق المرتفعة وانه يؤدي الى قطع طرق المواصلات لادركنا ان العودة كانت

فعلا امرا ضروريا • ثانيا فان طبيعة حروبات المهدية في تلك المنطقة لم تكن حروبات

توسعية بقدر ماهي غزوات اما من أجل الغنائم اولتحريك الجيش وشغله بدلا من

الاحتفاظ به فترة طويلة في حالة ساكنة • فالحبشة على خلاف مصر لم تكن مجالا

لتوسع المهدية • ولهذا كانت حروبات المهدية في تلك المنطقة اما حروبات غزوات

من اجل الغنيمة او بعض الاعمال شبه البوليسية او حروبات دفاعية • وعليه فـان

القلابات كانت اكثر ملاءمة لتنفيذ تلك السياسة من قندار التي تبعد كثيرا عن مركـز

تمويل الجيش وتقع وسط اراضي جبلية • ثالثا لم يجد الانصار اقبالا صادقا من الجبرتة •

والجبرتة الذين انضموا اليهم فعلوا ذلك خوفا من جيوش المهدية لاعتقادهم بانها باقية

بينهم ، والا لبقوا على ولائهم للحبشة ، او ، كما قال حمدان ، هربوا مثلما فعـل

الحبش وتفرقوا في المناطق الجبلية المختلفة [١٠١] • كما ان بقية سكان المنطقة لم يكن يوثق بهم فقد بدرت منهم عدة أعمال عدائية ، ولذلك فان عملية التوسع الحربي في منطقة معادية تصبح عملية شاقة [١٠٢] • رابعا فقد كانت تلك الحملة نتيجة ظروف معينة اهمها ان يوحنا وبعض قواده، كانوا منشغلين مع الايطاليين/ مما جعل المنطقة القريبة من القلابات شبه خالية من الخطر • ومن تلك الظروف ايضا ان عدد الجيش في القلابات اصبح كبيرا ولا بد من وجود غذاء له عن طريق الحرب وقد كانت قندار نفسها مدينة هامة ومركزا تجاريا مشهورا ، وكان الانصار يعتقدون انها بالنسبة للحبش " ام مدائنهم " ، ولذلك كان الانصار يمنون انفسهم بوجود ثروات طائلة بها • ولذلك فان عودة حمدان الى القلابات لم تكن امرا غريبا بل هي تتمشى مع السياسة العامة للدولة المهدية في تلك المنطقة •

مكث ابو عنجة في القلابات من منتصف فبراير حتى منتصف يونية (اخر جماد اول —

---

١٠١ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٥ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ٦٢

١٠٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٩ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٤/ ١/ ٨٣

لخر رمضان) قبل ان يقوم بغزوته الثانية الى الحبشة • وفى تلك الشهور الاربعة
وجه ابو عنجة اهتمامه الى انعاش الحركة التجارية والتجسس على اخبار الحبش والى
اجراء بعض الاتصالات السلمية مع بعض روءسائهم بالذات الراس عدار
ومنليك •

بالرغم من الحرب التى دارت بين الانصار والحبش ، فان عملية التبادل التجارى
بين البلدين استمرت على ماكانت عليه • فقد كانت سياسة المهدية نحو النقاد ية
لاتتأثر بالعلاقة بين البلدين بل باحتياجات دولة المهدية نفسها • فحينا كان
حضورهم الى القلابات امرا ضروريا لمنفعة المجاهدين، وحينا اخر سم كفرة وجواسيس
ولابد من ايقافهم • وبعد عودة حمدان من قندار لاحظ ان "النقادية اهل التجارة
من جبرتة ومكادة " مازالوا يفدون على القلابات • وكان ابو عنجة قد قابل جماعة منهم
وهو فى طريقه الى قندار واعطاهم الامان وعندما عاد الى القلابات وجدهم على
اهبة العودة • ولم يكن حمدان يدرى هل يتركهم يواصلون اعمالهم التجارية ام
يمنعهم عن الحضور بتاتا [١٠٢] • وكان ابو عنجة يرى فى عودة النقادية مايكسب

---

١٠٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٢ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٦/ ١/ ٦٧

من الوقوف على اخبار الحبش ، اولعله اراد بهذه الحجة ان يقنع الخليفة حتى لايمانع

في استمرار الحركة التجارية • وكان حمدان قد راى في تلك الحركة التجارية منفعة

للمنطقة خصوصا وان انتصاره الاخير على الحبشة قد جعل النقادية يفدون على القلابات

لبيع تجارتهم للانصار الذين امتلأت اياديهم بغنائم الحبش • فقد شهدت الايام

التي اعقبت عودة حمدان الى القلابات افواجا كبيرة من النقادية "فقد تكاثر عددهم

" على غير الطاقة بكل يوم دفعة او دفعتين ••• [وكانوا] لكثرتهم اذا وصل الديم

••• اولهم في اول وقت صلاة الظهر لاينقطع اخرهم الى المغرب" • وكانوا

يدخلون القلابات بعد ان ينزعوا الصلبان (العتب) عن اعناقهم ، كما ان بعضهم

جاء " متجردا من كل العوائق " ليمتقر في دولة المهدية [١٠٤] • والحقيقة فان اولئك

النقادية هم فئة من التجار تجري وراء مصالحها بغض النظر عن ارتباطاتها الدينية •

وكان اغلب النقادية المترددين على القلابات من الجبرتة والامهرة من جزية شلغة

وطاقسة • اما المكادة فقد قل عددهم بعد الحرب بشكل ملحوظ • ولكن

---

١٠٤ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٢ رمضان ١٣٠٥ ، مهدية ١/ ٢٩/ ١/٣ / ١٨٦/٢

الخليفة بدأ يتشكك في تزايد النشاط التجاري وكثرة النقادية الواردين من الحبشة واعتقد الخليفة ان الحبش قد قصدوا من تصعيد الحركة التجارية التي اضعاف " المسلمين باخراج المعاملة منهم " حتى يأتي الوقت الذي تصاب فيه دولة المهدية بانعدام النقود ، ولذلك امر بقفل " جميع البوغازات " ماعدى القلابات وذلك لثقته في حمدان وحسن ادارته للامور ، كما امر حمدانا بان يمنع اي معاملة تجارية بالنقد سواء كان ريالات او ذهب ، وان تكون المعاملة مع النقادية بالملح والقطن والسلع الاخرى ، اى ان تكون التجارة بالمقايضة ، وكان من نتائج ذلك الاجراء ان انخفضت التجارة وقل الوارد من الخيول والبقر والبغال والعسل [١٠٥] .

اما جهة تبارك الله والتومات فلم تعرف استقرارا كالذي لقيته منطقة القلابات وظلت عرضة لهجمات عجيل وجماعته بغرض السلب والنهب ، واحيانا بغرض المناورات . وقد كانت غبتة مركز عجيل عامرة لانها لم تتعرض للحرب مثل غورة

---

١٠٥ حمدان ابوعنجة الى الخليفة ، ٢٧ جمادالاخر ١٣٠٥، مهدية، ١/ ٢٩/ ١/ ١٢٢

ودمبيا • وعندما كثرت غارات عجيل وتعددت قرر ابو عنجة ان يقوم بمحاربتـــه في فصل الصيف ،ولكن الخليفة راى ان يسرع حمدان بالهجوم حتى ترتاح جهـــة تبارك الله قليلا [١٠٧] • فقرر حمدان ان يقوم يوم ١٩ مارس (٣ رجب) لتهدئة المنطقة ، ولكنه وهو على وشك التحرك وصلته انباء عودة يونس الدكيم فتاخر لملاقاته وشغـل بعدها بمشاكل داخلية اخرى ولم يتمكن من محاربة عجيل • ولكنه قام بالتشديد على بوغاز تبارك الله والتومات حيث بعث بنجدات حربية الى هناك • ويبدو ان تلك الجهة حظيت بشيء من الاستقرار بعد ذلك اذ اخذت جماعات من انصار عجيل يهجرون معسكره ويعودون الى التومات وتبارك الله طالبين الامان لما اصابهم من من الجوع من عدم الاستقرار وتعدد الحروبات [١٠٨] •

بعد ان عاد حمدان من حملته الاخيرة على الحبشة رأى ان يستغل انتصاره الحربي سياسيا ، فبعث بعدة رسائل و "انذارات" الى بعض قادة الحبـش

---

١٠٧ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٩ جماد اخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٠٥

١٠٨ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٨ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٦٦

خصوصا الراس عدار ومنليك [١٠٩] • كانت اول رسالة بعثها حمدان الى راس عدار

فى ٤ فبراير ٨٨ (٢١ جماد اول) • وفى تلك الرسالة توعده ابو عنجة وذكره بانتصاره

الاخير على الحبش وقال له " وفى علمكم اننا ما دمنا بهذه الدار لاندعها من التكسير

•••• حتى تؤمن بالله وحده وتنطق بالشهادتين ••• فهذا انذارنالكم ••• وها

نحن فى انتظار مايرد منكم اما السلم بقبول الاسلام واما الحرب " [١١٠] • ووصل رد

الراس عدار فى ١٩ فبراير (٦ جماد اخر) مع رجلين من الجبرتة • وقد طلب راس عدار

الصلح مع حمدان وعرض شراء اسرى الحبش من الانصار على ان يرد للانصار اسراهم

الذين اخذوا فى المعركة التى استشهد فيها ولد ارباب • واكد انه على استعداد

لدفع الجزية [١١١] • ورد عليه حمدان ردا قاطعا اذ قال له بانه لايريد الدنيـــا

---

١٠٩ بلغت تلك الرسائل فى مجموعها ١٨ رسالة وكلها متشابهة فى صيغها

١١٠ • حمدان ابو عنجة الى الراس عدار ، ٢١ (٤) ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١٣/ ٤٠

هذه الرسالة لم يرد فيها الشهر ولكنه " جماد اول " وقد اعتمدت على هذا

التحديد من رسالة بعث بها حمدان الى الخليفة •

مهديه ، ١/ ٢٤/ ١/ ٧٢ •

اما نص رسالة حمدان الى راس عدار فهو نفس النص الذى بعثه الى بقية رؤساء الحبشة •

١١١ ورد تلخيصها لرسالة الراس عدار فى خطاب لحمدان بعثه الى راس عدار

نفسه راجع : مهدية ، ١/ ٣٤/ ٢/ ١

ولازخرفها لانها ذاهبة وكل مايريده منه ان ينطق بالشهادتين وان ينزع الصليب من عنقه وان يقبض على المفسدين امثال صالح ادريس والفكي المضوى عبد الرحمن وعجيل ويبعث بهم اليه[١١٢] . وكان ابو عنجة ينوي ان يرسل الى راس عدار بنته التي وقعت في الاسر ، ولكنه قرر اخيرا ان يبقيها في القلابات حتى يصل ردا من ابيها . ولكن البنت ماتت لمرض . الم بها فارسل حمدان خطابا رقيقا الى عدار استهله بان " الموت حق لامنجى لكل حي بعد الله منه" . ثم اخبره بان ابنته " هلكت بالقضاء" . وبعث بجاريتها اليه ليتأكد بنفسه من صدق حديثه . ثم اخبره بان ابنه مكتن " في امان وعوفى جرح الرصاص" الذي اصابه في المعارك الاخيرة . واخيرا طلب منه دخول الاسلام والا " فلاصلح الا الحرب واشتداد الضرب حتى يهلك الله اعداءه "[١١٣] ورد راس عدار بخطاب رقيق خاطب فيه حمدانا بقوله " حبيبي في الله حضرة جناب الامير حمدان ابو عنجة امير امراء بقعة القلابات" . ثم تحدث له عن اكرامه لابنائه

---

١١٢ المصدر السابق

١١٣ حمدان ابو عنجة الى الراس عدار ، ١٥ جماد اخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١٢/ ٣٦

وعوائله وان هذا الكرم قد جعله في غاية "الممنونية" ، ثم طلب ارسال ابنه حتى يكون في "غاية الفرح والممنونية من جهتكم حيث اننا لم نرغب من جهاتكم الا ان يكون بيننا غاية المحبة ... ولا نسمح في كل مايكون بيننا قول قايل فاسد"[١١٤]

لاشك ان نوعا من العلاقة الودية قد نشأ بين القائدين حتى اعتقد حمدان ان الراس عدار مسلم للمهدية لولا وجود منليك الذى يحول بينه وبين ذلك[١١٥] . هل كان راس عدار حقا ينوى عقد صلح مع الانصار بعد الهزائم التى نقيها على ايديهم ، ام كان يحاول فقط كسب الوقت لانه فى موقف حربى ضعيف ولان يوحنا ومعه اغلب الجيوش مازال مشغولا مع الايطاليين ؟ لعل راس عدار قد اعجب فعلا بابى عنجة وبمقدرته الحربية وبحسن معاملته لابنائه الذين وقعوا فى الاسر ، ولكنه كان ايضا يحاول كسب الوقت وتفادى ان هجوم جديد وهو فى موقف ضعيف لذلك كان

---

١١٤ تكلا هيمانوت (راس عدار) الى حمدان ابى عنجة ، غاية شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/٣٤/١٦/١٦٦

١١٥ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٥ رمضان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/٣٤/١٦/١٧٧

لين الجانب حتى اعتقد حمدان انه مسلم للمهدية •

وبدات صلات حمدان بمنليك بنفس الرسالة التي لقد بعثها الى راس عدار ، الا ان منليك لم يصطدم مع ابي عنجة في معركة حربية بعد ، لانه كان طوال تلك المدة بعيدا عن منطقة الحدود • وبعد انتصار حمدان الاخير قام يوحنا بارسال منليك الى الجبهة الغربية بتفويض كامل • فقام منليك من دبرتابور الى قندار ومنها الى دمبيا [١١٦] • وقد انزعج حمدان لتلك الاخبار وكانت سببا في تاخير الحملة التي كان ينوي اخراجها ضد عجبل • فقام ابو عنجة باجراء الاستعدادات اللازمة فاخرج " كافة انصار الدين والرايات والسلاح والجبه خانة بالبرازة خارجا عن الديم" [١١٧] ثما بعث بخطاب الى منليك ذكره بما حل " بمجموع الضلال التي هي مع عدو الله راس عدال" ثم اخبره بانه قد علم من امير الجبرتة انه " مسلم وابن مسلم ويحب المسلمين واسمك احمد البشير" • ثم قال لمنليك انه اذا كان حضوره لدبرتابور

---

١١٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٦ رجب ١٣٠٥ ،مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٢٣

١١٧ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٧ رجب ١٣٠٥ مهدية ، ١/ ٢٤/ ١/ ١٢٥

حبا في الاسلام ورغبة في الانضمام للانصار فان حمدانا يعده بان يعينه اميرا على عموم ارض الحبشة ، اما اذا كان مصرا على الكفر وعناد الله فان حمدانا يتوعده قائلا " باننا مستعدون لصدك وتدميرك بعون الله وقوته وان لم تأتنا فسنأتيك" [118] .

ووصلت اخبار اكيدة الى حمدان بان منليك قد وصل فعلا ووضع يده على كافة " تعلقات النقس يوحنا ... وحتى بيوته ... ونزل في واحد منها بالفعل ووضع يده على ارض قجام وكافة جهات راس عدار وغيرها من نواحي الدار" وان منليك قد فعل ذلك بعد موت يوحنا [119] . ولكن الخليفة نفى لابي عنجة خبر موت يوحنا ولخبره بان النقس يستعد لمحاربة الانصار في فصل الصيف وانه قد اوكل الجهة الايطالية للراس الولا [120] .

وفي منتصف ابريل (اواخر رجب) تأكد لابي عنجة وصول منليك بجهات دمبيا وان جيشه بمكان يسمى شين قبريه يقع بين دبرتابور ودمبيا . وقد نبه منليك

---

١١٨ حمدان ابو عنجة الى منليك ، ٩ رجب ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٦٦

١١٩ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٨ رجب ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٦٩

١٢٠ الخليفة الى حمدان ابي عنجة ، ٢٩ رجب ١٣٠٥ ، مهدية ، ٢/ ٣١/ ٥/ ١٧٤

على جيشه بالاقتصاد في استعمال الدقيق في اكلهم نسبة لطول الرحلة ، مما جعل حمدان يستنتج انه ينوي الوصول الى القلابات . وكان ابو عنجة قد سمع بان منليك ينوي فعلا وصول القلابات واقامة ثلاثة كنائس بها ، وينوي كذلك مهاجمة حمدان على حين غفلة [١٢١] . وفي هذا الاثناء ارسل منليك خطابا الى ابي عنجة يستفسره عن امر رسالة استلمها منليك من حمدان وفيها يطلب حمدان من منليك ان يقوم باجراء الصلح بينه وبين يوحنا ، وبما ان الرسالة ليس بها ختم ولا تاريخ فقد شك منليك في صحتها ولذلك كتب الى حمدان مستفسرا [١٢٢] . ورد عليه حمدان بخطاب مطول ملآء بالارشاد والموعظة ، ونفى مسألة طلبه الصلح نفيا باتا قائلا له " وبالجميع لا نريد منكم صلحا الا بدخولكم الاسلام ورفضكم دين الكفرة اعداء الله اللئام وعبدة الاصنام ." وهدده وتوعده واخبره بانه مستعد بجيوشه للحرب . ثم استعجله

---

١٢١ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ؟ رجب ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٤/ ١/ ١٣٦
في الغالب ان هذه الرسالة كتبت يوم ٢٦ رجب .

١٢٢ منليك الى حمدان ابي عنجة ، ١ رجب ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١٦/ ١٣٦

الرد ويخبره بان هذا سيكون اخر خطاب يرسله له [١٢٣] . ويدعى حمدان ان منليك ارسل خطابا الى امير الجبرتة فى القلابات يطلب منه ان يحصل له على تاكيد من حمدان على المصحف بان حمدانا سيجعل منليك فحلا اميرا على كل بلاد الحبشة . وقد وعد منليك فى خطابه بانه اذا عين اميرا فانه سيصالح الانصار ويجاهد معهم حتى ضد يوحنا نفسه . وكان رد فعل حمدان على الاقتراح " هيهات ان ينال الصلح سوى الضرب بالعضب والورود لمناهل المنايا " [١٢٤] . ولاشك ان رفض حمدان لطلب منليك ــ اذا كان ما ادعاه حمدان صحيحا ــ كان يعتمد فيه على انتصاراته الاخيرة التى حققها فقد كان معتدا بقوته وعتاده حتى انه قام باطلاع رسول منليك على كل اسلحته وعتاده حتى يقوم بابلاغ ذلك لمنليك . كما ارسل لمنليك جبة الانصار لتكون اساسا لاى صلح ، فاما الدخول فى سلك المهدية او الحرب [١٢٥] . وبهذا يكون حمدان قد اغلق اى باب كان يمكن ان يكون منفذا الى

---

١٢٣ حمدان ابو عنجة الى منليك ، ١ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٣٥/ ٧/ ١١٥

١٢٤ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٤٠

١٢٥ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٣٨

نوع من الاتفاق ودعى الى الحرب ، ولم يبق بعد ذلك الا الصدام مع منليــــك .

ولكن منليك لم يواصل زحفه على القلابات بل كر راجعا من بجارة الى دبرتابـور ومنها الى شوا . وكانت اسباب ذلك التحول ان يوحنا قد اشتبك فى حرب مـــع الايطاليين ولم يشأ أن يفتح جبهة ثانية مع الانصار ولذلك ارسل الى منليك يطلب منه ان ينسحب من دمبيا ويعود ادراجه . كما بعث باثنين من قواده ليقوما بجمـــع اكبر كمية من الغلال وان يحفظاها فى جبل " بركستان " وذلك استعداد للحرب .[١٢٦] كما ان اقتراب فصل الخريف سيحد من حركة منليك ولذلك قرر العودة ليستعد لاستئناف الحرب بعد فصل الخريف . وكان منليك يشيع للنقادية وهو فى طريق عودته انـه قد ابرم صلحا مع الانصار . ويرى ابو عنجة ان سبب تلك الدعوة ان منليك كان يريـد ان يأخذ من النقادية مايريد من بضائعهم معتمدا على ذلك الصلح الوهمى[١٢٧] . وربما كان منليك يسعى لجمع اكبر كمية من الغذاء لجيشـه اثناء فصل الخريـــف . وفـــى

---

١٢٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٨ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٦٦

١٢٧ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٥ رمضان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٧٣

منتصف يونية (اواخر رمضان) تأكد حمدان ان منليك قد جاوز دبرتابور وانه فى جهة دبر مى متجها الى شوا • وبهذا استطاعت جهة القلابات ان ترتاح قليلا ، فالراس عدار قد هزم وهو ساعى الى ابرام صلح مع الانصار ، ومنليك متجه بجيشه الى شوا ، والخريف سيصبح جدارا يحمى الانصار لفترة من الزمن •

وفى تلك الفترة التى توقفت فيها العمليات الحربية حقق الانصار نصرا سياسيا على الحبش • وذلك ان اللن قرد ، ابن الامبراطور السابق تيودور ، ارسل يطلب الانضمام الى الانصار • فقد كان اللن على عداوة شديدة مع يوحنا الذى اغتصب منه الملك [١٢٨] • فارسل حمدان يدعوه الى القلابات وبعث له بجبة الانصار ودعاه للاسلام • وفى ٢٠ ابريل ٨٨ (٨ شعبان ١٣٠٥) وصل اللن قرد الى القلابات واسلم وسمى نفسه عبد الرحمن • وكان ابو عنجة يرى ان يعطيه راية ويبعث به الى اهله ليعلن الجهاد ويرفع راية المهدية هناك [١٢٩] • على ان حمدانا عدل عن تلك الفترة

---

١٢٨ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٤٧

١٢٩ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٩ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ١/ ١٥٣

تلك الفكرة وفضل ارسال عبد الرحمن الى امدرمان لمقابلة الخليفة ، وارسله فعلا يوم ٢ مايو ٨٨ (٢٠ شعبان ١٣٠٥) ومعه رهط من الجبرتة • فاكرم الخليفة وفادته ورأى أن يعود عبد الرحمن الى اهله قبل امتلاء الانهر والوديان ليدعو للمهدية • وسواء صحت هذه القصة اولم تصح ، وسواء احدث عبد الرحمن فعلا تأثيرا حقيقيا في اهله او لم يحدث فان تلك الحادثة تدل على تفهم قادة الانصار لاهمية حرب الدعاية واستغلال كل العوامل الممكنة في الحرب • ويبدو أن عبد الرحمن قد عاد فعلا الى اهله ولكنه لم يستطع أن يحدث اثرا فعالا فلم يرد ذكره بعد ذلك ، ولعل الاحداث الكبيرة التي عاشتها المنطقة بعد ذلك قد ابتلعته في دوامتها •

عندما احس ابو عنجة بان الحبش لن يستطيعوا مهاجمته في ذلك الوقت وان رؤساءهم قد بعدوا عن جهته ، وان الخريف سيحول دون تحركاتهم كان أن يقوم " بانتهاز الفرصة في اعداء الدين ايام الخريفية هذه " [١٣٠] ولعل هذه

---

١٣٠ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٧ شوال ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/٢٩/١/١٨٧

الفكرة كانت تنطوى على مغامرة كبيرة ولكنها بلاشك خطوة جريئة لما فيها من مباغتة وجرأة • وقد عبر الخليفة عن موافقته في " حضرة نبوية " راى فيها ان الحبش " اذا حضروا للطرابة تكون ايديهم مغلولة الى اعناقهم واننا منصورون عليهم" [١٣١] • وربما كانت تلك " الحضرة " اشارة ايحائية لحمدان ليغزو الحبش • وقد اوضح حمدان اهداف حملة الخريف وخطتها فى قوله " انها مكيدة اردناها وفرصة لابد من انتهازها ولقد عولنا على ان تستكمل خريفنا هذا ببلادهم بشن الغارات عليهم من كل جهة ومكان وتخريب عمران دورهم وافساد مزارعهم وتضعضع الخيل والحافر والضداف المسلحى منهم حيث كانت اذ ان هذا هو الوقت الذى فيه مكيدتهم" [١٣٢] ثم يعود الى القلابات قبل تمكن الخريف • ورأى ان يكتم خبر الجهة التى سيتوجه اليها عن " الخاصة والعامة " حتى لاتفقد الغزوة عنصر المفاجأة •

تحرك ابو عنجة من القلابات يوم ١٧ يونية ٨٨ (٧ شوال ١٣٠٥) ومعه احد

---

١٣١ الخليفة ، (حضرة نبوية) ، ١ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، صادر رقم ٢ أ ، ص ٩

١٣٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢١ شوال ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٦/ ٤/ ٢٠٠

عشر الف بندقية رامنتون هذا بخلاف الانواع الاخرى وبخلاف الاسلحة البيضاء ،
وثلاثمائة صندوق جبخانة اضاف اليها مائة اخرى فيما بعد ، وعدد من المدافع .
وسار بطريق علقة ووصل فى مساء نفس اليوم الى كمكى [١٣٣] . وفى ٢١ يونية
(١١ شوال) وصل نهر عطبرة فوجد انه لايمنع تحركات الجيش كلية . ومن هناك
سار على طريق بين علقة وشلقة وهو طريق اتفق اهل الدار انه احسن الطرق لانه
" صارف لجميع البحار والاودية " وليس به عوائق كبيرة تمنع العرور ، ومن خلال
ذلك الطريق يمكن العودة حتى فى اشد ايام الخريف . وفى ٢٥ يونية (١٥ شوال)
وصل الى ارض دمبيا حيث اقام حمدان معسكرا فى مكان يسمى تنكل . وقد قابله
اهل الجوة والجهات المجاورة بالطاعة والامتثال طالبين الامان ، وقاموا باكسرام
حمدان وجيشه . كما انضم اليه اغلب الجبرتة حتى لم يبق " احد من المسلمين الا
واجتمع " به . وكان ابو عنجة قد اختار تنكل لان بها فضاء واسع من كل الجهات

---

١٣٣ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٧ شوال ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/٢٦/٤/١٩٤

وهناك اقام معسكره من الحجر واحاطه بزريبة من الشوك [١٣٤] .

ولم يجد حمدان اثرا للحبش ، فيوحنا مازال مشغولا مع الايطاليين ، ومنليك باق في شوا ، ويوطا وراس عدار في قجام ، ولذلك لم تثمر تلك الحملة عن معارك كبيرة . اما حمدان فكان كلما سمع بتجمعات للحبش يقوم في اثرها وكان الحبش غالبا ما يذعنون له بالطاعة . وسمع حمدان بوجود احد قواد الحبش ويدعى دجاج مشه في قوة من جيشه في جهة ام نجارة فزحف حمدان نحوه [١٣٥] . ولكن دجاج مشه كان قد هرب فاقتفى حمدان اثره دون جدوى . وارسل حملة اخرى بقيادة عبد الله ابراهيم الى احدى الجزر كان قد سمع ان بها كنيسة محدة ليوحنا . فوصل اليها الانصار على اطواف من الخشب وقاموا باحراقها وقتل كل من كان بها . وقام حمدان بارسال حملة اخرى الى مكان دهنشوم ولكن الحملة لم تحقق نجاحا كبيرا [١٣٦] .

---

١٣٤ الطراز المنقوش ، ص ٨٩ــ ٩٢

١٣٥ دجاج ماشى مشه الى حمدان ابو عنجة ، ٩ ٥ ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١١/ ١٨٣

١٣٦ استجواب مرجان اسماعيل الجهادى بواسطة محمد احمد رحمه ، ١٤ القعدة ١٣٠٥ ، مهدية ، ٢/ ٤/ ١١/ ٩٩

وبعد تلك المحاولات المتكررة قرر ابو عنجة ان يعود ادراجه اذ لم تكن هنـــاك ضرورة من بقائه ، فوصل القلابات يوم ٧ اغسطس ٨٨ (٢٩ القعدة ١٣٠٥) . وصحب معه الى القلابات ثلاثة من اعيان الحبشة ومعهم واحد وثمانون من جماعتهم وهم :

قرا ذر وجماعته : ٣١

نقادى وجماعته : ١١

الزاوند ى وجماعته : ٣٦

وقام بارسالهم جميعا للخليفة حيث اكرمهم املا فى استخدامهم فى حرب الدعاية [١٣٢] .
كما ارسل للخليفة خمس الغنائم التى عاد بها .

منذ عودة حمدان وحتى وفاته بعد حوالى نصف عام وهو يحاول تسقط اخبار الحبش علّه يظفر بهم فى جهة ما ، خصوصا بعد ان فشلت محاولة الحبش للصلح مع الانصار ، وانتهت هذه الفترة وكلا الطرفين يستعد للحرب . فبعد عودته من دون غورة ام بجسارة وصلت عدة رسائل من الخليفة مرسلة الى روءساء الجيش : يوحنا

---

١٣٢ الخليفة الى حمدان ابى عنجة ، ٢ محرم ١٣٠٦ ، مهدية ، ٢/ ٣١/٦/ ٢٤٠

ومتمليك وراس عدار [١٣٨] . فسار رسل الخليفة الى شوا لمقابلة منليك واقاموا معه نحوا من خمسة عشر يوما لم يظفروا برد مقنع من منليك . اما يوحنا فمازال مشغولا مع الايطاليين . وعاد رسل الخليفة الى القلابات يحملون اخبارا عن الحبش انهم غير مخلصين ليوحنا وانهم بعد موته على استعداد للوقوف في المهدية وطاعتها [١٣٩] . ولعل اولئك الرسل قد عادوا باخبار مبالغ فيها وربما قابلوا في رحلتهم بعض الجبرتة الحانقين على يوحنا فاعطوهم فكرة غير دقيقة عن موقف الحبش تجاه مليكهم . وفي اوائل سبتمبر (اواخر الحجة) وصلت اخبار الى ابي عنجة تؤكد ان اهالي الحبشة لن يقفوا مع يوحنا في حالة حربه مع الانصار . وعلم كذلك ان يوحنا يعاني نقصا كبيرا في المواد الغذائية مما جعله يقدم الى جهة دمبيا حيث قابله شيخها عبد الله وركة خاضعا بقصد خديعته . وكان يوحنا ينوي ان يسير حتى كجام لما فيها من " الخصب في المعاش " [١٤٠] . وظلت اخبار الحبشة تتواتر

---

١٣٨ الخليفة الى حمدان ابي عنجة ، ٨ محرم ١٣٠٦ ، مهدية ، ١/٢/٣١/٦/٢١٥

١٣٩ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٩ القعدة ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/١/٢٩/١/٢٠٢

١٤٠ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٩ الحجة ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/١/٢٩/١/٢١٩

على ابي عنجة عن طريق الجبرتة والنقادية مؤكدة ماوصلته من اخبار سابقة • فقد علم حمدان كذلك ان منليك قد " قطع يده وانفرد لوحده " وان راس عدار " نفسر عن اتباعه " وان جميع الدلار قد خالفت يوحنا ولذلك اصبح في " اضمحلال " من امره خصوصا وانه مازال متهديا من جهة الايطاليين • كما علم حمدان ان ابناء راس عدار قد تقاتلوا مع التقرة - قبيلة يوحنا - وان التقرة قد قتلوا ابناء الراس عدار وان هذا الحادث سيضعف يوحنا كثيرا لان كافة الامهرة - قبيلة الراس عدار - قد انسلخوا منه ولذلك فهو لايستطيع ان يعتمد على التقرة وحدهم لانهم ليسوا " بشيء في الحبشة لقلة عددهم " [١٤١] • وازاء تلك الاخبار المثيرة رأى الخليفة ان يستدعي حمدانا الى البقعة لاجراء مشاورات معه حول خطته للحرب القادمة مع الحبش • ووافق حمدان ان يقوم بتلك الزيارة الى امدرمان لان الحبش " هذه الايام ليست لهم حركة اصلا بل حاصلة لهم المشغولية في انفسهم •" [١٤٢] وعند عودته الى القلابات وجد

---

١٤١ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٦ محرم ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ٢/ ١٢٤

١٤٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٣ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/ ٢٩/ ٢/ ١٣١

ان احمد علي الذي اوكله في غيابه قد قام باخراج كل الرايات خارج المركز استعدادا للحرب وذلك لانه سمع بعض الاخبار عن تحركات الحبش . وبعد ان تأكد حمدان من عدم صحة تلك الاخبار اعاد الرايات الى مكانها . وكانت خطتهم التى اتفق عليها مع الخليفة ان يهجم على الحبش اذا علم بمحل تجمعهم وانهم " متزعزعين " ، اما اذا لم يعرف مكان اجتماعهم فعليه ان يقوم بالهجوم على جبل ابو رملة وما حوله من الجهات وذلك " لمساعدة الانصار " واعطائهم فرصة للحصول على غنائم وعلى معاش [١٤٣] .

وبعد عودة حمدان مباشرة من امدرمان وصلته رسالة من يوحنا في ٢٥ ديسمبر ٨٨ (٢١ ربيع آخر ١٣٠٦) ، وهي رسالة على جانب من الاهمية . يبدأ يوحنا رسالته بالحديث عن غزو الاتراك للسودان ثم محاولة غزوهم لبلاد النقرة عن طريق مصوع وكيف تمكن الحبش من هزيمتهم مرتين . ولعل يوحنا قد قصد من ذكر تلك

---

١٤٣ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٩ ربيع آخر ١٣٠٦ ، مهدية ، ٢٤٠/٢/٢٠/١ ، ورد هذا الخطاب في :

نعوم شقير ، ص ١٠٧٣ - ١٠٧٤

الحقائق ان يقرب بين الحبش والانصار وانهم جميعا قد قاسوا من الاتراك • ثم
انتقل للحديث عن الحروبات التي دارت بين البلدين وكيف انها كانت حروبات
بلا جدوى سوى هلاك المساكين ، ولذلك فهو يرى الا فائدة منها ومن استئنافها •
ويقترح ان تظل كل بلد متمسكة بحدودها دون التعدى على الاخرى • ثم ينتقل
بعد ذلك للنقطة الاساسية في رسالته فيقول بان العدو الرئيسي له وللانصار هم
الافرنج (الاوربيون) ، لانهم اذا هزموا الحبش فحتما سيقومون بالهجوم على الانصار،
واذا هزموا الانصار هجموا على الحبش • ولذلك يقترح يوحنا ان يتحد معه الانصار
لحرب الافرنج حتى تصير البلاد في امان " ويتردد التجار من اهل بلادنا بالمتاجر
الى بلادكم وكذلك تجار بلادكم تتردد الى غندر لاجل المعايش والمكاسب لاهلكم
ولاهلنا " • ولكي يؤكد يوحنا ضرورة ذلك التحالف فهو يذكر بان الحبش والانصار
اولاد جد واحد • ويذكر لابي عنجة ان الايطاليين كانوا قد طلبوا منه سابقا ان
يتعاون معهم لمحاربة الانصار في جهة كسلا لان الانجليز سيهجمون من جهة
الشمال " • ويقول يوحنا بانه رفض طلب الايطاليين ولهذا ناصبوه العداء • ويختتم
رسالته بقوله ان الاتراك والايطاليين اعداء له وللانصار ولذلك يرى ضرورة التعاون

بينه وبين الانصار [١٤٣] .

من الواضح ان يوحنا كان يسعى الى التحالف مع الانصار لمواجهة الايطاليين الذين كانوا يمثلون الخطر الاكبر . وكان يريد كذلك ان يؤمن ظهره قبل الدخول في حرب مع الايطاليين فسعى ليكسب جانب الانصار او يضمن حتى وقوفهم على الحياد [١٤٤] . فخطاب يوحنا هذا يعكس سياسة استراتيجية اكثر من فلسفة شاملة نابعة من فهم صحيح بضرورة الوحدة الافريقية ضد التدخل الاوربي . على ان يوحنا بهذا الخطاب قد وضع بلاشك البذور الاولى لتلك الوحدة ، كما حدد خطورة التدخل الاوربي وتغوله على استقلال بعض البلدان في افريقيا . ولعل هذا ما رمى اليه الدكتور مكي شبيكة بقوله " وبسط يوحنا بهذا سياسة افريقيا للافريقيين ونادى بحلف الفريقين من الدولتين المستقلتين استقلالا كاملا في افريقيا لمناوأة الفرنجة" [١٤٥] .

---

١٤٣ ورد هذا الخطاب في : نعوم شقير ، ص ١٠٧٣-١٠٧٤

١٤٤ مكي شبيكة ، عبر القرون ، ص ٣٨٤

١٤٥ المصدر السابق

فماذا كان رد فعل ذلك الخطاب عند حمدان . استهل حمدان رده الى يوحنا بالحديث عن كرامات المهدى وانتصاراته . اما فيما يختص بطلب يوحنـــا لعقد صلح وحلف مع الانصار فقد كان رد حمدان قاطعا بل كان خال مـــن اى تقييم صحيح للموقف . فقد رد حمدان قائلا " واما طلبك للصلح منا وانـــت باق على كفرك فبعيد بعد المشرقين ودليل على ضعف عقلك وفراغ ذهنـــك فيالك من سفيه ويالك من جاهل اتريد منا صلحا ومؤاخاة ولم تدخل فى الديـن الحق وكتاب الله تاه عن ذلك فان رمت الصلح فقل مخلصا من قلبك اشهد ان لا اله الاالله واشهد ان محمدا رسول الله .... والا فانا نقاتلكم ونخرب دياركم ونيتم ... اطفالكم ونغنم اموالكم "[١٤٦] . وهذا الخطاب يتمشى مع الفلسفة الاساسية للدعوة المهدية والتى تنادى بالايمان بالمهدية اولا والا الحرب ، وهى الفكـــرة التى سماها الدكتور مكى شبيكة " الجامعة الاسلامية " وكانت فكرة الجامعة الاسلامية هـــى الفلسفة التى تحكمت فى سياسة الخليفة فى الفترة الاولى من حكمه .

---

١٤٦ حمدان ابو عنجة الى يوحنا ، ٩ جماد اول ١٣٠٦ ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١٣/ ٥٨

وكان رد الفعل الثانى ان قام حمدان باتخاذ الاحتياطات اللازمة والحـــذر الكافى فاقام على "الديم دايرمايدير وزريبة متينة لها اربع ابواب بكل ربع طريق ورتبنا عليهن النفرا اللازم مستديما لايجول ولا يزول فى ساير الاوقات بحيث لايدعوا احدا يخرج الا ومعه امرا منا ولا يدخل ايضا صاحب شبهة ليلا ولا نهارا الا وقد اطلعوا علينا "[١٤٧] . كما قام بترتيب الجيش وعده وتنظيمه فبلغ (ستة عشر الف وتسعمائة وتسعة وستين مجاهدا قسمهم على اربعة ارباع : ربع الزاكـى طمل ، وعبد الله ابراهيم ، واحمد على ، وملازمية الجهادية ، هذا بخلاف حملـة السيوف والرماح . كما اوقف التجارة مع الحبش لو ان هذا الاجراء فى راى حمـدان سيجلب للحبشة " الضايقة لشدة احتياجهم للقطن وغيره من اشغال الجهة وقد كـان ذلك . "[١٤٨] .

فما هو سبب تلك السياسة الجافة من جانب المهدية والتى لاتعكس اى تفهم

---

١٤٧ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٩ جماد اول ١٣٠٦ ،مهدية ، ١/٢٩/٢/٢٥٨

١٤٨ المصدر السابق

لسياسة يوحنا او اى تجاوب معها • لم يكن سبب ذلك الرفض ان الانصار ضد فكرة الحلف بتاتا اذ ان الخليفة قد قبل تلك الفكرة فيما بعد • اذا فالسبب مرتبط بظروف الانصار وموقفهم في ذلك الوقت بالذات وتقييمهم لموقف الحبش • لقد كان لدى الانصار احساسا ــ ربما مبالغ فيه ــ بقوتهم وقدرتهم • وقد كان مصدر ذلــــك الاحساس انتصارات حمدان التى حققها موءخرا • وكان مصدره ايضا فهم الانصـــار لضعف يوحنا في ذلك الوقت ومواجهته للايطاليين من جانب وتعدد مشاكله الداخلية من جانب آخر • حتى ان حمدانا اكد للخليفة بان يوحنا لايريد الحرب وليس فـــي موقف يمكنه من ان يحارب [١٤] • فاذا اضفنا الى هذه الاسباب ان فكرة الجامعـــة الاسلامية كانت هي الفلسفة المتحكمة في سياسة المهدية في ذلك الوقت لوجدنا ان رد حمدان العنيف على يوحنا كان له مايبرره •

اما يوحنا فانه عندما استلم خطاب حمدان راى ان موقفه اصبح دقيقا وانه

---

(١٤) حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٦ ، مهدية ، ٢٦٢/٢/٢٩/١

وقع بين قوتين • فقرر ان يواجه الانصار اولا ويقوم بطردهم من القلابات وربما طاردهم حتى امدرمان ليؤمن ظهره • فاستدعى كل امرائه اليه واجتمع له نحوا من مائتين وخمسين الف مقاتل وعلى راسهم اشهر قواده مثل راس عدار وراس السرلا وعيالا مريم • ولما سمع حمدان بذلك الخبر اخذ في تحصين القلابات فاحاطها بزريبة مربعة متينة وفي داخلها اقام " متراس " حصين ومن داخله اقام سورا مربعا طوله مائة وسبعون مترا ووضع على كل جانب من جوانب السور مدفعا و"غفرا وطبجية وحرس" [150] •

ولكن حمدانا لم يعش ليواصل حربه ضد الحبش اذ توفى يوم ٢٩ فبراير ١٨٨٩ (٢٧ جماد اول ١٣٠٦) واستعدادات الحرب جارية على قدم وساق • وكانت وفاته فجأة نتيجة علة في بطنه تناول لها بعض الادوية المحلية من الاعشاب فاودت بحياته • وخشى الخليفة ان تحدث وفاة حمدان نوعا من الخلل في بوغاز القلابات فارسل عددا من الرسائل الى العملاء والملازمين وانصار الدين واعظا لهم وحاثا

---

١٥٠ نعوم شقير ، ص ١٠٧٦ـ١٠٧٧

الطراز المنقوش ، ص ٩٢

اياهم على الجهاد ، كما طلب منهم الوقوف بجانب احمد على الذى حل محل حمدان موءقتا واكد عليهم موءازرته[١٥١] . ولعل ما اورده الكردفانى عن حمدان يوءكد مكانته كقائد مقتدر من قواد الدولة المهدية . يقول الكردفانى ان ابا عنجة كان محبوبا من جيشه المزيد احسانه الى جنوده وشفقته بهم وايثاره لهم فى كل شيى ، بحيث لا يتعدون اشارته ولايخالفون امره . وكانت له فى الصدور هيبة واحترام عند كثير من الانصار[١٥٢] . حقا ان حمدانا كان احد القواد البارعين الذين اخرجتهم الثورة المهدية[١٥٣] . ومات حمدان ولم يكمل ذلك الفصل الهام من تاريخ المهدية الذى بدأه وبقى على خليفته الزاكى طمل ان يكمل ذلك الدور من بعده .

---

١٥١ بعث الخليفة بعدد من الخطابات الى القلابات وهى واردة فى : مهدية ، ٢/ ٣١/٦ / ٢٣٤ ومابعدها .

١٥٢ الطراز المنقوش ، ص ٧٣

١٥٣ وقد رثاه محمد المجذوب الطاهر بقصيدة مشهورة قال فيها :

حمدان انك طالما سمت العدى ذلا وذكرك فى المحافل يرفع

ماوجهت رايات نصرك وجهة الا وبالظفر الموءكد ترجع

فلك الرضا بلقاء ربك شاهرا سيف الجهاد وكل قرم تقمع

وردت هذه الابيات فى : نعوم شقير ، ص ١٠٧٧ .

الفصل الرابع

القضارف ـ القلابات بين الزاكي طمل واحمد على

هـ
١٨٨٩ – ١٨٩٣ (١٣٠٦ – ١٣١١)

تنقلت الادارة في عمالة القضارف ـ القلابات في الفترة التي اعقبت وفاة حمدان وحتى ديسمبر ١٨٩٣ (جمادى الاخر ١٣١١) بين الزاكي طمل واحمد على حتى ليصعب ان ننسب هذه الفترة لاى منهما . فبعد وفاة حمدان آلت السلطة الى احمد على لفترة قصيرة عين بعدها الزاكي طمل عاملا على كل المنطقة . وفي ابريل ١٨٩١ (شعبان ١٣٠٨) غادر الزاكي القلابات الى جنوب البلاد / وبقى هناك حتى نهاية عام ١٨٩٢ (جماد ثاني / رجب ١٣١٠) . وفي خلال تلك الفترة اصبح احمد على وكيلا لعمالة القلابات والمتصرف في شئونها ثم عاد الزاكي الى القلابات وبقى بها حتى يوليو ١٨٩٣ (محرم ١٣١١) حيث اعتقل بعدها وقتل . ثم عاد احمد على عاملا عموميا وبقى حتى مصرعه في اغردات في ديسمبر ١٨٩٣ (جماد اخر ١٣١١) .

وسنتعرض في هذا الفصل لدراسة المشاكل الداخلية التي واجهتها المهدية في تلك المنطقة وهي لاتختلف في منحاها عن جملة المشاكل التي

تعرضت لها المهدية في السنوات السابقة . اما في السياسة الخارجية فقد شهدت هذه الفترة قمة انتصارات المهدية الحربية ، كما شهدت هذه الفترة كذلك بداية تقلص النشاط الحربي وانكماشه حتى اصبح في نهاية هذه الفترة مجرد مناوشات على الحدود بين البلدين ،بل ان حامية القلابات نفسها تم سحبها الى القضارف. وشهدت هذه الفترة كذلك بداية الصدام مع الايطاليين في اغردات . وبما ان العلاقة بين المهدية وايطاليا ليست من اختصاص هذه الدراسة فلن نتعرض لها الا في حدود تاثيرها على سير الاحداث في منطقة القضارف ـ القلابات .

منذ عهد حمدان كان احمد علي ينوب عنه اثناء غيابه في امدرمان ،فاحمد علي ابن عم الخليفة ومن المقربين اليه وهذا ما اعطاه وضعا مميزا عن بقية رؤساء الارباع في المنطقة . وعند وفاة حمدان اتفق بقية القواد على تعيين احمد علي خلفا له وعاهدوه على الطاعة . وقد وجد ذلك التعيين هوى في نفس الخليفة (1) . ولذلك كتب الى احمد علي

---

1) يرى هولت ان الخليفة كان ينوى اساسا ان يعين احمد علي خلفا لحمدان

Holt, The Mahdist State, P. 154

ويذهب شقير الى القول بان حمدان قد عين الزاكي خلفا له ولكن هذا الراى لم تؤيده الاحداث اللاحقة .

شقير ،ص ١٠٧٧ ــ ١٠٧٨

يحثه على حزم امر الجيش والاهتمام بتدريبه " ومزاكرته وثباته وتفقد امور الجبخانة والة الحرب" وان يمسك " كافة الجيش كما كان مساكة حمدان ".[٢] وهذه الوصية تدل على قبول الخليفة لامر ذلك التعيين .

ولكن بعد أن هدأت النفوس من اثر موت حمدان المفاجئ، كتب الزاكي الى الخليفة موضحا الظروف التي احاطت بتعيين احمد علي . فالزاكي يرى ان اختيار احمد علي لم يكن لكفاءته بل لانهم عند وفاة حمدان كانوا في حالة اضطراب فاختاروا احمد علي " لاعتصام الجيش واتفاق الكلمة وعدم دخول الزعزعه والفشل ". كما ان قواد الجهادية في المنطقة رفضوا قيادة احمد علي لهم وصاروا يتصرفون دون الرجوع اليه " وكل واحد منهم يكتب بمراده للدار ويطلب منها عيش وغيرها وكلا منهم حاز له حلال واضروا بالانصار غاية الضرر" بل ان اولئك القواد تحزبوا مع الجهادية وطالبوا بعزل احمد علي وبعثوا برسول الى الخليفة يحمل تلك الرغبة .[٣] وكان راى احمد علي ان اولئك القواد ساعين لتفريق الكلمة وطالب الخليفة " بتجريدهم من حطام الدنيا "

---

٢ الخليفة الى احمد علي ، ٥ جماد اخر ١٣٠٦، مهديه ١/٢٧/٧/٩٥

٣ الزاكي طمل الى الخليفة ١٥، جماد اخر ١٣٠٦ ، مهديه ١/٤/١/٨/١

وان ينقلهم الى امدرمان[٤] . وكان على راسهم الزاكى طمل وعبدالله ابراهيم وعربى دفع الله وابراهيم الدفيعة وابدى احمدون . وكان بقية الجهادية يقفون معهم ويرفضون الانقياد لاحمد على[٥] وقد بلغ الصراع بين الفريقين حد القطيعه وربما التحزب للقتال . ولعل النور عنقره قد صور الموقف بدقة فى قوله " فمن ماراييناه من قراين الاحوال من الروءس فانه ان لم يحضر سيدنا يعقوب بن السيد محمد او احدا يشابهه ويذاكرهم فى الله مقدار جمعتين او ثلاثة فربما لاتحصل منهم ثمرة او وقع بينهم شاغل[٦] .

وعندما بلغ الصراع تلك المرحلة الحادة ادرك الخليفة ان بقاء ابن عمه فى القيادة اصبح امرا مستحيلا فى وجهه المعارضة المنيئة ، فرأى ان لابد من وضع حد لذلك . فقرر ارسال وفد الى القلابات ليطلع على الحالة ويقرر لمن توءول الرئاسة . وتكون الوفد برئاسة احمد على قاضى الاسلام وعضوية عثمان احمد وابراهيم عالم واحمدى محمود واحمد حمدان وحسن حسين والبخيت هارون واحمد الطليمة . وكان ارسال مثل تلك

---

٤ احمد على الى الخليفة ، ١٦ جماد اخر ١٣٠٦ ، مهديه ١ ، ٢٧/١٤/٤١/١

٥ الزاكى طمل الى الخليفة ، ١٥ جماد اخر ١٣٠٦ ، مهديه ١ ، ١/٤/١/ ١/٥

٦ النور عنقرة الى الخليفة ، ٨ جماد اخر ١٣٠٦ ، مهديه ١ ، ١٠/٥/٢٩/١

الوفود لحل الازمات التى تنشأ فى الاقاليم من التقاليد المألوفة فى حكم الخليفة . ويبدو ان تلك الوفود كانت تحمل رغبة الخليفة ولم تكن وفودا مستقلة تقرر ماتراه مناسبا . وكان هذا الاتجاه واضحا بالنسبة . للوفد الذى ارسل الى القلابات . فقد كتب الخليفة الى احمد على فى ١٢ فبراير ١٨٨٩ (١١ جماد اخر ١٣٠٦) يطلب منه ان يقبل مايحمله الوفد من قرار بالرضا والانشراح . وفى ١٥ فبراير (١٤ جماد اخر) كتب الخليفة منشورا يعلن فيه تعيين الزاكى عاملا على كافة الجيش ،ويطلب من احمد على ان يقبل ذلك القرار وان يقتصر على ربعه فقط[٧]. فاذا علمنا ان ذلك الوفد وصل القلابات فى ٢ مارس (٢٩ جماد اخر) لادركنا انه كان يحمل اوامر محددة ذهب فقط لاعلانها بشكل فعال ،وان ذلك الوفد قد اتم مهمته فى اليوم الثانى لوصوله[٨] . ويبدو ان الوفد قد تعجل فى اداء مهمته لانهم لدى وصولهم تبين لهم ان الحبش كانوا يقتربون من الحدود وانهم على وشك ان يقرعوا ابواب القلابات[٩] .

---

٧ الخليفة الى احمد على ، ١١ جماد اخر ١٣٠٦، مهدية ١/٢٧/٧/٧١
الخليفة الى احمد على ، ١٤ جماد اخر ١٣٠٦، مهديه ١/٢٧/٧/٧٣

٨ احمد على (قاضى الاسلام) وبقية اعضاء الوفد الى الخليفة ، ١ رجب ١٣٠٦ ، مهدية ، ١/٢٧/١٤/٤٦

٩ الطراز المنقوش ، ص ١٠٤ — ١٠٥

اما احمد على فقد استنجد بالخليفة يطلب حمايته خوفا من ان يبطش الزاكي بقواد ربعه . ويبدو ان الخليفة راى ضرورة استدعاء احمد على الى البقعة بغرض تهدأة الجو ثم اعادته ثانية . وهكذا انتهت الجولة الاولى من الصراع بين الزاكي واحمد على بتنصيب الزاكي عاملا عموميا على المنطقة .

مجاعة سنة ١٣٠٦

واول مشكلة داخلية واجهها الزاكي – ورثها من عهد حمدان ابى عنجه – هي مجاعة عام ١٣٠٦ هـ . فقد بدأت تلك المجاعة في عهد حمدان واستمرت الى عهد الزاكي بل وامتدت الى عامين من عهده . فمنذ الاسابيع الاولى لحكمه لاحظ الزاكي " تضعضع المعاش " وان القوت على عهد حمدان كان يجلب " بالطرق المستحسنة والتدابير النافعة بما يتباد له من الاهالى بالحكمة شيئا فشيئا بوسيلة وسلف ومساعدة " اما الان فصار معدوما وليس بالمنطقة من " حقوق الله مايقوم بكفاية عشر المعشار ". وقد اثرت تلك الحالة المعيشية المضنية على الجيش حتى "تزايد به الضرر ... وعم ذلك الكافة صغيرا وكبيرا مجاهدا وعائلة حتى صاروا ياكلون الجيف ويلتقطون الحبوب من الارض في الطرق والمزابل

---

(١) الزاكي طمل الى الخليفة ١٥ رجب ١٣٠٦ ، مهدية ١/٤/١/٢١

ومحلات الرماد ... وتفرق الطالب فى الجهات فى التماس المعايش وبعضهم يلتقطون القشوش والاشجار من الاودية مسافة ثلاثة ايام او اربعة "[11] ولذلك قرر الزاكى عدم ارسال اى سرية الى جهات الحبشة والانصار بتلك الحالة ، ورأى ان يرسل جزءا منهم الى " الجبال الصعدية " مثل ابو رملة عسى ان " تحصل مداركة الجيش بما يحضرونه من المواشى وهم ايضا يتمعشون " كما خرج الزاكى بنفسه للقرى المجاورة للعمل على جمع الطعام لجيشه . بل انه لم يعترض جنوده عندما كانوا يقومون بنهب الاهالى واغتصاب ما بايديهم من غلال .[12] ويبدو ان الانصار قد تمادوا فى عمليات النهب هذه ، مما اضطر الخليفة للتنبيه على الزاكى بمنعها والوقوف ضدها بحزم . على ان المجاعة ظلت فى تفاقم وتصاعد مستمر حتى ان اردب الذرة بلغ فى بعض الاحيان مائتى ريال وانخفض الى خمسين ريالا .[13]

ومع بداية فصل الاطار فى منتصف عام ١٨٨٩ (اواخر عام ١٣٠٦) اخذ الانصار فى التحضير للزراعة وكانت بشائر الخريف تبعث على الامل . فقام الزاكى بتوزيع اربعمائة اردب ذرة على الاهالى " على ذمة التواريب " ،

---

١١ الزاكى طمل الى الخليفة ، ١٨ شعبان ١٣٠٦ ، مهدية ، ١/ ٤/ ١/ ٧٥

١٢ ابراهيم فوزى ، ص ٢٠١

١٣ المصدر السابق

كما اعطى اهتماما خاصا بقبيلتي الشكرية والضبانية لتشاركا في الزراعة بشكل فعال نسبة لمعرفتهما التامة بها [١٤]. ولكن تفاؤل الزاكي كان مبالغ فيه فلم يأت الخريف بنتائج باهرة كما كان يتوقع . ولذلك ظلت المنطقة " على حالة يرثى لها من الم الجوع ... مع كون تلك الجهات كانت ممن يضرب بهم المثل في الزمن السابق في ايجاد الغلال بها ورخص اسعاره "[١٥]. فقد بلغ سعر الاردب في موسم الحصاد خمسين ريالا واكثر وزيادة على ذلك كانت كميات الذرة محدودة . ومع ان الاسعار انخفضت لفترة حتى بلغت ثمانية ريال الى انها عادت ثانية الى الارتفاع بل والى انعدام الذرة تماما [١٦]. ولذلك لم يتمكن الزاكي من " جمع شونة ولا شيئ ... يتأتى منه ازالة ضرورياتهم (الانصار) " . وعاد الانصار يبحثون عن قوتهم في " الخلا من العدار والعروق " . بل ان بعضهم اضطر تحت وطأة المجاعة المستمرة ان يهرب من رايته متجها الى الجزيرة . وكانت بعض رايات الجوامعة والبديرية والحمر والجهادية من اول الهاربين [١٧]. ويرى الزاكي ان هروب رايات اولاد العرب سيؤدى الى

---

١٤ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٧ الحجة ١٣٠٦ ،مهديه ١/٤/١/٢٨٤

١٥ الزاكي طمل الى الخليفة ،٦ جماد اول ١٣٠٧ ،مهدية ١/٤/٢/١٠٦

١٦ المصدر السابق .

١٧ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٠ رمضان ١٢٠٧ ،مهدية ١/٤/٢/١٥١

ضعف الجيش اذ عليهم " الدمار الكلى " ، وسيصعب احضارهم بعد ذلك اذا " تمكنوا من الهرب ". ويقترح على الخليفة ان يسمح له بجلبهم من الجزيرة. [18] ويبدو ان سياسة الزاكى لمنع الهروب نحو الجزيرة قد حققت بعض النتائج اذ تحولت عملية الهروب نحو الحبشة بحثا عن القوت. ولعل خير مايوضح سوء الوضع الاقتصادى فى القلابات الحالة التى وجد عليها ببيت المال فى منتصف عام ١٨٩٠ (اخر عام ١٣٠٧) عند جرده. فقد كانت كالاتى [19] :-

نقدية	لا شـــىء
مواشـــى	لا شيء
رقيق	لا شـــىء
الشونة	لا شـــــىء
زمام صفيح	٢٨
سيوف حديد	١٠٩
الواح صفيح	٧٠

على ان الزاكى قد قام من جانبه ببعض المحاولات لتحســـين الحالة الاقتصادية . من ذلك فتح باب التجارة مع الحبشة لان النقادية

---

١٨ المصدر السابق

١٩ كشف ، ٢٠ ، المقدمة ١٣٠٧ ، مهدية ١ ، ٤/١/٢/٧٧ ١٧٧/٢/٤/١

سيجلبون معهم الذرة زيادة على " العشور " المتحصلة منهم [٢٠] . وكان الاجراء الثانى هو الحصول على الفى اردب ذرة من الخليفة للمساعدة فى وقف الهروب شرقا وغربا . وهكذا انتهى العام الثانى والمجاعة مستمرة تهدد مصير الدولة المهدية .

وجاء العام الثالث والمجاعة مازالت تفرض ظلها القاسى على المنطقة والانصار يعانون من نقص الذرة ، والزاكى يطلب من الخليفة ويلح فى طلبه ليرسل مايجود به فائض امدرمان من ذرة . فرأى الخليفة ان يبعث بالزاكى الى الجنوب بجيشه حتى تنقشع الازمة . وفى ابريل ١٨٩١ (شعبان ١٣٠٨) غادر الزاكى القلابات تاركا احمد علـى ليواجه المشكلة .

وجاء احمد على ليواجه نقصا فى الغذاء وانعداما فى الكساء فقرر سياسة جديدة . فطلب من الخليفة ان يرسل مقدارا وافرا من العيش والدمور " ليقوم بصرفه للانصار مقابل رصاص وظروف وشمع " لترسل الى امدرمان لاعادة تصنيعها وتستمر هذه العملية حتى " انقضا الخريف " وقد حققت تلك السياسة نجاحا ملحوظا . فما ان علم بهـا

---

٢٠ الزاكى طمل الى الخليفة ، ٧ رجب ١٣٠٧ ، مهدية ١/ ٤/ ٢/ ١٣٣
ويرى هولت ان فرض العشور على الواردات كان احد اجراءات النور ابراهيم الجريفاوى عندما اصبح امينا لبيت المال وقد طبقت تلك السياسة فى عام ١٨٩١ (١٣٠٨/ ١٣٠٩) .
Holt, The Mahdist State, pp. 237- 8

الانصار حتى زادت رغبتهم فى جمعه (الرصاص ... الخ) والبحث عنه فى محلات المحاربة .[21]

واتخذ احمد على اجراء ا اخرابان قام "بزفع جميع العمال الذين كانوا متفرقين بالمنطقة حتى لا "يعاكسوا" الاهالى ويتركوهم ليتفرغوا لعملية الزراعة .[22] وكان ذلك الاجراء يتمشى مع سياسة الخليفة الجديدة التى ترمى الى الاهتمام بالزراعة بعد تجربة المجاعة القاسية .[23] ولذلك وافق الخليفة على ذلك الاجراء . وادت تلك السياسة مع جودة الخريف الى نهاية المجاعة الكبرى فى النصف الثانى من ١٨٩١ (نهاية ١٣٠٨ وبداية ١٣٠٩) . وقد عبر احمد على على ذلك التحول بقوله "جهتنا صارت فى ارغد العيش واتمها نعمة لان جميع الاهالى زرعت ونتجت مزارعها نتاجا لم سبق لهم مثله ... وماعلينا الا مابقى من شهرنا يبتدوا فى الحصد " .[24]

فماهى اثار تلك المجاعة التى جثمت على كاهل الانصار موسمين متتاليين ؟ اولا لعلها من العوامل التى ادت الى توقف العمليات الحربية

---

٢١ احمد على الى الخليفة ٢٣، القعده ١٣٠٧، مهديه ١/٢٧/١٥/٨٣

٢٢ الخليفة الى احمد على ٢٥، الحجة ١٣٠٨، مهديه ١/٢٧/٨/١١٩

٢٣ H/I6, The Mahdist State,II. 177-8

١٤ احمد على الى الخليفة ١١، صفر ١٣٠٩ مهديه ١/٢٨/١/٢٨

ضد الحبشة وجاءت سياسة الخليفة الزراعية الجديدة تعبيرا عن ذلك التحول . فتوقف بذلك مصدر هام من مصادر الغنيمة . ثانيا ساعدت على انتشار ظاهرة السلب والنهب والتعدى على الاهالى مما خلق نوعا من عدم الرضا نحو الانصار وربما نحو الحركة المهدية عامـــة .

ولعل اهتمام الخليفة باهله التعايشة وربما البقارة عامة قد اظهر للقبائل النيلية ذلك التحيز القبلي . ونتيجة لتلك العوامل فقد ضعفت روح الحماسة لدى عامة الناس ولدى اقسام كبيرة من المجاهدين الذين كانوا يقفون على حدود المهدية يحمونها ويذودون عنها . فكثرت ظاهرة الهروب بينهم واخذوا يتسللون الي الجزيرة والى امدرمان نفسها . فهاهـــو بكر مصطفى يعتقل سبعة وخمسين جهاديا " طوارق متهربين من سرية رباط القلابات" كانوا يجوبون انحاء الجزيرة . وتبين للزاكي ان راية عمر ولد الياس صارت خالية من انصارها "بالكلية" وكتب احمد على الـى الخليفة بعد انتهاء المجاعة " ان جماعة رايتنا من التعب الشديد في السنتين الماضية قد تفرقوا بالجزيرة . [٢٥] والامثلة متعددة يزخر بها ادب المهدية . فبالرغم من ان المجاعة قد زالت عضويا الا ان اثارها ظلـت

---

٢٥ احمد على الى الخليفة ، ١٥ القعده ١٣٠٨ ، مهديه ١/ ٢٧/ ١٥/ ٨٧

ملازمة للدولة المهدية بل ان اصداءها مازالت تتجاوب حتى ايامنا هذه ويضرب بها المثل على الظروف المعيشية القاسية .

ادارة منطقة القضارف-القلابات .

تغيرت الحدود السياسية لهذه المنطقة تغييرا مستمرا طوال عهد المهدية . وكانت تلك التغييرات تتبع تغيير العمال الذين اختلفوا على المنطقة ، فكلما زادت اهمية العامل لدى الخليفة اتسعت حدود عمالته ، فنظام الحكم فردي يعتمد على الولاء الشخصي للخليفة . كما ان تلك التغييرات خضعت للوضع الجغرافي لمنطقة القضارف-القلابات لموقعها بين الجزيرة وكسلا فكان يقتطع منها حينا الى هذه وحينا الى تلك او يضاف اليها من كليهما . على ان تلك التغييرات خضعت لحد كبير للاحتياجات الاقتصادية والحربية . وكان اول تغيير حدث في عهد الزاكي هو فصل جهة بيلة وضمها الى الجزيرة . واعترض الزاكي على ذلك التغيير وذكر للخليفة حجتين : الاولى ان القضارف ودوكة كانتا تمدان السوية بالغذاء ، ولكن بعد مجاعة ١٣٠٦ اصابهما القحط واصبح الاعتماد الكلي على بيلة اذ حاصل فيها " نوع فسحة ". ثانيا ان جهة

بيلة من الطرقات المؤدية الى الجزيرة والى الغرب فاذا انفصلت عن القلابات فسيؤدى ذلك الى " تمادى انصار السرية لسلوك طرقهم والتوجه للجهات الغربية " . وكان الزاكى قد جعل منها نقطة هامه للمراقبة تمنع تسرب الانصار والسلاح[٢٦]. اما الخليفة فقد ضم بيلة الى الجزيرة لتصبح نقاط مراقبة تمنع تسرب الذرة شرقا . لقد كان الخليفة مهتما بتوفير الغذاء لامدرمان اهتماما فائقا . ولارضاء الزاكى امر بضم جهات بنى شنقول وتوابعها اليه . وبالرغم من ان الزاكى ارسل عبدالرسول عمر الى بنى شنقول عاملا من قبله الا انه لم يمكث سوى بضعة اشهر استدعى بعدها الى القلابات وظلت بنى شنقول تتبع الزاكى اسما .[٢٧]

وفى مارس ١٨٩٠ (شعبان ١٣٠٧) امر الخليفة بضم كسلا الى عمالة القضارف ـ القلابات لسببين . اولا لتعرضها لهجمات متكررة من الحبش ، وثانيا لان فى ضمها " تنفيس " للجيش المتراكم بالقلابات . فارسل الزاكى ثلاثة الاف من الجهادية بقيادة النصرى محمد العالم وعبدالله ابراهيم وحمدين حبيب الله خلفا لحامد على . وتم ارسال

---

٢٧ الزاكى طمل الى الخليفة ، ، القعدة ١٣٠٧ ، مهدية ١/ ٤/ ٢/ ١٧٢

اولئك الجهادية "شيئ في شيئ" لان كسلا نفسها كانـــت

تعاني من نقص في المواد الغذائية . وعندما وصلت تلك الرايات

الى كسلا وجدوها " خربانة ومنازلها خلا ولا فيها انصار ولا غيرهم

من اهالى البلد ولا العربان ،الاشرزمة يسيرة مع حامد على " كانوا

موجهين اهتمامهم على انفسهم [٢٨]. وادى حضور تلك الرايات من

القضارف الى ارتفاع اسعار الذرة حتى بلغ الاردب مائة وعشريــــن

ريالا وحتى بذلك السعر غير متيسر ،فاستنجد النصرى بالزاكي لمده

بالذرة والجبخانة . فارسل الزاكي خمسمائة اردبا من الذرة وخمسة

رايات من البديرية واتبعها باخرى من الجوامعة والغديات [٢٩]. وهكذا

اصبحت كسلا عبئا على القلابات بل وعلى الجزيرة مما ادى الى

فصلها وحملها بوغازامنفصلا تحت قيادة محمد عثمان ابي قرجــــة

وذلك بعد اقل من عام من ضمها الى الزاكي .

وفصلت كركوج من القلابات وضمت الى امدرمان لفترة عامين وذلك

لتغرر اهلها من تبعتهم للقلابات" وعندما طلب احمد على اعادتها

---

٢٨ النصرى محمد العالم واخرين الى الزاكي طمل ، ٢١ شوال ١٣٠٧ ،مهدية، ٣٧٩/٤/٣٧/٢

٢٩ عبدالله ابراهيم الى الخليفة ، ٢٤ الحجة ١٣٠٧ ،مهدية ١٠٠/١/٣٢/٣٠

ثانية ، لقربها منه ولخصوبتها ووفرة انتاجها ، رفض الخليفة قبول
حججه .[30] على انه اعادها ثانية في نوفمبر ١٨٩٢ (جماد اول ١٣١٠)
الى الزاكي . ويبدو ان الخليفة قد اتخذ ذلك الاجراء لتأمين موقف
امدرمان من ناحية الذرة ، وعندما اطمأن الى الموقف اعادها الى
الزاكي ثانية .

وبعد عودة الزاكي من جنوب البلاد راى ان يجعل من ابى حراز مركزا
له بدلا من القضارف او القلابات . ولعل الزاكي كان يرمي الى السيطرة
على الجزيرة . ولكن الخليفة رفض ذلك الاتجاه لان القضارف مكان واسع
وخصب وكثير الخيرات . وهى قريبة من القلابات وكسلا ومنها يستطيع الزاكي
ملاحظة البوغازين . والقضارف في رايه ايضا " مطرفة " واقامة الجيش بالاطراف
" احزم وارهب للاعداء واولى واحق بمراعاة المصلحة الدينية " ، كما ان
اشراف الزاكي على القضارف من ابى حراز سيؤدى الى " كثرة التشكيات "
لبعده عنها .[31] فعاد الزاكي بكل جيشه الى القضارف ومنها الى القلابات
حيث طلب منه الخليفة ذلك . ولكن الزاكي راى ان بقاءه بالقلابات غير

---

٣٠ الخليفة الى احمد على ٢٤ الحجة ١٣٠٩ ، مهدية ١٨٠/٣/٢٢/١
٣١ الخليفة الى الزاكي طمل ٢٨ ربيع اخر ١٣١٠ مهدية ٣٠/١/٢٧/١

مناسب " لضعف معاشها " ولان الجيش " المجاورين بالقرب اذعنوا للصلح ". فوافق الخليفة على عودة الزاكى الى القضارف [٣٢] وبهذا انتهى عهد القلابات كمركز حربى وتحولت كل الجيوش الى القضارف وذلك في مطلع عام ١٨٩٣ (رجب ١٣١٠) .

واجرى الزاكى فى مطلع عهده بعض التنقلات بين عماله . فاستدعى النور عنقرة من القضارف وبابكر الحاج من دوكة ومحمد ولد فرح من بسرف سعيد الى القلابات لانهم آذوا الناس واضروا بمصالحهم . وعين بدلا عنهم عمر نخاش بالقضارف وحسن ادم انجرتلة بدوكة والطاهر النضيف شرف سعيد . واحدثت تلك التنقلات ــ فى راى الزاكى ــ بعض " التنفيس " والراحة للاهالى اذ هبط سعر اردب الذرة بشكل ملحوظ [٣٣] . اما حامد الجزولى وعبدالله حامد فقد بقيا فى مكانيهما ببيلــة والدندر والرهد . وعند وفاة النور فترا لم يعين عاملا جديدا على تبارك الله بل اتبعت لدوكة . لقد كانت مثل تلك التحولات امرا مالوفا فى المهدية تحدث مع تعيين كل عامل جديد .

---

٣٢ الزاكى طمل الى الخليفة، ٢ رجب ١٣١٠ ، مهدية ١/٤/١٩ ، ٤

٣٣ الزاكى طمل الى الخليفة، ٦ جماد اول ١٣٠٧ ، مهدية ١/٤/٢/١٠٦

وفى عهد الزاكى تم اخضاع قبيلتى الشكرية والضباشية

اخضاعا تاما ،اوفق ان هاتين القبلتين قد قبلتا حكم الخليفة اواظهرتا

قبولا له بعد ان تبين لزعمائهما ان مقاومة ذلك النظام لم يات

الا بالخراب والتشتت . بل ان تلك المقاومة قد جرت على افراد

القبلتين عنتا فى الحياة وضيقا بها . اما الشكرية فقد تفرقوا فى

انحاء المنطقة بعضا فى القضارف وبعضا فى كسلا وثالثا فى رفاعة.

اما الشكرية فى كسلا فقد لاقوا ضيقا فى المعاش لنقص الذرة فى تلك

المنطقة . فهاهو على عوض الكريم ابوسن يكتب الى الخليفة راجيا منه

ان يسمح له بارسال كميات محدودة من الذرة الى اهله فى كسلا بعد ان

مات بعضهم جوعا.[٣٤] لقد تحول ميزان القوة فى المنطقة . فالشكرية الذين

كانوا فى عزة ومنعة من امرهم وكانوا فى خير وفير تحولوا الى مجموعات

تضرب فى تيه الحياة باحثة عن قوت يومها بينما صارت ارضهم ومزارعهم

مأوى للجيوش التى تعسكر فى ذلك المكان ترفع راية المهدية عالية

تواجه بها "اعداء الله" . وهاهو محمد احمد ابوسن يكتب للخليفة عن

احوال بعض ابناء ابى سن وهم عبدالله وعماره ومحمد طالب لهم الاقامة

---

٣٤ على عوض الكريم ابوسن الى الخليفة ٨ ربيع ثانى ١٣٠٧ مهديه ٢٠، ١٢٢/٤/١٩/٢٠

حيث يمكنهم ان يستانفوا حياتهم كما كانوا من قبل .[٣٥] وما ان انتصف عام ١٨٩١ (نهاية عام ١٣٠٨) حتى اخذت مجموعات الشكرية التى هجرت ارضها الى الحبشة – على امل العودة ظافرة على انقاض المهدية – اخذت تعود الى اوطانها طائعة بعد ان منحها الخليفة الامان الكافي .[٣٦] وبعث الشكرية الى الخليفة برسالة عبروا فيها عن رضائهم الكامل وامتنانهم[٣٧] بل وطالبوا بتخصيص ربع خاص بهم ليرفعوا راية الجهاد . لقد نجحت سياسة الخليفة الجديدة التى كانت ترمى الى ترغيب القبائل النافرة من العودة واستقرارها تحت ظل نظامه للمشاركة فى تدعيم سلطته وتثبيتها .

ولم يكن موقف الضبانية يختلف عن الشكرية . فقد رأى الخليفة ان يعيد محمود عيسى زايد الى اهله بعد ان اقتنع الخليفة بعد طول بقائه معه فى امدرمان بانه لن يكون بعد ذلك عنصرا مناوئا له . ورأى الخليفة فى عودة ولد زايد مايساعد على استقرار الحياة الاقتصادية والاجتماعية للضبانية وعلى جمع شتاتهم بعد ان " نال حسن التربية".

---

٣٥ محمد احمد ابوسن الى الخليفة ٢٢ جماد اخر ١٣٠٧ ، مهديه ٢ / ٢١ / ٦ / ١٨٨

٣٦ عبدالله عوض الكريم ابوسن الى الخليفة غاية القعدة ١٣٠٨ مهدية ، ٢ / ٢١ / ١١ / ٣٤٤

٣٧ الشكرية الى الخليفة ١٠ جماد اخر ١٣٠٩ مهدية ، ٢ / ٢١ / ٥ / ١٠١

ولدى وصول ولد زايد الى القضارف (ابريل ١٨٩٠/ شوال ١٣٠٧) قام الزاكي بمده بالبذور الكافية للزراعة ، كما عين مندوبين للسفر الى مختلف الجهات التي يتواجد بها الضبانية لدعوتهم للعودة الى ديارهم " ويبشرهم بحصول الراحة " ، كما سمح لولد زايد بان يعمل له ختما خاصا به .[٣٨] وقام ولد زايد بالتصدى لمهمته الجديدة مؤمنا بالنظام الجديد وسطوته فسعى لجمع شتات اهله وعمران ديارهم وزراعة اراضيهم ، وارسل " للشاتين " منهم بديار الحبشة احد اعيان قبيلته ويدعى الضو ولد رانقي ليرد غربتهم . واستطاع ولد رانقي ان ينجح في مهمته وان يعيد منهم جمعا كبيرا . وارسل الزاكي حملتين الى جهتي غورة وغيتة لتشتيت بعض تجمعات الضبانية[٣٩] وقد ساعدت تلك الحملات في اعادة بعض فلولهم . واظهر ولد زايد حماسا مبالغا للمهدية حتى انه طلب ان يسير في احدى الحملات مجاهدا ، ولكن الزاكي آثر بقاءه ليتم مهمته في التعمير واقتنع الخليفة تماما بأوبة ولد زايد الى حظيرة المهدية اذ نجده يوصي به احمد على خير ويطلب مساعدته والاخذ " بخاطره " .

---

٣٨ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٠ القعدة ١٣٠٧ ، مهدية ١/٤/٣/١٧٢

٣٩ الزاكي طمل الى الخليفة ٩ ، رمضان ١٣٠٨ ، مهدية ١/٤/٣/٢٥٥

وهكذا شهدت الفترة الاولى من عهد الزاكي ومن عهد احمد علي استقرارا في المنطقة تمثل في خضوع قبيلتي الشكرية والضبانية خضوعا كاملا . كما ان مجاعة سنة ١٣٠٦ جعلت سياسة المهدية تتجه الى تطوير الزراعة عن طريق استقرار القبائل في مناطقها وتامينها بعد ان تبين للحكام ان قبائل الغرب لا تحسن نوع هذا العمل ولذلك تركت لتباشر عملية الغزو . ويمكننا ان نقول ان سياسة الخليفة في هذه الفترة كانت تهدف الى استمالة القبائل المحلية لاعطائها الفرصة لتستقر وتساهم في عملية الزراعة بشكل فعال .

ولابد ان نستعرض طبيعة الجيش الذي كان يعسكر في القلابات لانه من اكبر الجيوش في دولة المهدية . لم يختلف ذلك الجيش في تكوينه عن جيوش المهدية الاخرى التي ترابط في البوغازات المختلفة فكلها تتكون من : ـ اولا العرب وهم في الغالب حملة الاسلحة البيضاء ، ومن جهادية وهم الجنود المحترفون حملة الاسلحة النارية . وكان دور اولاد العرب في المرحلة الاولى للثورة المهدية دورا اساسيا . ولكن بتطور الثورة واحتكاكها بانظمة حربية معقدة احتل الجهادية الدور الرئيسي في الحروبات . وفي منطقة القلابات كان هذا الاتجاه اكثر

وضوحا . ولعل الجهادية قد تحولوا الى نوع من المحترفين او الانكشاريه كالتي عرفتها الامبراطورية العثمانية . فكان الجهادية هم يد المهدية الضاربة واولاد العرب حملة فكرتها وروحها .

وبما ان القلابات اصبحت اكبر معسكر حربي في المهدية على الحدود، فان تحليل قوة ذلك الجيش تصبح امرا ضروريا . فعندما قام الزاكي طمل بجرد الجيش في مارس ١٨٨٩ (رجب ١٣٠٦) فكان مجموعة تسعة وخمسين الفا وثلاثين جنديا منهم خمسة عشر الفا وتسعمائة وخمسة وتسعون جهاديا وثلاثة واربعون الفا وخمسة وثلاثون من اولاد العرب . وكان تسعة الاف وسبعمائة وخمسة من الجهادية باسلحة ناريه . اما اولاد العرب فكان منهم ستة الاف واربعة وسبعون باسلحة نارية (اى السبع) .
ويبلغ جملة الفرسان من الشقين الف ومأتين وعشرة . ويكون مجموع الاسلحة النارية في كل الجيش خمسة عشر الف وسبعمائة وتسعة وسبعين واكثر من نصفهم من الجهادية وبالرغم من ان الجهادية اقلية في الجيش الا ان عليهم الاعتماد الاول في اى صدام بل كانوا في واجهة ذلك الصدام .
وعاني ذلك الجيش من الحروبات المستمرة من المجاعة حتى انه بعد مضي عام اصبح تعداده خمسة وعشرين الفه مجاهدا وفي العام الذي يليه بلغ

سبعة الاف وواحد وسبعين ، وعندما غادر الزاكي القلابات الى الجنوب ترك بها الفين وستمائة وستة واربعين مجاهدا فقط.[٤٠]

وشهد الجيش بالقلابات تحولا هاما وهو ان اولاد العرب وبعض الجهادية اخذوا يتسربون الى الجزيرة اما هروبا من المجاعة او عزوفا من الجهاد وقنوطا به ، حتى اصبحت الجزيرة — على حد تعبير الزاكي — " محشوة من انصار السرية " ، واستمرت هذه الظاهرة حتى اصبحت جهات القضارف ودوكة خالية من اولاد العرب.[٤١] وادت تلك الهجرة الى فقدان عنصر اولاد العرب في الجيش حتى صار "كله جهادية " واصبح هذا التحول في تركيب الجيش مثار قلق للسلطة الحاكمة ،اذ ان اختلاط الجيش من اولاد العرب والجهادية هو الاتجاه السائد ،والهدف منه احداث توازن داخل الوحدات المقاتلة . فالمهدية لم تكن تثق كثيرا في الجهادية لانهم غير "مامونين ... بدون خليط من اولا العرب.[٤٢] فوجود اولاد العرب مع الجهادية "فيه نوع من الاطمئنان " لان الجهادية يتصفون بعدم "استقامة احوالهم ... ولوامرهم

---

٤٠ الزاكي طمل الى الخليفة ٢٤ رجب ١٣٠٦ مهدية ١/٤/١/١/٢٧/١

٤١ الزاكي طمل الى الخليفة ٢٤ جماد اول ١٣١٠ مهدية ١/٤/٤/٣٨٨

٤٢ الزاكي طمل الى الخليفة ٢٠ شعبان ١٢٠٨ مهدية ١/٤/٣/٢٤٣

٤٣
مقدمهم بان يفعلوا منكرا لفعلوه " . بل انهم اذا عين لهم امير

من اولاد العرب فانهم لن يمتثلوا له عن " خالص نيتهم " .

وفي منتصف عام ١٨٩٣ (اواخر عام ١٣١٠) راى الزاكي

ان يجرى تعديلا في الجيش لان الارباع صار بعضها اغلبية من

الجهادية والبعض الاخر اولاد العرب ، وقد يبدو من ظاهر الامر ان

الزاكي يريد ان يجعل توازنا داخل الارباع فحسب الا انه كان

يهدف كذلك الى تركيز الجهادية في ربع عبدالله ابراهيم واولاد العرب

في ربع احمد على فنقل الى احمد على خمسة عشر راية من اولاد العرب

من ربع عبدالله ابراهيم .[٤٤] وهذا يوضح انه بالرغم من التشكك في

الجهادية فهم مازالوا القوة الضاربة في جيوش المهدية وهم الذين

يرجحون ان كفة في اي صراع حول السلطة .

ولاشك ان من الاحداث الهامة التي عرفتها تلك المنطقة بناء

حصن القلابات . ولعل ذلك الحصن من المظاهر المعمارية النادرة

---

٤٣ احمد على الى الخليفة ٢٤ رمضان ١٣٠٨ مهدية ١/٢٧/١٥/٧٠

٤٤ الزاكي طمل الى الخليفة ٢٩ القعدة ١٣١٠ مهدية ١/٤/٤/٤٥٦

التي عرفتها المهدية . ففي فبراير ١٨٩٠ (جماد ثاني ١٣٠٧)

امر الخليفة بتشييد سور من الحجارة حول القلابات حتى اذا خرج

الجيش الى الحرب تكون العائلات والموءن في امان . فاستشار

الزاكي بعض الانصار ممن لهم دراية بالبناء وعلى راسهم اسماعيل

حسن المهندس . وتم الاتفاق على بناء السور حول القلابات القديمة

قبل ان تتسع بعد اقامة معسكر الجيش حولها . ويتكون السور من

جزئيـــن داخلي واخر خارجي عرضه مائتان واربعون مترا ونصف وسمكه

مترا ووضع في السور الخارجي بندقيتين بين كل متر والثاني . وبني

السور على ثلاثة درجات بحيث يكون الجنود الذين في الدرجة السفلى

جلوسا وفي الدرجة الوسطى على ركبيهما وفي الدرجة العليا وقوفا .

وبذا يصبح في كل صف اربعمائة وثمانون بندقية فاذا اضفنا العدد

من الصفوف الثلاثة ثم الجهارت الاربعة لاصبح ذلك السور في هيأة

حصن .[٤٥] واقيمت كل بندقية على " مزغل " حتى بدى ذلك السور كأن

شبكة من اسلحة . واقيم مكان للاستكشاف فوق بوابة الاستحكام . وشيدت

---

٤٥ - الزاكي طمل الى الخليفة ٢٠ شعبان ١٣٠٨ مهدية ١٠ / ٤ / ٢٤٣

اربعة طوابي على اركانه . ووصف اسماعيل المهندس ذلك البناء
بانه قوى الصنع و" لايكون له سبوق مثيل على صنعته ....
وعندما يصير قذف نيران السلاح (منه) ... فان شاء الله لايمر
امامه احد من الاعداء ويرتبك ... ولايوجد به فسح حتى تصله
الاعداء من شدة التحام نيرانه ... وان الاعداء ان كثروا او قلوا
لايجدوا لهم حيلة لدخوله ولا التمكن من ادنى تاثير فيه ." [٤٦]

اما السور الداخلي فالغرض منه حماية العوائل ومخزن الجبخانة والسوق
ومكان امير الجيش . ونبه الخليفة المهندس لتوفير المياه اللازمه .
وقد وضعت لها الضمانات الكافية فهى محيطة بالسور من كل الجهات
" تحت مرما الرصاص". كما تم حفر بئر داخل السور عمقها ثمانية قامات.
وفى منتصف عام ١٨٩٠ (اخر ١٣٠٧) تم بناء الاسوار كلها وغادر
اسماعيل المهندس القلابات [٤٧] . لاشك ان ذلك السور كان عملا
هندسيا رائعا بالنسبة لظروف البلاد فى ذلك الحين . وهو من
الاثار المعمارية القليلة التى خلفتها المهدية بسجلات كاملة . ويعتبر
بناء ذلك السور نقطة تحول فى السياسة الخارجية لدولة المهدية

---

٤٦ اسماعيل حسن المهندس الى الخليفة ، ٩ رمضان ١٣٠٧ ، مهدية
٣٥٨/٩/٢٠/٢

٤٧ انظر خريطة السور ملحق .

وفي علاقتها بالحبشة اذ تحولت القلابات الى نقطة للدفاع فقط.

سياسة المهدية مع الحبشة في عهد الزاكي طمل

عندما توفى ابو عنجة ترك استعدادات الحرب مع الحبشة قائمة على قدم وساق حيث اكمل الانصار تحصين مواقعهم . اما يوحنا فقد خرج بجيش ضخم قاصدا القلابات . في ذلك الجو الملبد بغيوم الحرب تولى الزاكي قيادة الجيش .

ظل الانصار يتتبعون تحركات الجيش عن طريق جواسيسهم او عن طريق النقادية . فعلم الزاكي ان يوحنا خرج بجيشه مطلع فبراير في اوائل جماد ثاني) الى جهة دمبيا على نهر عطبرة وانه سيصل القلابات اما في اواخر جماد ثاني "او مطلع "رجب" وفي دمبيا اجتمع مع قواده وسار بجيشه الى جهة تنكل وكان يدعو قومه للاجتماع به فانضم اليه " ما لايدخل تحت حصر ".[٤٨] واعلن يوحنا لجيشه ان هدفه هو الوصول الى امدرمان.[٤٩] وفي اول مارس (٢٨ جماد ثاني) وصل بجيشه

---

٤٨ احمد على الى الخليفة، ١٨ جماد اخر ١٣٠٦ ، مهدية ، ١/٢٧/١٤/٤٤

٤٩ كان يوحنا حسب رواية الكردفاني ـ ينوى ان يجعل من القلابات مركز يستطيع منه الوصول الى امدرمان وان يجعل من القلابات كذلك مركزا للتبشير المسيحي راجع : الطراز المنقوش ص ١١٠

الى بحر قندوة حيث كان الانصار يشاهدون نيران معسكره • ومن هناك ارسل جيشه امامه مسافة ثلاثة ايام حتى وصل بهم عطبرة • وفى ٦ مارس (٤ رجب) حط رحله على منهل ماء على بعد ساعة من القلابات " بحيث تسمع اصوات نقاقيره " وقسم يوحنا جيشه على ستة محلات وفى كل جهة وضع عددا وافيا من الاسلحه والجنود فوضع حملة الاسلحة النارية فى المقدمة يليهم حملة السيوف والدروع ووضع الخيالة على الجانبين • [50]

اما خطة الزاكى فكانت البقاء خلف تحصينات القلابات وعدم الخروج لملاقاة الحبش لان اغلبهم " ذووا خيل وربما خرجنا نحن بالكلية ومن مكيدتهم ارسلوا الخيالة لحرق الديم " كما ان الزاكى لم يكن على يقين من الجهة التى سيهجم منها الحبش وعلم اخيرا انهم سيهجموا من جهة نهر عطبرة وان هجومهم سيكون اما بالثلاثاء او الخميس كما هى "عادتهم النحسية " [51] لذلك خرج الزاكى بجيشه خارج القلابات واقام حوله زريبة •

---

٥٠ الزاكى طمل الى الخليفة ،غاية رجب ١٣٠٦ ، مهدية ، ٨٨/١/٤/١
يقسم سلاطين جيش يوحنا الى قسمين على اساس قبيلى ••• اما القسم الاول فيتكون من قبيلة التقرى ومن جيش منليك وهذا القسم برئاسة الولا واما القسم الثانى يتكون من قبيلة الامهرة بقيادة راس برمبراس •
Slatin, op.cit, P.439

٥١ الزاكى طمل الى الخليفة ، رجب ١٣٠٦ مهدية ، ٩/١/٤/١

بدأت المعركة صباح السبت ٨ مارس ١٨٨٩ (٦ رجب ١٣٠٦) بهجوم الحبش على القلابات واحاطوا بالانصار من كل الجهات بخيول واسلحة " فى شيء لايكاد يوصف " وجعلوا معسكرهم "كحلقة الخاتم" فسد غبارهم الافق واختفت الشمس تماما . ثم بدأ الحبش بالضرب من الاسلحة النارية من الجهات الاربعة دون ان يرد عليهم الانصار . وما ان " ملؤا افواه السلاح " حتى ابتدروهم الانصار بالضرب . وفى اثناء المعركة تمكن الحبش من اختراق صفوف الانصار من جهة احمد على " لاتساعها وضعف الزريبة فيها وعدم الكفاية فيها من الانصار". والتحم الجيشان وصار الضرب بكل انواع الاسلحة وتمكن الحبش من احراز نصر مبكر على الانصار ،بالرغم من المساعدة التى وجدوها من فرن الله رجب الذى اتى بنجدة من التومات . وعندما تبين ليوحنا ان قبيلة الاعهر اظهرت شجاعة فائقة فى القتال وانهم هم الذين اخترقوا صفوف الانصار بينما قبيلته من التقرى كانت ضعيفة الاداء ، قام بنفسه ليتقدم الصفوف الامامية ليستحث قومه على القتال . فتقدم يوحنا محمولا على كرسى وحوله مجموعة من اتباعه . وعندما لاحظ الانصار الملابس الامبراطورية الزاهية والحشد الملتف وجهوا نيرانهم الى جهته ،ولعلهم كانوا يجهلون ان ذلك

هو الامبراطور . فاخترقت احدى رصاصات الانصار زراع يوحنا

ودخلت صدره وجرحته جرحا مميتا . وفي تلك الساعة احس يوحنا

بدنو اجله فاستدعى ابنه امراس منغشا واوصاه بالتراجع الى بلاده .

فحمل الجيش امبراطورهم على صندوق وانسحبوا من المعركة بعد

خمسة ساعات من القتال . لقد احدثت تلك الرصاصة اثرا بالغا

في تغيير مجرى الحرب ،فبعد ان كان الحبش على مقربة من

النصر اخذوا يتراجعون يلعقون جرحهم الامبراطور القاتل . فجمع

الانصار اشتاتهم وخرجوا في اليوم الثاني يقتفون اثر الجيش . فوجدوا

في الطريق جثثهم تملا الوديان وخيولهم ومواشيهم تهيم بلا هدى .

لقد انفرط النظام في جيش الحبش من عملية الانسحاب غير المنظمة

فاستغل الانصار تلك الفوضى الى ابعد مدى . ففي ١١ مارس

(٩ رجب) لحق الزاكي بفلول الجيش على نهر عطبرة فهاجم

زريبتهم ودارت معركة ثانية استمرت لست ساعات استطاع فيها الانصار

ان يحققوا نصرا كبيرا وان يخلصوا من الحبش " كافة من اسروه من

المسلمين وملكنا زيادة على تلك مابيدهم من المواشي والاولاد " .

ثم قام الزاكي بقطع راس يوحنا وعدد من قواده وهم راس المولا

وراس دحاج وهيلا مريم وبزمبراس وارسلهم الى الخليفة حيث علقت في سوق

امدرمان .[٥٢]

وكان دور عبدالله ابراهيم وحمدين حبيب الله وعبدالرسول عمر - حسب رواية الزاكي - هو الدور الرئيسي في المعركة ، خصوصا عبدالله ابراهيم " لانه كان في اشد الحرابة " ولذلك كان اكثر اشهداء من ربعه . ولذلك طلب الزاكي من الخليفة ان يسمح له بتعيين عبدالله وكيلا عموميا للمركز لينوب عنه اثناء غيابه .[٥٣]

وكان الزاكي يرمي من وراء ذلك الاطراء اظهار احمد علي بمظهر الضعف ، لابعاده كلية من الوكالة على المركز .

وحدثت اثناء المعركة بعض الظواهر السببية التي كان لها بعض الاثر في ترجيح كفة الجيش في بداية الحرب . اولها موقف التكارير في القلابات. والتكارير في راى الزاكي غير مخلصين في ايمانهم للمهدية " وانما انهم مذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

---

٥٢ جاء وصف معركة القلابات هذه في عدد من المصادر هي :-
أ / مهدية ١، ١٣/١/٤/١
ب / مهدية ١، ١٢٧/١/٤/١ ج / مهدية ١، ٨٨/١/٤/١
ولعل تكرار هذه المراجع راجع الى ان الخليفة طبع خطاب الزاكي الاصلي في مطبعة الحجر ووزعه على مختلف الجهات .
د / الطراز المنقوش ، ص ١٠٦ - ١٢٢
هـ / شقير ، ص ١٠٧٧-١٠٨٣
و / Slatin, op. cit., pp. 43 -440

٥٣ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٠ رجب ١٣٠٦ مهدية ١، ١/٤/١/ 14/1

لا يعيزون بالاسلام الا من حيث النطق بالشهادتين " . ويعتقد الزاكى انهم قاموا بحرق معسكر الانصار اثناء المعركة مما خلق جوا من الهلع ساعد الجيش على اختراق صفوف الانصار ، بل ان التكارير هم الذين ساعدوهم على دخول معسكر الانصار من جهة احمد على وهم الذين كانوا يمدون الحبش باخبار جيوش المهدية . ٥٤

فما مدى صحة هذه الرواية وماهى دلالتها ؟ فى هذه الرواية جانب كبير من الصحة لان تاريخ التكارير في القلابات كان دائما بعكس رفضهم النظام الجديد وارتباطهم بالحبش وذلك على امل اعادة مصالحهم التجارية التي ضعفت او توقفت تماما بعد نشوب الثورة المهدية . وبالرغم من ان التكارير مسلمون الا انهم اثروا الوقوف بجانب الحبش مغلبين بذلك ارتباطاتهم التجارية على كل اعتبار اخر ولعل التكارير كانوا على يقين من انتصار الحبش في معركة القلابات لكبر الجيش الذى قادوه الى هناك . وتعكس هذه الرواية كذلك بعض جوانب الضعف التي اكتنفت روح المهدية في تلك المنطقة . ولعل الدليل على ظاهرة الضعف هذه من تكرار هروب الجهادية اثناء المعركة . فقد قام

---

٥٤ الزاكى طمل الى الخليفة ١٤، رجب ١٣٠٦ مهدية ١/٤/١٦/١/ ش $\frac{٣}{٢}$

بعض الجهادية من ربعي احمد علي وعبد الله ابراهيم بالهروب مما كان له اثارا عكسية على الجنود [٥٥] .

وبعد انتهاء المعركة قام الزاكي بحصر الشهداء والجرحى وجمع الغنائم فبلغ عدد الشهداء الفين وسبعمائة وستين والجرحى الفا وتسعمائة واربعة وسبعين ولعل هذه الارقام غير دقيقة لانه من المألوف ان يكون عدد الجرحى في المعارك اكثر من القتلى . ويبدو ان العدد اكبر من ذلك ولكن الزاكي راى ان يخفض الارقام الحقيقية حتى لايبدو النصر الذي حققه بانه كان نصرا غاليا . والشيء المؤكد من مجرى المعركة ان خسائر الانصار كانت بالغة الا ان خسائر الحبش كانت اكثر منهم خصوصا بعد المعركة الثانية على نهر عطبرة .

اما الغنائم فامرها كان مخيبا للامال اما لان الحبش لم يحضروا معهم من ممتلكاتهم مايستحق الذكر او لان الزاكي طمع في الاحتفاظ باغلبها لنفسه . ولعل هذه الحادثة كانت بداية لتسرب الشك الى نفس الخليفة نحو نوايا الزاكي . فقد كتب الزاكي للخليفة يخبره بان الحبش لم يكن معهم من الغنائم مايستحق ارسال الخمس منه خصوصا الرقيق والخيل لانهم احضروا معهم " رقيق الخدمة فقط وجميعه

مستقبح لايليق ارساله لصوب السيادة" اما رقيقهم الجيد فقد تركوه بجهات دمبيا . وقد طلب عبدالله وركني ، شيخ دمبيا ، ارسال نجدة اليه ليسلمها مالديه من غنائم الحبش قبل ان يستاثر بها راس عدار . فارسل له الزاكي عشرة الاف من الجهادية . ويبدو[٥٦] أن تلك الحملة قد عادت ببعض الفوائد فارسل الزاكي الخمس من البغال الى الخليفة وباع باقي الغنيمة التي لاتستحق الارسال واحتفظ بثمنها لدى امين بيت المال .[٥٧] على ان ماورده الزاكي من شح في الغنيمة لايتفق مع ماورده الكردفاني من وفرتها حتى بلغ سعر الجارية بالقلابات ثلاثة ريال والجميلة عشرة ريال والحمار بقرشين ، ولايتفق حتى مع الروايات السماعية من ان امدرمان امتلات بنساء الحبش وغنيمتهم .[٥٨]

وكان من انتصار الزاكي في القلابات ان عمت الحبشة سنوات من الفوضى والاضطراب لم يفت على الانصار ادراكها .[٥٩]

---

٥٦ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٢٠ شعبان ١٢٠٦ ، مهدية ١٠/١/٤/١/ $\frac{٢٧}{٢}$

٥٧ وكان من ضمن الغنيمة ممتلكات يوحنا الشخصية من حلى ذهبية وملابس واثاثات وحوالى ١١٨٦ بندقية و ١٣٨ من النساء

٥٨ لعل نساء الحبش اللائي احضرن الى امدرمان واتخذن كجواري كن في اعداد كبيرة وانهن قد احدثن بعض الاثار الحضارية بما نقلنه من عتاد الحبش وملبسهم وعاداتهم

٥٩ يرى هولت ان انتصار الزاكي على الحبشة كان له اثار وخيمة =

لا على الحبشة وحدها بل وعلى دولة المهدية كذلك ٠ فبعد ان قتل الامبراطور يوحنا انزاحت قبضته القوية عن الحكـــم ودخلت الحبشة فى فترة صراع داخلى عنيف مكن ايطاليا مـــــن احتلال ارتريا عام ١٨٩٠ وبهذا اصبحت دولة المهدية تواجه دولة اوربية حديثة بدلا عن دولة الحبشة ٠ ويذهب سيوبولد الى راى قريب من هذا

Halt, The Mahdist State, P. 155
op.cit,
Theobald,/pp. 155-6

ولعل الثابتان قد حملا معركة القلابات ابعادا اكبر ماهى عليه ٠ فتطور الاحداث فى الحبشة وفى السودان فى هذه الفترة كان يخضع فى المكان الاول للتنافس الاستعمارى الذى شهدته القارة الافريقية فى السنوات الاخيرة من القرن الماضى اكثر مما يخضع للاحداث الطارئة مثل معركة القلابات ٠ على ان معركة القلابات لم تكن بدون نتائج ولكن نتائجها لم تكن بذلك العمق ٠ وقد تعرض س ٠ ر سميرنوف فى كتابه "عصيان المهدى فى السودان" للدور الذى لعبه الاستعمار فى احداث هذه المنطقة وسنتعرض لهذه الاراء ومناقشتها فى الفصل الاخير٠

فقد وصف الزاكي الحبش بانهم في " اشد الهرج والمرج والزلزلة والهول ولقد صاروا يقتلون بعضهم بعضا " واستنتج ان " جميع الدار بعد هذا تؤمن بالمهدية "[٦٠]. ولذلك اقترح على الخليفة ان يكتب الى بعض قادة الحبشة مثل راس عدار ومغليك وغيرهما "لانهم اذا اكرموا بمذاكره من لدن جنابكم يحضروا بالطاعة مهرولين لاسيما ان تلوح لهما بان لهم الملك في الجهة على حكم المهدية "[٦١]. فاستجاب الخليفة لطلب الزاكي فكتب الى منليك وراس عدار وبعض قواد الحبشة الاخرين . وجاء في مخاطبته لمنليك اشارة الى مكاتباته السابقة له ثم ذكره بالمصير الذي لقي يوحنا ومن معه . على ان الخليفة صفح عن منليك ومابدر منه في الماضي وطلب اليه الدخول في "ملة الاسلام والانتظام في سلك اتباع المهدي عليه السلام والاذعان لحكمنا ."[٦٢]

ويبدو ان الخليفة والزاكي وبقية قواد المهدية قد بالغوا في اهمية انتصارهم الحربي على يوحنا لانهم كانوا يجهلون في حقيقة الصراعات الداخلية التي كان يدور رحاها داخل الحبشة ، وطمع قواد

---

٦٠ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٢٤ شوال ١٣٠٦ مهدية ، ١/٤/١/٦٥

٦١ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١ رجب ١٣٠٦ مهدية ، ١/٤/١/٢٦

٦٢ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٣٠٦ (بقية التاريخ غير مذكورة) ، مهدية ، ٢/٣١/٦/٢٨٢

الارجح ان يكون هذا الخطاب قد كتب في اواخر رجب او اوائل شعبان لان هناك خطابات كتبت في هذه الفترة تشابهه في معناها العام .

الحبشة المبارزين في الاستيلاء على السلطة بعد مقتل الامبراطور .

ولذلك كان مصير تلك الخطابات لم يختلف عن مصير الخطابات السابقة التي بعثها المهدي والخليفة . انها لم تفعل اكثر من تاكيد اتجاهات المهدية الحازمة في الولاء لها . لذلك فانتصار الخليفة على الحبشة لم يخضع تلك الامبراطورية ولكنه انهى الصراع الدموي الحاد الذي تحول بعد ذلك الى غزوات على الحدود بين البلدين . فتلك الخطابات، اذاً، لم تثمر عن اي نتائج بل كانت استمرارا للصراع بين الدولتين الافريقيتين .

ولكن على الرغم من استمرار الصراع فان دولة المهدية لم تتابع انتصارها على الحبش بالتوغل داخل اراضيهم ولم تفتتح النوخسى التي اجتاحتها . ان سياسة الخليفة فيما يختص بالتوسع داخل الحبشة كانت محددة وتتلخص في ان الحبشة بلاد واسعة وغزوها بالغ الصعوبة ولذلك راى ان يكون اهتمام الزاكي منصبا في " اظهار سطوة المهدية " " وبانتهاز الفرصة " من الحبش ومباغتتهم في حالة غفلتهم، وان تكون تلك المباغتة في الاماكن القريبة مثل دمبيا واكد عليه الا يتوجه في قلة ولا في ضعف لان " قهر الاعداء مطلوب ." [٦٣] فاذا اضفنا الى هذا الاتجاه

---

٦٣ الزاكي طمل الى الخليفة ١٨ شعبان ١٣٠٦ مهدية ١/٤/١/ $\frac{٤٣}{٦}$

ادراك الخليفة لاحوال الحبشة الجغرافية خصوصا مرتفعاتها الداخلية لاتضح لنا انه لم يكن يفكر في غزو الحبشة والاستيلاء عليها بل كان يسعى في الحصول على موافقة منليك او اى قائد اخر من قواد الحبشة للتبعية للمهدية ثم يوليه على ارضـــه اميرا من قبله ، وهذا يتمشى مع سياسة المهدى والخليفة في اشعال الثورة في المناطق المختلفة وربما كان الخليفة كالمهدى ينظر شمالا نحو مصر ولعله كان في ذلك الاثناء ينتظر مصير حملة النجومى التى بدأ التفكير في ارسالها شمالا في يناير وخرجت من يوليو من نفس العام . اذا فالفترة التى اعقبت انتصار الزاكي شهدت سيادة هذه الاتجاهات في السياسة الخارجية ، وشهدت عددا من الحملات الخاطفة على المناطق القريبة .

بعد واقعة القلابات احس الزاكي بالاطمئنان من جهة الحبش " وما في هذه الجهتهم من حساب " ، فرأى ان يقوم بحملات على الجبال المجاورة بغرض " ازالة ضرر الانصار " اذ ان تلك الجبال بها " معاش واصناف المواشى " .[٦٤] وهكذا تحول الجهاد الى حملات

---

٦٤ الزاكي طمل الى الخليفة ١٥ رجب ١٣٠٦ ، مهدية ١/٤/١/٢٤

خاطفة بغرض توفير الغذاء وربما كان الهدف ايضا اخضاع المناطق المجاورة تماما وهي في حالة فوضى من جراء المعركة الاخيرة . وكانت اول تلك الحملات بقيادة عمر محمد الشيخ وابراهيم الدميعة الى جبل غوره . وتمكنت تلك الحملة من ضرب الحبش واتباعهم من فلول الحمدة والتكارير وتوغلت داخل الاراضي الحبشية وعادت بغنائم وافرة من رقيق وابقار وحبوب .[٦٥] وكانت الحملة الثانية بقيادة فرج الله رجب وبصحبه اربعة الالف مجاهد الى جهات "اوسا" "والجانتوله" وديم" حكومة" (وهو عبد ولد زايد) وجبل ورغي بل وصلت حتى غبتة وعادت الى القلابات يصحبها سبعمائة وسبعة وخمسون الجبرتة من الذين امنوا بالمهدية وبصحبتهم الف وثلاثمائة وخمسة عشر من عوائلهم .[٦٦] وارسل الزاكي الحملة الثالثة بقيادة عبدالله ابراهيم وحمدين حبيب الله على راس اربعة الالف ومائتين من المقاتلين الى جهات غبتة للمرة الثانية وذلك لان اغلب سكانها من الجبرته " المسلمين وداخليين تحت الطاعة " وكان من اهداف تلك الحملة ايضا القضاء على عجيل الحمراني اذ هو محاصر في تلك المنطقة بمياه الامطار وامتلاء الاودية . وكذلك من اهدافها اغتنام الفرصة في الحبش وهم في حالة من " الزلزله ... والقفلة " ويمكنها كذلك ان تساعد

---

٦٥ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٤ شعبان ١٣٠٦ مهدية ١/٤/١/١/٤

٦٦ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٢٤ شوال ١٣٠٦ مهدية ١٠/٤/١/ ٦٥/١

على قلة الضائقة المعيشية في القلابات اذ بلغ اردب الذرة

ستين ريالا ،وجهة غبتة هذه " بها اغلب مدار معان اعداء الله

الحبشة لكثرة العيون فيها " .[٦٧] وسارت تلك الحملة حتى جهة

" والية " بالقرب من قندر حيث مكثت حتى اكتوبر ١٨٨٩ (صفر

١٣٠٧) . واخر تلك الحملات كانت الى " الجبال الصعيدية "

بقيادة عبدالرسول عمر، وهكذا وزع الزاكي اغلب جيشه بين عبدالله

ابراهيم وعبدالرسول عمر ويقى هو بالقلابات مع عدد قليل وحل بذلك

ازمة القوت التي كانت تعاني منها القلابات حلا موقتا .

ورأى الزاكي ان يقوم في ذلك الاثناء وحتى يستطيع ان يجمع

شتات جيشه لحرب جديدة ـ ان يقوم بمخاطبة الحبش " بما يلزم من

التهديد والوعد " بغرض بث الخوف في نفوسهم عله يحدث اثرا

في نفوسهم فبهذا اجدى من بقائه في القلابات و" قطع مخابراتنا عنهم"

ويبدو ان تهديدات الزاكي قد احدثت بعض الاثر اذ بعث راس

عدار يطلب نجدة من الزاكي ووعد بان يقوم "بلوازم الانصار من المعاش"

وذلك لما لحقه من ضيم شديد اثر تفرق اغلب قواده من حوله

---

٦٧ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٤ القعدة ١٣٠٦ مهدية ١/٤/١/٧٣ / ٢

وانضمامهم الى منليك . واكد للزاكي بانه اصبح بمعزل عن الحبش ولذلك يريد ان يستعين بالانصار والا سيحصن نفسه باحدى الجبال . وذكر راس عدار كذلك ان منليك في بلاده شوا وانه " مدعى النقسية " وانه يتحين قدوم الانصار اليه ليقضى عليهم . ولكن الزاكي لم ياخذ كل ما جاء به راس عدار فالحبش في رايه " لا امان منهم " ويعتقد ان عدار مع منليك وما قاله ليس الا خدعة اذ مازال يحمل ضغينة للانصار منذ انتصارهم عليه على عهد حمدان .[٦٨]

وعندما حل خريف عام ١٨٩٠ (١٣٠٧) انقطعت اخبار الحبش الا النذر اليسير الذي كان يتسرب عن طريق النقادية . ومن تلك الاخبار علم الزاكي بالصراع بين قبيلتي التقرى والامهرة وكيف استطاع منليك ان يعقد اتفاقا مع التقرى ثم قام باخضاع الامهرة والقضاء على احد زعمائهم ويدعى نقاش . وكان نقاش هذا قد جمع حوله عددا من الامهرة واعطى ولاءه للمهدية . وعلم الزاكي كذلك ان منليك صارت له " اليد على الجميع " وانه استطاع اخضاع الحبشة لنفوذه . ولذلك يرى الزاكي ضرورة القضاء على اي جيش يرسله منليك الى جهات القلابات لانه " لو حصل ذلك ولم

---

٦٨ الزاكي طمل الى الخليفة ٨ رجب ١٣٠٧ مهدية ١٦/٤/١٣٧٢

٦٩
صار ردعهم فيكون مؤدى لغرورهم . " ويؤكد الزاكى ضرورة الحرب

ضد منليك لان الحبش اهل مكر وخداع " وبعيد منهم الدخول فى
٧٠
الاسلام " مالم يروا شديد عذاب يحل بعدو الله منليك.

اما الخليفة فلم يوافق الزاكى تماما ويرى تمشيا مع سياسته السابقة ـ عدم الحرب مع منليك مالم تتوفر " الكفاءة لضرب الاعداء " ولعل الخليفة قد اكتفى بانتصاره الاخير على الحبش ولايريد ان يقحم جيشه فى حرب جديدة مجهولة المصير فى مرتفعات الحبشة الغريبة عليهم .

واخذ حماس الزاكى للحرب يفتر بعد ذلك وزاد من فتوره انشغال الحبش بالصراع مع الايطاليين وتحولهم عن جهته وعندما جاء الخريف علم الزاكى من احد الجبرتة ان الحبش ليسوا راغبين فى حرب الانصار الا بعد انقضاء موسم الامطار . وما ان انتصف عام ١٨٩٠ (مطلع عام ١٣٠٨) حتى كان الزاكى قد استنفد طاقاته الحربية فى المنطقة واستنزف امكانيات المناطق القريبة منه ولذلك رحل عن القلابات الى " الصعيد " قاعالى النيل . وخلفه احمد على وكيلا على المركز .

---

٦٩ الزاكى طمل الى الخليفة ، ٤ شوال ١٣٠٧ ، مهدية ١٤ / ٤ / ٤ / ١٥٤

٧٠ الزاكى طمل الى الخليفة ، ٨ رجب ١٣٠٧ ، مهدية ١ / ٤ / ٢ / ١٣٢

احمد علي في القلابات .

لم تختلف سياسة احمد علي عن الزاكي في فترة العامين اللذين تولي فيهما قيادة المنطقة . فاستمر في ارسال بعض الحملات الصغيرة الى المناطق المجاورة وظل يترقب اخبار الجيش وتحركاتهم . ولعل الحروبات المستمرة التي خاضتها الحبشة داخليا وخارجيا ادت الي تدهور الحالة الاقتصادية الي درجة ان " نزل القحط بساحتهم واهلك ضعفاءهم واغلبهم ماتوا جوعا وقد حضروا (الى القلابات) ... هاربين من الجوع ".[٧١] وعندما حل خريف عام ١٨٩١ (نهاية عام ١٢٠٨) تقلصت المناوشات الحربية بين البلدين . ولكن الانصار ظلوا يعانون من نقص في الملبس فقرر احمد علي " ضرب البازة والحبمة بجهة غبتة لاجل كسوة الاصحابة لان اغلبهم " متشوبين بالشمال والجلود ... وجهتنا هذه بردها شديد . "[٧٢] فكون حملة من ستمائة وخمسين جهاديا بقيادة عبدالله حامد ابوفلج مكثت نصف شهر بالحبشة هاجمت فيه تسع قري وعادت ببعض الغنائم منها خمسة وسبعون اسيرا وتسعمائة وتسعة وعشرين ريالا .[٧٣]

---

٧١ احمد علي الى الخليفة ، ٤ رجب ١٣٠٨ ، مهدية ١ / ٢٧ / ١٥ / ٦٥

٧٢ احمد علي الى الخليفة ، ١ محرم ١٣٠٩ ، مهدية ١ / ٤ / ١ / ٨

٧٣ القرى التي هاجمتها الحملة هي : شقليل ، مرافعة ، شندى ، المحار ، ميسقن ، نقارة ، خور كليت ، حمرا ، والمهمج.
احمد علي الى الخليفة ، ٣ جماد اخر ١٣٠٩ ، مهدية ١ / ٢٨ / ١ / ٤٣

وفى فبراير ١٨٩٢ (رجب ١٣٠٩) علم احمد على ان برمبراس بيتو وهو " من رؤساء الحبشة المعروفين وهو الريس بلا مشارك بالحدود ... لغاية قندر وام بجباره " ، قد نزل بجيشه من حصنه الذى يتحصن فيه على جبل شاهق وكان نزوله بغرض جمع الذرة . فرأى احمد على ان يقوم بمهاجمته دون ان ينتظر موافقة الخليفة خوفا من ان يعود برنبراس الى حصنه قبل وصول تلك الموافقة فقام احمد على على رأس حملة قوامها الف وستمائة وواحد وعشرين من الجهادية ولكنه وجد ان برمبراس قد عاد الى حصنه قبل ثلاثة ايام . فما كان من احمد على الا ان قام بقتل واسر " جميع من وجدناه بداره واحرقنا مساكنهم وعروشهم ... ولقد احرقنا كنايسهم المشهورة وعددها سبعة " . فتقدم برمبراس طالبا الصلح والامان ، الا ان احمد على يرى انه "مادام على هذا الدين فلا امان له" . وعادت الحملة الى القلابات بالغنائم فبلغ الخمس اربعمائة واثنين وسبعين ريالا كما ارسلت اثنتى عشرة جارية صغيرة الى الخليفة .[٧٤] وفى ابريل (مطلع رمضان) علم احمد على ان جيشا من التقرى بقيادة راس حقوص ودجاج برهى ودجاج تقرى ودجاج دستة قد قدم الى

---

٧٤ احمد على الى الخليفة ، ٦ شعبان ١٣٠٩ مهدية ١/٢٨/١٠ ، ٥ ٣/١/١ ٥ه

" ولقاية " وقتل زعيمها . فراى ان يقوم اليهم دون ان ينتظر اذنا من الخليفة ،فسار على راس الف وثلاثمائة وخمسين مجاهدا . وقضى يومه الاول يتجول في الاراضي الحبشية في قتل واسر ونهب. وعندما علم احمد علي بتجمع الجيش سار اليهم ودارت معركة بين الفريقين . وعند بداية المعركة اكتشف الانصار ان الجبخانة التي معهم تالفة اذ من مجموع ستين صرفت لكل جهادي وجدت خمسة رصاصات فقط صالحة . فتحولت المعركة الى ضرب بالايادي والاسلحة البيضاء تمكن بعدها الانصار من هزيمة الجيش وقتل ثلاثة من قاداتهم ارسلت رؤوسهم الى الخليفة وبلغت خسائر الانصار ثمانية واربعين جريحا وثلاثة وعشرين قتيلا . وبلغت خمس الغنائم خمسمائة ريال .[٧٥] ولعل تلك الحملات الاخيرة قد احدثت بعض الاثر في المنطقة اذا خذت بعض مجموعات من التكارير تفد الى القلابات والمتومات .[٧٦]

ويبدو من تتبع تلك الحملات انها كسابقاتها كانت بلاهدف محدد سوى الحصول على القوت والملبس . فلم تكن حملات منظمة بغرض احتلال الحبشة او جزء منها . والانتصارات التي حققها الانصار

---

٧٥ احمد علي الى الخليفة ٦ شعبان ١٣٠٤ مهدية ١٢/٢٨/١/٦٦

٧٦ احمد علي الى الخليفة ٦ القعدة ١٣٠٤ مهدية ١٢/٢٨/١/٦٦

كانت ترجع الى الضعف الذى طرأ على الحبشة ولان تلك الحملات كانت تعتمد على عنصر المباغتة لذلك كانت تهتم قبل الحصول على الاذن من الخليفة . وهذه من الظواهر النادرة فى المهدية لان موافقة الخليفة كانت ضرورية لكل الامور ،ولكن لصلة احمد على به ولمكانته فقد سمح لنفسه بتلك الدرجة من حرية التصرف . ولعل تلك المبالغات التى وصف بها احمد على انتصاراته كان الغرض منها ان يبدو فى مكانة مثل الزاكى طمل . وقد انتقد الخليفة طريقة احمد على فى تسجيل انتصاراته الحربية قائلا ان مثل غزوتكم هذه التى حصل الظفر فيها ... لاتدخلوا فيه (الرسالة) امر الخمس ... بل يكن بالنصره فقط ودمار العدو لاجل يتلى على الاصحاب بالمسجد .[٧٧]

عودة الزاكى طمل الى القضارف ـ القلابات

وفى مطلع عام ١٨٩٣ (رجب ١٣١٠) عاد الزاكى الى القلابات.

وشهدت الاشهر الباقية من عهد الزاكى تقلص النشاط الحربى وتزايد

---

٧٧ الخليفة الى احمد على ،١٧ شعبان ١٣٠٩ ،مهدية ١/ ٢٧/ ٩/ ١٦٦

رغبة الجيش فى احلال السلم . ولم تكن تلك الرغبة من جانب الجيش الا لضعفهم الداخلى وتهديد الايطاليين لهم . فعند وصول الزاكى وجد مندوبا من عظيم شلقا "مريد الصلح ... والامان لدارهم ... وفتح الطريق للنقادية" كما وجد رسالة من الراس تاشا ، وحسب تقدير الزاكى فانها كتبت بايعاز من منليك . وتعبر الرسالة عن رغبة فى الامان والاتفاق . وعلم الزاكى ان بعض قادة الحبش راغب حتى فى دفع الجزية للانصار . فبعث الزاكى برسالة الى منليك يوافق فيها على عقد الصلح بشرط دفع "القبرا."[78] ويمضى عهد الزاكى دون ان تثمر تلك المحاولات عن شىء محدد . ونلاحظ ان دولة المهدية فى هذه الفترة اصبحت متحفظة فى حروباتها ضد الحبشة . ولعل خطاب الخليفة الى الزاكى فى مارس ١٨٩٣ (رمضان ١٣١٠) يوضح هذا الاتجاه. يقول الخليفة فى وصيته " ان تلك الجهة ... هى عظمى فانظر امرها ... وينبغى ان تستفتهم عمن تثق به عن المنازل منزل منزل والمياه منهل منهل وتوضح لنا ذلك ايضاحا كافيا وان المياه المذكورة هل هى سرف او ابار . ونستطيع ان نقول ان نهاية فترة الزاكى شهدت نهاية الحروبات

---

٧٨ الزاكى الى الخليفة ٢٠ رجب ١٣١٠ مهدية ١/ ٤/ ٤/ ٦/ ١٦

٧٩ الخليفة الى الزاكى طمل ٨ رمضان ١٣١٠ مهدية ١/ ٢٧/ ١/ ٧٠

.. د الحبشة حتى ان مركز الجيش نقل من القلابات الى

القضارف . وقد لخص الزاكي تلك النهاية في قوله " ان الحبش

المجاورين بالقرب اذعنوا للصلح واوردوا القبرا ومادام ان راحة الانصار

الانصار بالقضارف ونحن بالقرب منهم فما عليهم الا اعطانا الحوادث

اول باول وحتى مارأينا اهمية تقويتها (القلابات) فانا بالقرب " ٨٠

فانتقل الزاكي الى القضارف وترك بالقلابات حامية من خمسمائة جهادي .

ولعل من ابرز معالم العلاقة بين دولة المهدية والحبشة

تلك العلاقة التجارية التي كانت تتم عن طريق النقادية . وبالرغم من

ان الفترة الاولى من عهد الزاكي قد شهدت ركودا في الحركة التجارية

بل توقفا تاما قبيل معركة القلابات وبعدها ، الا ان الاشهر التالية

شهدت انتعاشا في الحركة التجارية ، ففي منتصف عام ١٨٨٩ (نهاية

عام ١٣٠٦) تسلم الزاكي رسالة من احد قادة الحبشة لعلها تحديدا

لسياسة الحبشة التجارية مع الانصار . يقول الراس زاوده في رسالته

" انتم بالقلابات ونحن بالحبشة وقصدنا ان نبقى حالة واحدة ... اما

عن المساكين التجار المسافرين بين بلدنا وبلدكم اعطوهم الامان فهم

---

٨٠ الزاكي طمل الى الخليفة ٢٢ رجب ١٣١٠ مهدية ١٠ / ٤ / ٤ / ٤٠٩

مساكين والمولى سبحانه وتعالى امر بالبيع والشرا وهم يعمروا الاسواق ."[٨١]

وطلب بعض زعماء المكادة من الزاكي ان يعطيهم الامان لانهم "خايفين من

العجيب* هنا زعما منهم بانا نرسلهم صوب السابة بالبقعة"[٨٢] ويبدو

ان التجار الحبش قد احسوا ببعض الاطمئنان اذ اخذوا يتوافدون على

القلابات "بما لديهم من الحبوب ... ولقد حصل بسبب ذلك التنفيس

على الاصحاب ... ولما وجدوا (النقادية) عدم من يعارضهم في بيعهم

تساول حضورهم بعد ذلك بما ينتفع به."[٨٣]

وحدد الزاكي اسعار السلع حتى لايطمع النقادية في الانصار .

"فجراب" الذرة الذى به كيلتين ثمنه ريالين وقربة العسل الكبيرة سعة نصف

قنطار بثلاثة ريال والصغيرة بريالين والضخمة بريالين او ثلاثة . وحتى هذه

الاسعار فانها تنخفض عند نهاية السوق .[٨٤] ولكن ذلك الانتعاش لم يستمر

اذ شهدت الاشهر التالية حضور النقادية باعداد اقل . وانزعج الخليفة

لتلك الظاهرة وراى انها قد تؤثر على الحالة الاقتصادية في المنطقة .

---

٨١ ران زاوده الى الزاكي طمل ١٨٨٩ (اواخر ١٢٠٦) مهدية ١/٣٤/١٤/١٩٧

٨٢ الزاكي طمل الى الخليفة ١٠ شوال ١٣٠٦ مهدية ١/٤/١/٦٨/١

٨٣ الزاكي طمل الى الخليفة ٨ ربيع اول ١٣٠٧ مهدية ١/٤/٢/٩٩

٨٤ الزاكي طمل الى الخليفة ٢٥ رجب ١٣٠٧ مهدية ١/٤/٢/١٤٤/٢

والغى بالائمة على الزاكي وانتقد سياسته قائلا " ان النقادية اناس اعجام فان كنتم وليتم امرهم لناسات مدربين اهل ميز من اولاد العرب لاجل ان يباشروا اخذ العشور منهم ولايتعدوا عليهم في حقوقهم فما كانوا ينقطعون ولكن بالنظر لعدم تولية انسان مميز لهم حصل مد اليد عليهم وانقطعوا " ويوصي الخليفة باستخدام اشخاص من اولاد العرب " اهل دين وميز وعقل وعفة " ليتحصلوا عشور النقادية حتى يستانفوا نشاطهم التجاري ويساعدوا بذلك في ازالة " المضايقة الحاصلة من الفلا ." [٨٥] كان هذا هو تعليل الخليفة لانخفاض عدد النقادية .

ولكن الزاكي رفض ذلك التعليل ورد بانه هو الذي يباشر امرهم ولم يكله لاحد اخر ، بل انه يعمل دائما على ترغيبهم في الاسلام بكسوة رؤساتهم وبذل العطاء لهم والاشراف على راحتهم للبيع " اشغالهم .. ومنع المعتدين عليهم وحفظ حقوقهم ." فانقطاع النقادية لايعود الى سياسته في القلابات لانها سياسة سليمة بل يعود الى اسباب داخلية خاصة

---

٨٥ - الخليفة الى الزاكي طمل ، بدون تاريخ مهدية ١/ ٢٧/ ٤/ ٨٣ وجدنا ان تاريخ هذه الوثيقة وهو ٢٤ رمضان ١٣٠٧ وذلك من وثيقة اخرى هي : مهدية ٢٠/ ٤/ ٢/ ١٦٣ في ٧ شوال ١٣٠٧

باحوال الحبشة وحروباتها • ومن تلك الاسباب انه طلب من النقادية ان يحضروا معهم كميات وافرة من الذرة ،ولكن الحبشة نفسها كانت تعاني من نقص فيها ولذلك منعهم الحبش من الحصول عليها ، ولم يستطع النقادية احضار كميات وافرة منها وحتى ماكانوا يحضرونه فانهم يأتون به " بالخفية " • اما السلع الاخرى مثل البن والكسبرة والعسل فانها موجودة ولكنها سلع لاتستهلك بكميات كبيرة ولذلك قل حضور النقادية الى القلابات •

من هذا الحوار تتضح بعض معالم السياسة التجارية لدولة المهدية فالمهدية ترغب في انتعاش التجارة وترى ضرورة تشجيع النقادية وتوفير الجو الصالح لهم لممارسة نشاطهم [٨٦] • وكانت دولة المهدية ترغب كذلك في البضائع التي تشمل المواد الغذائية مثل الذرة • ويمكننا ان نخلص الى القول بأن النشاط التجاري ظل مستمرا يقل حينا وينتعش حينا آخر غير متأثر بالعداء بين الدولتين •

---

٨٦ يرى هولت ان هناك عوامل اخرى لم تشجع التجارة منها سلوك الانصار مع التجار ومعاملتهم لهم ومنها انعدام العملة الصالحة الخ • ويرى كذلك ان الخليفة كان يشك في التجار ويعتبرهم جواسيسا مرسلين من الاعداء ولذلك لم يكن يشجع التجارة مع مصر • وفي رأي ان هذا الشك كان قاصرا على مصر اساسا ولم يشمل القلابات الا في حدود ضيقة • راجع :

Holt, <u>The Mahdist State</u>, pp. 237-8

الصراع بين الزاكي طمل واحمد علي

الصراع بين الزاكي واحمد علي ليس كالصراعات السابقة التي شهدتها هذه المنطقة بين الامراء والقواد الاخرين بل هو صراع حاد وعنيف ، وصورة لاستبداد الحكام عندما ضعفت روح المهدية في نفوسهم ، ومثال لتغول التعايشة على الحكم ، ولذلك سنتعرض له من جذوره .

يرجع تاريخ هذا الصراع الى وفاة حمدان وتعيين احمد علي بدلا عنه . في ذلك الوقت عمل الزاكي للحصول على القيادة ونجح في ذلك واصبح احمد علي قائدا لاحدى ارباع الجيش . ولا شك ان احمد علي لم ينس تلك الحادثة ولعله ظل يتحين الفرص منذ ذلك الوقت للايقاع بالزاكي . ولم يغب من الزاكي ذلك الشعور فعمل من جانبه على اضعاف احمد علي واظهاره امام الخليفة بمظهر القائد غير المقتدر كما اضعفه ربعه بشكل فعال .[٨٧]

وعندما غادر الزاكي القلابات الى اعلى النيل عين احمد علي وكيلا عنه بعد تردد ولمجرد ارضاء الخليفة الذي ابدى رغبة

---

٨٧ راجع ص ٢٣٠ من هذا الفصل

في ذلك التعيين . وما ان تسلم احمد على زمام السلطة حتى اخذ يمطر الخليفة بسيل من الانتقادات نحو سياسة الزاكي ومسلكه منها ان الزاكي امر بعض العمال وهما حامد الدحيزى والله جابو الزاكي (عبد الزاكي طمل) بجمع غلال الزكاة وعدم ارسالها الى القلابات بالرغم من احتياج الانصار لها . كما ان الزاكي اخذ معه كل الامراء والمقاديم وكافة البروجية " مع ان قوام حركة الجهادية هي البروجية " واخذ معه كذلك مدفع المتريوز و" الطوبجية والتوفلجية والقندفلية " ولم يترك من الجهادية سوى الف وستمائة بينما ادعى للخليفة بانهم الف وثمنمائة واربعة وتسعون .[88]

كما ان الزاكي اجتمع قبل سفره بخاصته "وذاكرهم سرا " وقدم عليهم واحدا من اعوانه وامرهم بعدم الانقياد الى احمد على ندافع الزاكي عنه نفسه بان انتقد احمد على وذكر ان الانصار" من طبيعتهم بالقلابات فان لم يجدوا الريس حريصا عليهم متفقدا لاحوالهم فيكون ذلك داعيا لنفرتهم ... والمكرم احمد على يحتاج لزيادة الارشاد وتقويته " .[89] وظل الخليفة يرقب ذلك الصراع عن بعد او في شكل نصائح

---

٨٨ احمد على الى الخليفة ٩ رمضان ١٣٠٨ مهدية ١/ ٢٧/ ١٥/ ٦٨

٨٩ الزاكي طمل الى الخليفة ١٥ رمضان ١٣٠٨ مهدية ١/ ٤/ ٣/ ٢٥٩

عامة موءكدا فيها قيادة الزاكى على المنطقة . ولكن عندما اشتكى احمد على من ان الزاكى اوكل جديد حمدان لجمع عشور النقادية وحفظها لديه تدخل الخليفة وامر بتسليم العشور الى احمد على . ودافع الزاكى عن ذلك الاجراء بان عشور النقادية من الاشياء الخاصة بالخليفة وان حفظها يقع تحت مسوءليته . واختلف الزاكى مع احمد على حول تعيين العمال بالمراكز المختلفة . فالزاكى يرى ان تعينهم يجب ان يتم بمعرفته ويخشى ان يعزلهم احمد على . بينما يرى احمد على ان عزلهم امر ضرورى لان اغلبهم متسلطين على الاهالى لتسديد بعض الديون التى اخذها الزاكى من التجار . فنصر الخليفة احمد على وراى ان يقوم بتعيين العمال مادام هو المسئول المباشر عن المنطقة .[٥٠] واشتكى احمد على من كثرة عائلة الزاكى التى بلغت مائة واربعة وستين زوجة وسبعة وعشرين طفلا حتى ان ملبسهم كان يحتاج الى اكثر من الف ثوب .

واغتنم احمد على فرصة غياب الزاكى عن القلابات فعمل على تقوية نفوذه داخل الجيش . فاجرى تعديلات فى قيادة الارباع بعزل

---

٥٠ . الخليفة الى احمد على ٢٤، شوال ١٣٠٨ ، مهدية ١ /٢٧/٨/١٠٨

كل من جديد حمدان ومحمد نور كلاب وعين مكانهما عبدالله حامد ومحمد فرح ،كما عين عددا من مقاديم الجهادية من خاصته. ثم قام بتحويل اغلب الجهادية تحت قيادته المباشرة . وعزل حامد الدخيرى عامل القضارف متهما اياه باخذ حقوق بيت المال . بل انتهى الى اتهام الزاكي بانه عمل على تشتيت الجيش حتى اضطر لاعادة جمعه فاصبح جيشا قويا.[٩١]

وذهب احمد على الى محاولة اثبات قيادته المطلقة للمنطقة بان انكر على الزاكي اصدار الاوامر له وتشك في جهته التى ذهب اليها والصفة التى خرج بها . وطلب من اهل القضارف عدم الاستماع الى اوامر الزاكي فليس له " ادنى سلطة على الرباط بل ولا على جهتكم (انذ) ..... انفصلنا من المكرم الزاكي من مدة قيامه والى يومنا هذا ... وان اتاكم امر من المكرم الزاكي ... يطلب جرعة ماء او ابرة من الدار لاتسلموا ... شيء ولا تعملوا (بامره)[٩٢] " ولكن الخليفة اعترض على اجراءات احمد على هذه واكد ان الزاكي هو الرئيس على احمد على باشارة منه .

---

٩١ احمد على الى الخليفة ٣، جماد اخر ١٣٠٩ مهدية ١٤، ١/٢٨/١٤/٤٥

٩٢ احمد على الى احمد ابي سن واخرين ١٤، جماد اول ١٣١٠ مهدية ،

وخشى الخليفة ان يقوم الزاكى بالتقليل من شان احمد
وذلك بنقض الاحكام التى اصدرها مدة وكالته فطلب من الزاكى قبول
كل الاحكام التى اصدرها احمد على اذ ان معه " قاضى شريعة "
وان الخليفة قد استشير فيها . ولكن الزاكى اعترض على تلك الاحكام
لانها تمت " بدون وجه جايز وبغير الشريعة " مما ادى الى كثرة
الشكوى من اعيان البلد والامراء والانصار . واورد بعض الامثلة
من تلك المظالم . فوافق الخليفة على اجراء تحقيق فى تلك المظالم ،
وادان التحقيق مسلك احمد على .[٩٣]

وبلغ ذلك الصراع قمته عندما قام الزاكى باستدعاء احمد على
ووجه اليه عدة تهم اهمها انه يتصل بالخليفة راسا دون علم الزاكى . وكان
مسلك احمد على يتصف بعدم المبالاة " وظهر منه ماكان كامنا بالضمير "
وهو " مبنى على الحقد " . وراعى الزاكى فى ذلك المسلك وفى مخالفات
احمد على مايودى " للفلتة " بالجيش فقام بوضع احمد على واتباعه فى
السجن . وقد وصف احمد على الاسباب والظروف التى ادت الى
اعتقاله بان الزاكى منذ عودته الى القضارف وهو يسلط الاهالى لكى

---

٩٣ الخليفة الى احمد على ،٦ جماد اول ١٣١٠ ، مهدية ١/١٠/٢٧/١/٣٤

٩٤ الزاكى طمل الى الخليفة ٢٧، شعبان ١٣١٠ ، مهدية ١/٤/١٠/٤/٤٤٤

يدعو على احمد على امام القضاء حتى كما يقول " صرنا اثناء الليل واطراف النهار نحن وجماعتنا امام القضاة فى الشريعة " فابلغ احمد على الامر الى الخليفة . فاستدعاه الزاكى على حين غفلة هو واعوانه " وفى الحال اجرى ضبط منازلنا واجرى تجريدهم مما جميعه حتى ثياب النساء " [٩٥]. ولكن الخليفة سرعان ماامر باطلاق سراح احمد على حتى لايشمت منهم الاعداء .

خرج احمد على من السجن – تسنده قرابته من الخليفة – وهو اكثر تصميما لتحطيم الزاكى . فاخذ يتصل بالخليفة سرا يخبره ان الزاكى لايعمل باى امر ياتيه من الخليفة بل بما يقتضيه رايه وان جميع تصرفات الزاكى ستؤدى الى احداث خلل فى الجيش . وذهب الزاكى الى اثارة الخليفة اكثر عندما ذكر له ان الزاكى قام باستدعاء " عيال التعايشة " لوقوفهم ضد الجهادية ومنعهم من الاستيلاء على الجبخانة وذلك عندما اشيع عن موت الزاكى . فقد ارسل الزاكى بعضا من الجهادية ليلا وقاموا بضبط وتكتيف عيال التعايشة " واغلظ عليهم فى القول ... وصار .. تجريدهم حتى من عممهم واسلحتهم

---

٩٥ احمد على الى الخليفة ٢٧ رمضان ١٣١٠ ، مهدية ٥/ ٢/٢٨/ ١٠٠

وحرابهم وما كان بطرفهم من الجبخانة وتركهم مجردين بهذه

الصفة كأنهم نساء .[٩٦] وكان من جراء تلك الروايات ان استدعى

احمد على الى البقعة . ولعله وجد فرصة اختلى بها مع الخليفة

واوغر صدره ضد الزاكى .

وتذهب بعض الروايات الى ان الخليفة قد وصلته معلومات

عن ثراء الزاكى وبطشه ونزعته الاستقلالية فقد اشتكى بعض الامراء

فى جيش الزاكى بعد عودتهم من اعالى النيل عن بطش الزاكى وطغيانه

وانه لن يتردد من اعلان استقلاله عن الخليفة اذا وجد القوة

الكافية .[٩٧] وكان من مظاهر ثراء الزاكى انه اذا حضر الى امدرمان

يخرج فى موكب عظيم يحيط به خمسون حارسا مسلحا.[٩٨] وكان من جراء

الصراعات المستمرة التى عاشها الزاكى خاصة مع التعايشة ان بدا

يفقد عطف الخليفة .[٩٩] ومما زاد من شكوك الخليفة ان الزاكى طلب

---

٩٦ احمد على الى الخليفة ٢٧ رمضان ١٣١٠ مهدية ١/٢٨/٢/٩٩

٩٧ Slatin, op.cit, pp. 987-8

٩٨ ابراهيم فوزى ، ص ٢٩٢ — ٣٠١

٩٩ Holt, The Mahdiist State, p. 196

عند عودته من اعالي النيل مزيدا من الاسلحة النارية . فرفض
الخليفة طلبه وانب الزاكي وذكر له ان لديه " بذلك البغاز من
صنف السلاح الرامنتون وغيره مقدار وافر لم يحصل مثله في مركز اخر"
وان جميع القواد الاخرين بالبوغازات ليس لدى واحد منهم " ربع
ما معك من الاسلحة ." [١٠٠]

وفي منتصف عام ١٨٩٣ (مطلع عام ١٣١١) استدعى الخليفة
الزاكي الى امدرمان بغرض " التمتع بالزيارة ومشاهدة الانوار
الساطعة " ، كما طلب منه ان يحضر معه جميع رؤساء الارباع مقاديم
الجهادية بحجة خروج الجيش الى محاربة الايطاليين . [١٠١] فاذا علمنا
ان الزاكي صحب معه في تلك الزيارة ثلاثة من امراء الارباع وثلاثة
وعشرين من مقاديم الجهادية وثلاثين من امراء الرايات وثلاثة وعشرين
من العقاديم الصغار لادركنا ان الزاكي قد ذهب فعلا الى امدرمان
دون ان يعلم بنوايا الخليفة وانه بذلك اصبح هو وقواده تحت قبضة
الخليفة وحرسه الخاص . فالخليفة لم يشا ان يدخل في مغامرة باعتقال
الزاكي في القضارف وهو بين قواده وجيشه وكان احمد علي قد ذهب سرا

---

١٠٠ الخليفة الى الزاكي طمل ١٢ جماد اول ١٣١٠ مهدية ١/٢٧/١/٥

١٠١ Slatin, op. cit., p. 500

لمقابلة الخليفة لان الزاكي رفض اصطحابه معه .

وفي امدرمان وضعت خطة محكمة لمباغتة الزاكي واعتقاله وقام بتنفيذها يعقوب والقاضي احمد علي لكراهيتهما للزاكي اذ كان يحتقرهما . وتم اعتقاله في سبتمبر ١٨٩٣ (صفر ١٣١١) ووضع في السجن مكبلا بالقيود . وشرح الخليفة اسباب اعتقال قائده الكبير بان " به عارضا شديدا وقيل انه كان معه من سابق الا انه اشتد عليه في هذا الوقت وباسباب ذلك اجرينا زجره وحبسه بالمشورة فان طاب وشفي من ذلك العارض فبها و لا فيصير معالجته منه الى ان يقدر الله له الشفاء او يقضى الله امرا كان مفعولا " ومكث الزاكي في السجن اربعة عشر يوما منع خلالها من الاكل ومن الشرب ومات في ٢ سبتمبر ١٨٩٣ (١٠ ربيع اول ١٣١١) . ووصف الخليفة بانه " هلك في السجن على صفة فظيعة وحالة شنيعة وانه بمجرد خروج روحه اشتعلت النار في جسمه واسود وجهه . [١٠٢]

وفي الحال عين احمد علي اميرا على القضارف فغادر امدرمان فورا حتى يستطيع مباغتة اعوان الزاكي هناك . وفي القضارف حاصر

---

١٠٢ شقير ، ص ١١٥٧ — ٨ Op. cit, Slatin, pp. 501-2

منزل الزاكي حتى قبل نزوله من ظهر الزوامل . فصادر كل ممتلكاته وممتلكات اعوانه ، كما صودرت في امدرمان خمسة الاف ريال وكميات من خواتم الذهب والجواهر . واعتقل جديد حمدان وحامد طمل واربعة اخرين من اعوان الزاكي وجلدت اخته حتى الموت . وطلب احمد علي من كل شخص له ظلامة على الزاكي ان يقدمها للقضاء بل وقرر مراجعة كل احكامه ولكنها كانت مهمة صعبة " والتبس " الامر على القضاء .

لقد نجح احمد علي في القضاء على الزاكي ونجح في الاستيلاء على السلطة ، وبذلك انتهى فصل هام من صراعات المهدية فماهي اسباب ذلك الصراع وماهي اهميته ؟ قد يبدو ذلك الصراع في مظهره تنافسا بين قائدين ولكنه في الواقع صراع بين تيارين بين التيار الذي سماه البروفسير مكي شبيكه اولاد العرب وسماه هولت اوتقراطية التعايشة " وسماه سميرنوف في كتابه عصيان المهدي " ارستقراطية البقارة من جانب وبين القيادات الاخرى للدولة المهدية سواء ان كانوا

قوادا مشهورين او اشراف او " اولاد البلد " • فقد شـهدت السنوات الاخيرة او ربما النصف الثاني باكمله من حكم الخليفـة ميـلا من جانبه نحو اهله التعايشة لتوليهم المناصب الهامة في الدولـة • وقد استغل التعايشـة ذلك الاتجاه واخذوا يطمحـون فـي كـل القيادات الهامـة • وكان الاحتفـاظ بالزاكي لمقدرتـه الحربية الـتي تفوق مقدرة احمد علي وبغـرض الاستفـادة منه ضد الحبشة وفـي اعالي النيل • وعندما فقدت الحربيـات دورها الهام في الدولة اصبح وجود الزاكي غير مرغـوب فيـه • ويعكس ذلك الصراع كذلك بعض الجوانب الادارية لدولـة المهدية • فالاقاليم الشاسعة والجيوش الضخمـة المرابطة في الهوظارات والثروات التي تكونت من الغنيمة كلها مظاهر تنم عن شـبه استقلال • وبالرغم من تدخل الخليفة المستمر لفرض سيطرة مركزية الا ان الجنوح نحو نوع من الاستقلال كان غير مقبول لدى الخليفة • والطريقة الفظة التي قتل بها الزاكي كانت انتقاما لاشياء تراكمت عبر سنوات وسنوات • والطريقة التي اعتقل بها الزاكي توضح قوته الاقليمية • فالزاكي لم يعتقل كما يعتقل اي شخص خارج علـى نفوذ الخليفة بل استدرج رويدا رويدا وجرد من مصادر قوتـه واتخـذت

احتياطات/ ثم قبض عليه . حقا لقد كان ذلك الصراع من الفصول الهامة في تاريخ الدولة المهدية

غزوة احمد على الى اغردات .

عندما تولى احمد على زمام القيادة في القضارف وجد نفسه يرث حكما تكلله انتصارات الزاكي الحربية التي مازالت اصداوءها تتردد في سهول القضارف ومرتفعات القلابات ولذلك كانت فترة احمد على ـ على قصرها ـ محاولة دائبة من جانبه ليبني لنفسه مجدا حربيا يقتصوب به من الزاكي وبما ان الحروبات على جبهة القلابات لم تعد ذات وزن فقد اتجه الى جبهة كسلا التي كانت تواجه في ذلك الوقت خطر الزحف الايطالى فما ان عاد من امدرمان حتى طلب الاذن من الخليفة بغزو جهات كسلا لنجدة مساعد مقدوم وللحصول على كساء للانصار . ويعتقد احمد على ان الاوان مناسب للغزو " بالنظر لنشاف البحر ورطوبة الارض واستوى القندول ووجود المياه بكثرة بالطرق" فوافق الخليفة بحذر شديد ولعله كان يدرك مقدرات احمد على الحربية . فحذره من مهاجمة اي جنود محصنين والا يقترب من

"بحر المالح بالنظر لعدم الثمرة" [١٠٣] وان يكون متيقظا لمكر الاعداء " ولربما انهم يكمنوا لكم الكمائن " وطلب منه ان يستشير اهل الراى " اما مثل ولد فرج الله وغيره من الخبراء فلا تدخلهم فى المشورة بل اطلب منهم خبرة الطريق فقط" ويؤكد لاحمد على ان الغرض من الغزوة ليس مهاجمة الايطاليين بل تاديب القبائل الضاربة فى الصحراء . ويوصيه بالا يركن الى اولئك الوطانة" ويقصد الخليفة بتلك القبائل بعض الهدندوة والبنى عامر . [١٠٤] وخرج احمد على من كسلا يصحبه خمسة الاف وثمانمائة وسبعة واربعين جهاديا ومائتين وسبعين من الخيالة .

ولكن احمد على ـ جريا وراء الشهرة الحربية لم يتبع راى الخليفة تماما وتوغل بجيشه داخل ارتريا حتى وصل اغردات بطريقة غير منظمة ويرى النور عنقرة السبب فى ذلك هو خاطر حميدان الذى افسد راى احمد على . فكلما اتفق القواد على راى ياتى حميدان

---

١٠٣ الخليفة الى احمد على ، ١٢ جماد اخر ١٣١١ ، مهدية ١/٢٧/١٠/٢٣٦
op.cit,

١٠٤ Slatin, p. 503

ويغير راى احمد على فعندما اتفق القواد على السير بطريق

خور بركة لسهولته ووفرة مياهه تدخل حميدان واثر على احمد

على حتى سار بطريق الجبال المتعب . وعندما قرر القواد

ان يعسكروا فى منهل "كوفيت" لضرب "عربان الجبال" كان راى

حميدان المسير الى "سقليب" حيث لاتوجد مياه واضطر الجيش

للمسير اثناء الليل بحثا عن ماء . وهكذا وصل الجيش الى

"اغردات" على حالة سيئة " .[١٠٥]

وكان حاكم اغردات الايطالى " ارمندى " على علم بتحركات

احمد على وبحالة جيشه المعنوية وهو يتجول بلا هدى فى هضاب

ارتريا . فارسل بعض المنشورات وبثها فى طريق الجيش مخاطبا فيها

الجهادية قائلا " علم طرفنا انه بدون اختياركم مجبورين من الدراويش

المتعصبين عطالبين غشوا ضد القبائل الذى تحتنا وقصدى

الامان والراحة للجميع قبل ان نقاتلكم ونعدمكم اوعدكم تتركوا امراكم

وتحضروا طرفنا باسلحتكم بالشرف المستحق للعساكر الطيبين ويعطى لكم

---

١٠٥ النور عنقرة الى الخليفة، ١١ رجب ١٣١١ مهدية ١/٢٩/ ٢٠/

١٠٦
الامان والراحة . " ولكن تلك التهديدات لم تؤثر على احمد على واستمر يستحث جيشه للمسير نحو اغردات . ولعله قد اغراه ضعف حامية اغردات اذ كان بها حوالي الفي جندى فقط .

وفى ٢٢ ديسمبر (١٣ جماد ثاني) دارت المعركة بين الطرفين وهزم في نهايتها الانصار وفقدوا تسعمائة وواحد وتسعين قتيلا ونفس العدد مفقودين بالجبال . وقتل في تلك المعركة احمد على وعبدالله ابراهيم وعبدالرسول عمر فاصبح مجموع الخسائر الفا وسبعمائة وتسعة وخمسين كما فقدوا الفا وخمسمائة وتسع وثلاثين من البنادق الرامنتون وكميات من الذخيرة واربعة وسبعين من الخيول ، وعادت فلول الجيش الى كسلا تجرر اذيال الهزيمة وانفتح الطريق امام الايطاليين للزحف غربا نحو كسلا .

وبهذا اختتمت احدى فصول الدولة المهدية وهي تعاني ضعفا داخليا وتواجه خطرا خارجيا استعماريا . وبقى على احمد فضيل ان يشرف على الفصيل الاخير من تاريخ هذه الدولة .

---

١٠٦ ارمندى حاكم جيوش ملك ايطاليا الى الجهادية السودانية ، ١٠ جماد اخر ١٣١١، مهدية ، ٣/٦/٣٤/١

الفصل الخامس

احمد فضيل ونهاية دولة المهدية[1]

١٨٩٤-١٨٩٩ (١٣١١-١٣١٦هـ)

شهدت السنوات الخمس التى قضاها احمد فضيل فى منطقة القضارف - القلابات افول نجم المهدية وزوالها • لقد قضى احمد فضيل معظم تلك السنوات متنقلا بين كسلا والقضارف والقلابات ورفاعة والمسلوقة وامدرمان واخيرا غرب السودان حيث لقى مصرعه • وكانت تلك التنقلات تمليها الظروف الحربية التى تطرأ من حين لاخر• ولذلك

---

[1] قبل ان يتولى احمد فضيل امارة القضارف قام بعدة مهام حربية واصبح من اكثر التعايشة معرفة بالجهادية وقربا للخليفة • وكانت اول مهمة قام بها في يوليو ١٨٨٧ (شوال ١٣٠٤) حيث بعثه الخليفة الى شات وبقى بها حتى ابريل ١٨٨٨ (شعبان ١٣٠٥) • ثم ذهب الى الابيض واصبح عاملا للسرية الغربية وهناك قام بالقاء القبض على الهاربين فى سرية القلابات • وفى يونية ١٨٨٨ (شوال ١٣٠٥) ذهب الى الاضية ولبث بها حتى نوفمبر ١٨٨٨ (ربيع اول ١٣٠٦) واستطاع القضاء على قبائل الحمر • ثم ارسله الخليفة الى الفاشر لتعزيز موقف عثمان ادم ضد ابو جميزة • ووصل الفاشر فى ١٨٨٩/١/١٢ (٩ جماد اول ١٣٠٦) حيث اشترك فى معركة الفاشر ضد ابى جميزة • وفى فبراير ١٨٨٩ (جماد ثانى) كان فى الاضية للمرة الثانية لمتابعة اخضاع الحمر• وفى نفس الشهر تحرك الى البقعة حيث تولى قيادة الجهادية بالكاره خلفا لفضل المولى صابون • واشترك مع يعقوب فى القضاء على الاشراف • وبقى قائدا للجهادية حتى

لم تلق تلك المنطقة اهتماما منه ، ولعل هذا يعزى ايضا الى ان الدولة المهدية اتخذت شكلا تنظيميا محددا ولم تطرأ عليها اى تحولات اساسية • فكانت تلك السنوات لعوام حركة عنيفة وحرب لا لعوام هدوء واستقرار • حقا انها سنوات عاصفة فى تاريخ الدولة المهدية وهى تصارع فى عدة جهات للحفاظ على كيانها من الخطر الخارجي الذى اخذ يشد من خناقه عليها حتى قضى على كيانها •

الاوضاع الداخلية فى عهد احمد فضيل [٢]

كانت هزيمة احمد على ضربة كبيرة على دولة المهدية اذ فتحت ثغرة فى جبهة كسلا يصعب حراستها • وادراكا لخطورة هذا الموقف قام الخليفة فورا بتعيين

= بعثه الخليفة الى كسلا وخلفه ابراهيم الخليل فى قيادة الجهادية • راجع :
مهدية ، ١/ ٢٠/ ٢/ ٤
مهدية ، ١/ ٢٠/ ٣/ ٢٤
مهدية ، ١/ ٢٠/ ٤/ ٣٠
مهدية ، ١/ ٢٠/ ٤/ ٣٤

٢ لايمكننا ان نتعرف بوضوح الى الاوضاع الداخلية فى عهد احمد فضيل ان لم نضع فى اعتبارنا حادثتين هامتين • الاولى تعدى الايطاليين لكسلا ثم احتلالها فيما بعد فى يوليو ١٨٩٤ (محرم ١٣١٢) والثانية بداية الاستعداد لحملة كتشنر ثم تحركها فيما بعد ايضا نحو دنقلا فى مارس ١٨٩٦ (شوال ١٣١٢) • وقد عولجت الحادثتان فى عدة مراجع لعل أهمها :

Shibeika, British Policy, Chapter x الذى يعالج فيه هذه القصة •

Holt, The Mahdist State, pp. 195-7 and 204-6

احمد فضيل عاملا عموميا خلفا لاحمد علي • وطلب في نفس الوقت بقاء فلــول الجيش العائدة من اغردات في كسلا • وفي ٥ فبراير ١٨٩٤ (٢٩ رجب ١٣١١) وصل احمد فضيل الى كسلا وتسلم القيادة من عبد الله حامد ابي فلج [٣] •

ويبدو ان هزيمة احمد علي احدثت بعض المظاهر السلبية اهمها تسلل الانصار من جبهة كسلا الى القضارف هربا من خط المواجهة وبحثا عن القوت • فقد عانـــى الجيش في كسلا شبه مجاعة ، وحتى عندما خرجوا الى الغزو كان مع كل واحد منهـــم "كيلة" واحدة من الذرة وعند عودتهم من اغردات مكثوا خمسة ايام بدون قوت وعندما صرفت لهم الذرة كانت شحيحة "بواقع النفر قيراط واحد بالتقطيع شي في شـــى" • وانعدمت الاقمشة حتى للاكفان وصار الميت يدفن "تحت التراب بدون كفن عاري" [٤] • فرأي احمد فضيل ان يواجـه الازمة بطريقتين • فصرف نصف ريال لكل جهـــادي

---

٣ منذ الايام الاولى لاحمد فضيل والخليفة يستفسر عنه سرا وعن مقدرته الحربيـــة وسلوكه • فقد كتب الى النور عنقر خطابا سريا بهذا المعنى • ولعل هذه ظاهرة فريدة ان يكتب الخليفة مستفسرا من واحد من التعايشة بواسطة شخص اخر • اذ ان التعايشة كانوا هم عين الخليفة الساهرة والمراقبين لسلوك بقية القواد •

٤ عبد الله حامد الى الخليفة ، ٢٥ رجب ١٣١١ ، مهدية ، ١/ ٢٤/ ٢/ ١٤٢

لخطوة اولى • ثانيا راى ضرورة القيام للغزو " فى طاعة الله ورسوله لنصـرة

دينه " • الا ان الخليفة اعترض على فكرة الخروج للجهاد ولعله كان يخشى من وقوع

كارثة اخرى مثل كارثة احمد على قد تودى بالبقية الباقية من معنويات الانصـار •

فاقترح على احمد فضيل ان ينتقل بجيشه الى القضارف خصوصا بعد ان علم بسان

الانصار قد احدثوا باهل كسلا " كل التشويش من نهب رقيقهم واشيائهم "

وصل احمد فضيل الى القضارف بارباعه الاربعة ومعه قواده وهم فضل الحسنه ،

النور عنقرة ، محمد نور قور وعبد الله حامد ابى غليج ، ومعه حوالى ستة الاف

وخمسمائة من الجنود وحوالى اربعة الاف بندقية وكمية من الجبخانة • وادى تحول

الجيش الى اضعاف مركز كسلا لذلك طالب احمد فضيل بارسال رايات جديدة من

امدرمان راسا لان الرايات التى معه لن تقبل العودة الى كسلا " بالنظر لما شاهدوه

من ضيق معاشها " • فارسل الخليفة مائتين وخمسة وخمسين مجاهد فارتفع عدد

المجاهدين بكسلا الى حوالى الفين وسبعمائة • ولنا ان نسال عن الاسباب

التى ادت الى نقل كل الجيش الى القضارف وترك مركز كسلا مفتوحا فى الوقت الذى

كان فيه الخطر الايطالى يقترب بل ان الايطاليين قد احتلوا كسلا فى يوليو ١٨٩٤

(محرم ١٣١٢) . هل كان ذلك التحول نتيجة للظروف المعيشية فى كسلا ام

ان الخليفة احس بضعفه امام الايطاليين فتخلى لهم عن كسلا عنوة ؟ لعلهما السببان

معا ففيهما يكمن ضعف المهدية فى سنواتها الاخيرة هذه : الجوع والتحول

الاستعمارى .

ظلت مشكلة نقص المواد الغذائية تواجه دولة المهدية طوال السنوات الباقية

من عمرها . ورأى احمد فضيل ان اخذ الجهادية بالشدة فى هذا الصدد قد يدفعهم

للالتجاء بالحبشة او بالايطاليين فاستعان عليهم "بكثرة التذكير" . ورأى احمد فضيل

ان يتخذ عدة اجراءات لمواجهة انعدام الذرة . فطلب ارسال اربعمائة جمل

محملة بالذرة من القلعة رانج وذلك لصرفها على الجنود على ان يعتمد الانصار

المقيمين بالقضارف على زرعهم . كما طلب ارسال عبد القادر ابى سن وولد زايد

من امدرمان ليساعدا فى عملية الزراعة [٥] . وكان الاجراء الثالث ان يقوم بحدة

---

٥ احمد فضيل الى الخليفة ، شعبان ١٣١٢ ، مهدية ، ١/٢٠/٦/٤٤٦

غزوات لجلب الغذاء • ففي اخر عام ١٨٩٣ (منتصف ١٣١١) ارسل احمد فضيل حملة لغزو ثلاثة جهات في الحبشة هي " البرون " وجبل " تابو " و " الدنكسر " • وفي منتصف ١٨٩٥ (اخر ١٣٠٢) خرج فضل الحسنة قاصدا غزو بعض جهـات الحبشة ولكن هطول الامطار ادى الى عودته الى المركز • وتمثل الاجراء الرابع في ارسال مجموعات من الجهادية للاشراف على عملية الزراعة وحراستها • فارسل احمد فضيل بمائتين وعشرين من الانصار الى جهة الفاشر [6] ومعهم سبعون اردبا " تواريب " والحقها بثلاثة وثمانين اردبا اخرى عندما شاهد " وفرة الخريف " • وقسم اولئك المجاهدين بحيث تشرف كل مجموعة على زراعة ارض احد رؤساء الارباع اذ كان لكل قائد ربع زراعته الخاصة به • فكان من بينهم خمسة وعشرون جهاديا للاشراف على زراعة احمد فضيل [7] • وفي العام التالي ارسل مائتين وثمانين جهاديا

---

٦ مركز الفاشر هو مشرع على الضفة الغربية لخور القاش في قبالة كسلا • وقد اقامه الانصار بعد احتلال الايطاليين لكسلا • والفاشر تعني في اللهجة المحلية نوعا معينا من الارض هي الارض المرتفعة الصالحة للزراعة • وليس لهذه الفاشر اى صلة بالفاشر عاصمة دارفور • (هذه المعلومات مأخوذة من بعض اهالى المنطقة)

٧ احمد فضيل الى الخليفة ، ٩ محرم ١٣١٣ ، مهدية ، ١/ ٢٠/ ٢/ ٢٧١

للقيام بنفس العمل السابق • وبرر احمد فضيل اهتمامه الشديد بالزراعة لانهـــا " هي رأس الربح وعين الثمرة وفيها راحة الجيش بحصول موءونته الكفاية للتقوية بها على الجهاد وبالمثل مسألة الزراعة بالقضارف حاصل الاستعداد لها وجارى حث الاصحاب عليها " [٨] ويبدو ان سياسة احمد فضيل الزراعية قد حققت بعض النجاح اذ توفرت الذرة حتى بلغ الاردب في القضارف ريالا بل ان المزارعين " صاروا يطلبون الناس باخذ الغلال منهم بالدين •••• ولم يجدوا راغب في ذلك • " [٩] وشجعت تلك الوفرة الغذائية على انتشار قطاع الطرق الذين يعترضون المسافرين وينهبـــون ممتلكاتهم • فعين احمد فضيل دوريات للمناطق الخطرة • وتدل ظاهرة قطـــع الطريق هذه بالرغم من وفرة المحصول على سوء توزيع الذرة مما جعلها معدومــــة عند البعض •

وفي عام ١٨٩٨ (١٣١٦) والانصار يواجهون خطر الغزو الانجليزي ـ المصري من الشمال اخذت اسعار الذرة ترتفع نسبيا فبلغ الاردب بريالين فوشلي في القضارف

---

٨ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٦ الحجة ١٣١٣ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ١/ ١٣٦

٩ احمد فضيل الى الخليفة ، ٦ صفر ١٣١٢ ، مهدية ، ١/ ٢٠/ ٧/ ٢٨٣

وبريال ونصف فى مناطق الزراعة • وعندما اخذت جيوش كتشنر تتوغل داخل اراضى السودان بدأ الانصار ينفرون من الزراعة فارسل احمد فضيل مائتى جواد ي لمراقبة الزراعة على نهر عطبرة • وعند انتقال احمد فضيل بجيشه الى امدرمان طلب ارسال اعداد وافرة من الجمال الى القضارف لحمل الذرة لانها متوفرة هناك بينما " جهات السعر [حاصل بها] الضيق وصعوبة العيش وتعاليه فى الاسعار وعدم تيسيره •"[١٠]

وتمت فى تلك الفترة بعض التغييرات فى حدود المراكز وفى قيادات الارباع • فاخذت سبعة جهات من القضارف وضمت الى الجزيرة " لخدمة الانصار بالبقعة " ، واعيدت جهة " كركوج وتوابعها الثلاثه " الى القضارف • كما نقل المركز من التومات الى الجيرة لقربها من القضارف ولاهميتها الزراعية • كما انشأت مراكز جديدة فى العاشر واصبرى والمقطع على نهر عطبرة لمراقبة الايطاليين الذين احتلوا كسلا • واجرى احمد فضيل بعض التنقلات فى قيادات الارباع فعزل فضل لحميل من ربع الامدادية

---

١٠ - احمد فضيل الى عبد الرحمن احمد امين سوق القضارف ، ١٨ صفر ١٣١٣ ، مهدية ، ١ / ٢٦ / ٤ / ٣٢٣

وعين بدلا عنه عيسى كشوش • ونقل خاطر حمدان بريحه الى الفاشر وعزله فيما بعد ليحل محله عثمان الككر ثم محمد صالح عربى • وعزل حامد على من كسلا لسوء ادارته وتعديه على قوت الانصار • فقد استولى على مائة اردب من الذرة كانت مرسلة " لتقوية " الانصار • وجمع حامد على لنفسه ثروة كبيرة بلغت مائة وتسعة من الرقيق وثمانية واربعين وخمسة وسبعين من الاغنام وخمسة واربعين من الجمال وسبعة خيول وسبعة وثلاثين ريالا • لذلك تم عزله ووضع فى القضارف تحت المراقبة •[11]

وفى عام ١٨٩٦ (١٣١٤) اصبح امراء الارباع هم فضل الحصنه وعبد الله حامد وسعد الله عز الدين وعبد الرحمن البرجو وعيسى كشوش • ووزع الجيش فى المنطقة على المراكز كالاتى :[12]

٤٧٤٨ مع احمد فضيل

٢٥١٨ بالقضارف

٤٤٠ باصبرى

---

(١) احمد فضيل الى الخليفة ، ١٦ القعدة ١٣١٣ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ١/ ١١٤

(٢) احمد فضيل الى الخليفة ، ٥ ربيع اول ١٣١٤ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ٢/ ١٦٦

٢٨٢ بالفاشر

١٤٧ بالجبرة

٢٦١ بالقلابات

ولابد لنا ونحن نتعرض للاوضاع الداخلية فى هذه الفترة ان نختتم الحديث عن قبيلتى الشكرية والضبانية . ولعل اهم مايستحق الملاحظة ان دولة المهدية لصبحت تعتمد كثيرا على هاتين القبيلتين لتساهما فى عملية الزراعة . ولذلك طلب احمد فضيل ارجاع ولد زايد وعبد القادر ابو سن وطه ابوجن من امدرمان فورا عندما استدعاهم الخليفة " للمذاكرة"[١٣] . وبالرغم من خضوع الشكرية التام للمهدية الا انهم كانوا يخفون فى داخلهم تذمرا ورفضا للنظام . فقد قام عبد القادر ابو سن بالاتصال باحد الشكرية ويدعى حسب الله رحمة الله وكان مقيما بكسلا تحت حماية الايطاليين . واشتكى عبد القادر فى رسالته من سوء حالة قبيلته . ويبدو ان " الميجر هيدالقو" حاكم كسلا الايطالى قد اطلع على تلك الرسالة ، فاتصل بعبد القادر وعرض عليه حماية

---

١٣ احمد فضيل الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣١٢ ، مهدية ، ١/٢٠/٦/٢١١

حكومته وطلب منه ان يرحل باهله الى كسلا [١٤] • ويبدو ان عبد القادر قد تحايل على احمد فضيل وطلب منه ارسال بعض اعوانه كطلائع لكشف اخبار الايطاليين بكسلا بينما كان يهدف الى الاتصال بالايطاليين هناك [١٥] • ولكن تلك الاتصالات لم تثمر وظلت مجهولة لدى احمد فضيل تماما • فقد كان احمد فضيل مرتاحا لمسلك عبد القادر بل وصحب معه جعفر ابي سن في احدى غزواته تعبيرا عن تلك الثقة • وشهد منتصف عام ١٨٩٦ (مطلع عام ١٣١٤) وفاة عبد القادر ابي سن وخلفه جعفر ابو سن في زعامة القبيلة • وفي اغسطس من نفس العام (ربيع اول) توفى محمود عيسى زايد وخلفه عوض الكريم عيسى زايد • وقد شارك هذان الزعيمان الجديدان في الدفاع عن دولة المهدية ضد الخطر الاستعماري وسمح لهما الخليفة برفع راية للجهاد خاصة بكل منهما •

وشهدت تلك السنوات الاخيرة في عهد الخليفة انقسام قبيلة الشكرية بين

---

١٤ - المبجز عبد القو حاكم التاكا الى عبد القادر ابي سن ، ١٨٩٥ (٢٠ جماد اول ١٣١٣) مهدية ، ١/٣٤/٢/٢

١٥ - عبد القادر ابو سن الى الخليفة ، ٦ جماد اول ١٣١٣ ، مهدية ، ٢/٦/٥/٢١

رفاعة والقضارف انقساما واضحا • وكان راى عبد الرحيم ابو دقل ، عامل جهة القضـــارف ، ان الشكرية يجب ان ينضموا على رفاعة لا القضارف لانهم اصلا من جهة " الهـــوى " وانهم لايرغبون التبعية لجعفر " لتشوشهم من تتبعه ••• وكراهيتهم لجهة القضارف "[16] • ولكن الخليفة راى ان يكونوا تابعين لجعفر • واعترض عبد الله عوض الكريم ابو سن على قرار الخليفة بحجة ان الشكرية فى رفاعة " مالهم علاقه فى القضارف ولا سكنة ولاتبعية " وانهم قد انضموا عليه فى رفاعة " ومنهم المساعدة التامة ••• فى امر الدين وحفـــظ الجبهة ورغبتهم الاقامة مع اهلهم الموجودين هنا ورجوعهم للقضارف فى هذا الزمن فيـــه كبير ضرر لهم ومشقة "[17] • وهكذا انتهى عهد الخليفة والشكرية يعانون انقساما جغرافيا ، ويظهرون ولاءا ويخفون نفورا وتزمرا للنظام[18] •

---

١٦ عبد الرحيم ابو دقل الى الخليفة ، ٥ ربيع اول ١٣١٦ ، مهدية ، ٢/٢١/٧/١١٤

١٧ عبد الله عوض الكريم ابو سن الى الخليفة ، ٢٠ ربيع اول ١٣١٦ ، مهدية ، ٢/٢١/٧/١٦١

١٨ ولعل الشاعر الحاردلو قد عبر عن هذا الشعور فى قوله :

يا بابا النقس بالانجليز الفونا

وحدثت في تلك الفترة بعض الاحداث الصغيرة التي تعكس تدهور الاوضاع الداخلية لدولة المهدية وهي تعيش السنوات الاخيرة من عمرها . منها محاولة تغيير العملة . فقد كانت المعاملات التجارية من جهة ولد مدني وحتى كركوج والقضارف والقلابات تتم بالريال القوشلي . وفي عام ١٨٩٧ (١٣١٤ / ١٥) امر الخليفة بعدم استعمال الريال القوشلي وان يستبدل بالريال المجيدي . وادى ذلك الاجراء الى توقف التعامل التجاري " وتعسر الضروريات على الناس " . وقد اتخذ الخليفة ذلك الاجراء لتعدد انواع الريال القوشلي ولكثرة استعماله حتى اصبح مطموس المعالم [١٩] . ولكن احمد فضيل رأى ان يستعمل الريال المجيدي في امدرمان ويترك استعمال القوشلي في بقية المناطق . ويبدو ان الخليفة وافق على رأي احمد فضيل . الا ان ذلك الاجراء يعكس ضعفا في النظام الاقتصادي . فالدولة غير قادرة على اصدار عملة مقبولة للناس وغير قادرة على فرض عملة معينة

---

١٩ . احمد فضيل الى الخليفة ، ٨ شوال ١٣١٥ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ٣/ ٦٦

يقبلها الناس مما جعلهم يدخلون اى عملة يرونها مناسبة دون خشية من النظـــام الحاكم • ولم يقتصر تزعزع الثقة فى العملة فحسب بل انعكس فى مظاهر اخرى اهمها هروب امراء الرايات من قياداتهم • فقد هرب ثلاثة من الامراء من القضارف بعد ان باعوا " عيوشهم " وحملوا عوائلهم • بل ان بعض الامراء لخلوا منازلهم من العوائل استعدادا للتشتت فى انحاء البلاد فى حالة انهيار النظام الحاكم • واخذت القضارف نفسها تستقبل مجموعات من الانصار هاربين من امدرمان عندما اخذت تقترب منهـــا جيوش كتشنر [٢٠] • وقد وصل فقدان الثقة مرحلة جعلت النور عنقرة يطالب بعــودة احمد فضيل الى القضارف والبقاء بها حتى يبعث الرهبة فى الاعداء والثقة للانصــار • واقترح الخليفة بناء حصن حول القضارف لحماية الاهالى وبعث الطمأنينة فى نفوسهم • كما امر الخليفة باغلاق سوق القضارف من العصر حتى لايصبح مسرحا للجواسيس واللصوص بالليل • ويمكننا ان نلاحظ ان الاختلاسات بدأت تأخذ طريقها فى هذه الفـترة الى قلب النظام • فقد اعتقل اسماعيل عبودى امين بيت المال القضارف لاختلاسه

---

٢٠ • احمد فضيل الى الخليفة ، ١٩ ربيع أول ١٣١٦ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ٤/ ٣٤٠

سبعمائة ريال من امانته [٢١] .

وعانت المهدية في هذه الفترة نقصا في القوى البشرية المحاربة . ولاشك ان كثرة الحروبات وامتداد المجاعة عبر سنوات عديدة وتسلل الجهادية قد ادى الى ذلك النقص . ويبدو ان الدولة اصبحت تعتمد على تجنيد كل افراد القبائل مع استمرار اعتمادها على البقارة وخاصة التعايشة . وقد حوت كل الكشوفات الخاصة بالجيش في عام ١٨٩٥ (١٣١٣) الى عام ١٨٩٧ (١٣١٥) فرقا جديدة في الجيش هم الخماسي والسداسي وهؤلاء صبية صغار كانوا يخافون للجيش ولغالبهم من ابناء التعايشة . فاذا وصلت الدولة مرحلة تجنيد الصبية في سن خمسة عشر وستة عشر سنة فان هذا يعكس بعض نواحي ضعفها [٢٢] .

ولاشك ان تحركات احمد فضيل المستمرة ـ اما منفردا او بجيشه ـ قد ساهمت بدورها في اضعاف الادارة الداخلية في هذه المنطقة . وكانت تلك

---

٢١ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٠ رجب ١٣١٣ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ١/ ٨٨

٢٢ هناك عدد من هذه الكشوفات ولكن اهمها ،

مهدية ، ١/ ٢١/ ١

التحركات تمليها الظروف الحربية واحتياجات الدفاع والتشاور مع الخليفة في الاخطار
الخارجية المتجددة • ففي يونية عام ١٨٩٤ (محرم ١٣١٢) ، عشية الاحتـــلال
الايطالي لكسلا ، غادر احمد فضيل القضارف الى امدرمان ولكنه عاد في الشهر
التالي ليواجه اي تطورات قد تنشأ عن احتلال كسلا • وبعد شهر من عودتـــه
رجع ثانية الى " البقعة " ويبدو ان تلك الرحلة كانت للتشاور في كيفية تلافي
الخطر الايطالي ، وربما لجهد لتهدئة الاحوال بين احمد فضيل والنور عنقرة • وفي يوليو
عام ١٨٩٥ (صفر ١٣١٣) قام احمد فضيل برحلته الثالثة الى امدرمان وفي نفس الوقت
من العام التالي قام برحلة رابعة الى رحاب الخليفة • وفي طريق عودته الـــى
القضارف استدعاه الخليفة الى امدرمان لمواجهة الزحف الاستعماري الذي بدأ بقيادة
كتشنر • وعاد احمد فضيل بجيشه ليبقى برفاعة على اهبة الاستعداد اذ ان امدرمان
لم تكن تحتمل جيشه باكمله • وفي اغسطس ١٨٩٧ (ربيع ثاني ١٣١٥) تحـــرك
احمد فضيل بجيشه الى المسلمية وبقى بها حتى يناير ١٨٩٨ (رمضان ١٣١٥) وكان
ذلك الاجراء قد اتخذ لمواجهة اي تطورات قد تنشأ من معركة عطبرة • وفي
فبراير (شوال) عاد احمد فضيل الى القضارف بعد هزيمة الانصار في معركـــة

عطبرة • وفي يوليو (ربيع اول ١٣٢٦) غادر احمد فضيل القضارف بكل جيشه الى امدرمان لتدعيم موقف الخليفة •

من الواضح ان احمد فضيل لم يمكث بالقضارف طويلا وحتى عند بقائه بها كان مشغولا بقضايا هامة على مستوى الدولة ككل فلا غرابة • اذا تدهورت الاوضاع الداخلية ولحق بالناس الكثير من الظلم والتعدى على حقوقهم [23] ويمكننا ان نخلص الى القول بان عهد احمد فضيل شهد طغيان الاحداث الخارجية والخطر الاستعمارى على الاحداث الداخلية ولذلك كان عهده عهد تدهور داخلي وفقدان للثقة لحكم المهدية •

الصراع بين دولة المهدية والايطاليين

لاشك ان احتلال الايطاليين لكسلا فى يوليو ١٨٩٤ (محرم ١٣١٢) قد فتح جبهة جديدة كان على المهدية مواجهتها مما استنزف قدرا من طاقاتها الحربية • فقد

---

٢٣ عبد الرحيم البرجو الى الخليفة ، ١٥ رمضان ١٣١٥ ، مهدية ، ٢/ ٢٨/ ٩/ ٢٠٤ـ٢٠٥

قام الايطاليون بغزو كسلا والاستيلاء عليها وحرقها وهرب مساعد قيدوم من المعركة حتى لقبه الخليفة " بحليمة " . ولم يكن الانصار على يقين من امر الايطاليين ان كانوا ينوون الاقامة بكسلا او العودة [٢٤] . ولذلك طلب الخليفة من احمد فضيل اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة وان يكون على حذر من مكر " الايطاليين والعربان المنافقين "، فقام احمد فضيل بارسال عمر محمد الشيخ مع خمسين جهاديا للاقامة بالفاشر " لرصد اخبار الاعداء " ، كما عين عددا من المجاهدين " للاقامة .... بالطرق الداخلة على مركز القضارف من بحري ومن قبلي " . ورتب عددا من الدوريات لتمر من التومات حتى الفاشر ودوريات اخرى من الفاشر الى جهة اصبرى على ان تتعاقب هذه الدوريات يوميا . ولاهمية نقطة الفاشر لانها " موالية لكسلة " ارسل احمد فضيل احد عشر راية بقيادة كويس النور لتعزيزها . واصطدمت تلك الرايات باربعة " قلعات " للايطاليين في الملوية . فهاجم الانصار الايطاليين و "وهنوهم قتلا واثخنوهم طعنا وضربا " وقتل في تلك المعركة القائد الايطالي هرودة [٢٥] . ويبدو ان

---

٢٤ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٣ صفر ١٣١٢ ، مهدية ، ١/٢٠/٦/١١٢

٢٥ اليشاري اسحق الى احمد فضيل ، ٧ جماد اخر ١٣١٢ ، مهدية ، ١/٣٠/٦/١٦٢

الايطاليين تهيبوا الخروج من تحصيناتهم فى كسلا بعد تلك الواقعة .

وفى ابريل ١٨٩٥ (شوال ١٣١٢) قرر احمد فضيل ان يغزو جهة كسلا قبل

أن يرتفع نهر عطبرة فيحول بين الانصار و " جهة المعادى " اذ ان بقاء الجيش

بالقضارف يؤدي الى " تضايق بالمعاش ولزوماته الضرورية بالمركز لانه خيــ

وبيت مالة خالى " . ويقترح احمد فضيل غزو المنطقة " الوسطانية بالصعيد مابين

بحر اتبرة ... وبحر النيل الازرق ... (اذ) فيها حلالات معتاد ضربها ....

وهى جهة دنكر وجهة القنجارة " وبها من الغنائم مايساعد الجيش على تحمل فترة

الخريف [٢٦] . واستعدادا لتلك الغزوة استدعى احمد فضيل رايات خاطر حمدان

من الفاشر على ان يعيد تقوية مركز الفاشر والمراكز الاخرى بعد انتهاء فصل الخريف .

لقد تحولت جيوش المهدية الى مجموعات مقاتلة تبحث عن قوتها فى مختلف

الاتجاهات . ويتضح كذلك الاستفادة من العوامل الجغرافية اذ تسحب الجيوش

---

٢٦ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٢ شوال ١٣١٢ ، مهدية ١/٢٠/٦/٢٣٥

ن المراكز فى زمن الخريف ويعاد تقويتها بعد انتهائه لمواجهة اى هجوم مرتقب •
وفعلا بعد انتهاء الخريف ارسل احمد فضيل ثلاث عشرة راية الى القاشر وتسع
رايات الى مشرع الشقراب ومائة وثلاثة واربعين جهاديا بقيادة عبد الرحيم
ابو دقل الى الحيرى •

وفى مارس ١٨٩٦ (شوال ١٣١٢) حدث تطور سياسى هام فى تلك المنطقة
عندما استطاع الحبش هزيمة الايطاليين فى معركة عدوة • ولم تغب اهمية ذلك
الحدث على انتباه الانصار فقد وصلت اخباره الى الانصار عن طريق جواسيسهم
من الجبرتة • وعلم احمد فضيل كيف صار الايطاليون " فى وهن وخيبة وقلة جموعهم
بكسلة " [٢٧] • فرأى ان يغتنم فرصة انشغال الايطاليين بالحرب مع الحبشة ويقوم
بغزو كسلا واعادتها • وتردد الخليفة كثيرا قبل ان يأذن بتلك الغزوة خوفا من
وقوع كارثة حربية اخرى قد تؤثر على نظامه باكمله [٢٨] • وعندما علم الايطاليون

---

٢٧ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٠ رجب ١٣١٣ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ١/ ١١

٢٨ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٠ شعبان ١٣١٣ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ١/ ٢٨

بتحرك الانصار قاموا بتعزيز كسلا فارسلوا كميات وافرة من المؤن والذخيرة و ٢٥٠٠ جنديا بقيادة الكولنيل استفاني • وفي ٢ ابريل (١٨ شوال) خرج الايطاليون من تحصيناتهم وهاجموا الانصار فتراجع احمد فضيل الى تكروف بخسارة اربعمائة رجل • وفي اليوم التالي هزم احمد فضيل وفقد ثمانمائة رجل اخرين وانسحب من المعركة •[29] ولكن احمد فضيل لم يعط وصفا صادقا للمعركة فقد ذكر للخليفة بانه هزم الايطاليين حتى تراجعوا لكسلا وصاروا " يرموا جللهم من بطن زريبة الديم ••• ويأتي منهما اعدام الخيول " • كما ذكر ان جبخانة الانصار فرغت منهم مع العلم بأن كل جندي معه سبع لبستة منها • وهذا ما جعله ينسحب من المعركة ويتراجع الى نهر عطبرة •[30] ومن هناك سار الى القضارف حسب تعليمات الخليفة ثم قام بتقوية المراكز المواجهة للايطاليين فارجع عبد الرحيم ابي دقل ومعه ست عشرة راية وعشرون صندوقا من الجبخانة الى الصبري وارسل حامد علي بربع الجعليين والدناقلة وعشرين صندوقا

---

٢٩ شقير ، ص ١١٩٥

٣٠ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٤ شوال ١٣١٣ ، مهدية ، ١/ ٣١/ ١/ ١٠٢

جبخانة الى الفاشر • كما رأى حراسة "المقطع" بالدوريات "الوقتية المتصلة كل دورية تتسلم من المتقدمة لها الى ان يمتلئ البحر" • ورأى ان تلك الاحتياطات كافية " لان البحر دخله النقص" [٢١] • ويتضح من تلك الاجراءات ان احمد فضيل قد هزم فعلا في تكروف وانه اتخذ تلك الاحتياطات لاحتمال تقدم الايطاليين •

وشهدت الاشهر التالية نشاطا حربيا ملحوظا من جانب الانصار ومن جانب الايطاليين ايضا • فقد قام احمد فضيل بحملة توغل بها داخل ارتريا • وكانت تلك الحملة بتوجيه من الخليفة الذي رأى ان مهاجمة الايطاليين في ضواحي كسلا واخضاع القبائل الموالية لهم سيجعل بقاءهم في كسلا امرا صعبا وسيخفف من ضغطهم على المراكز الحربية على نهر عطبرة • فارسل الى احمد فضيل ثلاثمائة صندوق من الجبخانة بقد ومدفعين • وفي ديسمبر ١٨٩٦ (رجب ١٣١٤) تحرك الجيش من القضارف قاصدا النومات ومنها عبر نهر عطبرة وسار محازيا لنهر سيتيت حتى مشرع الحجار الزرق حتى وصل الجيرة • وهناك تأكد لاحمد فضيل ان الانصار لم

---

٢١ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٠ القعدة ١٣١٣ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ١/ ١٠٨

يتمكنوا من التسلل والرجوع الى القضارف فصرف لكل مجاهد سبع بوستجبخانــــة .

ثم اتجه الجيش الى سرف ميتيت حتى وصل " حلال العبيد البازه محل الزرع"[٣٢]

في " امديب " - بين كسلا والقردات - دارت معركة مع القبائل المتعاونة مـــع

الايطاليين وكانت بقيادة علي نورين . وبعد هزيمة " العربان " بقي الجيش ثلاثة

ايام قضاها في " شن الغارات بالخيول واهل السلاح على الجهات وتخريبها "

ومارس الجيش نفس الاعمال الحربية في " مقريب " وظل في مسيره حتى سرف

الفيل " صعيد نسلة " . وقد بلغت جملة القرى التي هاجمها الجيش منذ خروجه

من بحر سيتيت اثنين وثمانين قرية مفرقة في عشر مناطق[٣٣] . وعندما وصل الجيش

الى سرف الفيل وجد عليه حراسة من خمسين شخصا بقيادة حسب الله ولد رحمة

الله الشكري فهاجمهم الانصار وواصلوا مسيرهم الى كسلا . وكان بها " اربعـــة

طليان والكبانية بها مائة نفر " . ولم يشعر الايطاليين بقدوم الانصار " لداعي قطع

---

٣٢ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٩ رجب ١٣١٤ ، مهدية ١/ ٢١/ ٢/ ٢١١

٣٣ احمد فضيل الى الخليفة ، غاية شعبان ١٣١٤ ، مهدية ١/ ٢١/ ٢/ ٢١٥

السلك " وقفل الطريق امام الجواسيس . وظلوا يتحصنون بكسلا ولم يخرجوا لملاقاة الانصار . ولهذا السبب ولفراغ الزاد وخشية من تسلل الجهادية لجهات البحر باسباع الجوع " قرر احمد فضيل العودة الى القضارف . ولعل السبب الاهم انه كان يخشى من هزيمة كالتى لحقت به من جراء مهاجمة الايطاليين فى تحصيناتهم[٣٤] وبلغت غنائم الانصار من تلك الغزوة مائة جمل وسبعمائة من الاغنام ومائتى بقرة واثنتى عشرة من الخيل ومائة من الرقيق وبلغ الخمس الخاص بالخليفة مائة وخمس وثمانين من الابقار . وفقد الانصار ثمانى شهداء فى كل المعارك[٣٥] .

وكانت عودة احمد فضيل الى القضارف بدون اذن من الخليفة وهذا يخالف التقاليد المتبعة فى المهدية . ولذلك راى ان يقوم بغزوة اخرى حتى لاتبدو عودته وكانها خوفا من الحرب . وذكر للخليفة ان تلك الجهات لم تكن معروفة من

---

٣٤ احمد فضيل الى الخليفة ، ٣ رمضان ١٣١٤ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ٢/ ٢١٧

٣٥ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٧ رمضان ١٣١٤ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ٢/ ٢٢٤

قبل للانصار واما الان فانهم صاروا فيها خبراء " والدرب فاتح " • كما ان الجيش لم يمسه ضرر من الغزوة السابقة • والذرة اصبحت شحيحة بالقضارف كما ان ارتفاع نصيب الانصارى في الغنيمة سيصبح حافزا قويا [٣٦] • وبالرغم من تعدد الاسباب التى اوردها احمد فضيل الا انها تتناقض مع ماذكره من قبل من قلة المعاش بجهات كسلا • ولعل الخليفة احس بضعف تلك الحجج فرفض خروج الجيش للغزو • وانشغل بعدها الخليفة بالخطر الزاحف من الشمال • وهكذا انتهت مجهودات احمد فضيل الحربية ضد الايطاليين دون ان تغير من الوضع الحربي في المنطقة ودون ان تحدث اى اثار سياسية •

اما مجهودات الايطاليين الحربية فقد تركزت في الهجوم على النقاط الحربية التى اقامها الانصار على نهر عطبرة وبالذات مركز اصبرى لانه اهمها اذ يسيطر على الطريق الى البطانة والقضارف • ففي يونية ١٨٩٦ (مطلع عام ١٣١٤) هجم الايطاليون على مشرع المقطع بعد ان عبروا البحر سباحة • وبما ان الانصار لايعرفون

---

٣٦ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٥ رمضان ١٣١٤ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ١/ ٢٢٢

السباحة - فاغلبهم من الغرب - فلم يتمكنوا من اللحاق بهم وضربهم ولذلك
طلب قائد المنطقة مده بالمراكب • وبعد اسبوع من تلك الحادثة هاجم الايطاليون
مركز اصبرى وظلوا يمطرونه بالرصاص من الشاطئ الشرقي دون ان يتمكن الانصار من
العبور اليهم لامتلاء النهر • واحس عبد الرحيم ابو دقل بضعف موقفه اذ كان معه
مائة وخمسون رجلا مقاتلا فقط فاستغاث باحمد فضيل طالبا " النجدة النجدة " •
اما الايطاليون فقد اعادوا هجومهم مرتين متتاليتين بالرغم من وجود دوريات كانت
تمر على الشاطئ الغربى • وعندما بدأ النهر في الانحسار زادت خطورة الموقف اذ
كان بامكان الايطاليين العبور الى الضفة الغربية ومهاجمة اى من المراكز المنتشرة عليه •
فارسل احمد فضيل الرايات " اللازمة " لتعزيز الموقف في اصبرى والفاشر [٣٧] • وفي
يناير ١٨٩٧ (رجب ١٣١٤) هجم الايطاليون على مركز اصبرى ودارت معركة
عنيفة استمرت ثلاثة ايام استولى بعدها الايطاليون على شاطئ النهر الغربى • وظل
الانصار داخل تحصيناتهم والمعركة دائرة • وبعد اسبوع نفذت جبخانة الانصار

---

٣٧ عبد الرحيم ابو دقل الى الخليفة ، ٦ جماد أول ١٣١٤ ، مهدية ، ٢/٢٢/٥/٥٠

فاضطر ابو دقل للتراجع الى الصفية بعد ان فقد احد عشر شهيدا وجرح من جماعته خمس وثلاثون واستولى الايطاليون على اصبرى [٣٨] • ثم قاموا بتعزيز مواقعهم فـــى اصبرى بان حضروا فى اعداد جديدة " اكثر مما كانوا به " كما انهم " مشتغلين ... بالبناء اللازم للاقامة " • ولكن ابو دقل ظل يجهل نواياهم " ان كانوا متوجهـين للقضارف ام قاصدين اعمال نقط على شاطىء بحر اتبرة بمحلات معلومة لديهم" [٣٩]

ولعل الخليفة ادرك ان نشاط الايطاليين المتزايد فى الشرق كان الغرض منـــه شغل الانصار حربيا حتى تسهل مهمة الجيوش الغازية من الشمال • ولذلك راى ضرورة الاهتمام بمركزى اصبرى والفاشر حتى لاتصبحا منافذ للتسلل الايطالى ، بل ورأى ضرورة استعادة اصبرى • ولكن احمد فضيل اعترض على تلك الخطوة خوفا مـــن ان يتسلل الانصار وينضموا الى الاعداء فيعلم الاعداء " بحالة ضعفهم بعد التسلل" واقترح اما ان يقوم الجيش باكمله الى اصبرى والفاشر او يرسل ربع عبد الرحيـــم

---

٣٨ عبد الرحيم ابو دقل الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣١٥ ، مهدية ، ٢/٦/١١/٣٢

٣٩ عبد الرحيم ابو دقل الى الخليفة ، ٢٧ شعبان ١٣١٥ ، مهدية ، ٢/٦/١١/٣٠

البرجو بأكمله الى هناك • ولكن الخليفة رأى ان تلك الخطوة تخدم أغراض الاوربيين تماما ورأى ان يرسل بعض الخيالة من السرية وان يعود ابو دقل الى الصبرى مع بعض التعزيزات • ورأى كذلك بدلا من ارسال خبراء من الجيش ان ترسل دوريات تسير بين القاشر والصبرى ليصبح نهر عطبرة تحت " الاستكشاف المستمر" [٤٠] • وشغل الخليفة بالخطر الذى اخذ يشتد من الشمال فامر ابو دقل بالانسحاب الى رفاعة ليكون بالقرب من امدرمان • وهكذا انتهت علاقة الدولة المهدية بالوجود الايطالى فى كسلا – حتى استولى عليها الانجليز – وكانت كفتهم دائما راجحة فى المعارك الحربية • وقد انهكوا من قدرات الدولة المهدية فى تلك الجبهة ايما انهاك •

سياسة دولة المهدية تجاه الحبشة

تتلخص سياسة دولة المهدية تجاه الحبشة فى هذه الفترة فى ثلاثة اتجاهات رئيسية : حربية ، واقتصادية ، ودبلوماسية • اما الناحية الحربية فقد شهدت

---

٤٠ احمد فضيل الى الخليفة ، ٨ شوال ١٣١٥ ، مهدية ، ١/ ٢١/ ٣/ ٢٩٤

تدهورا عاما فى عهد احمد فضيل • وهذا التدهور هو امتداد للتدهور الـذى بدأ بعد معركة القلابات الكبرى واستمر بقية عهد الزاكى طمل واحمد على • ولعل ابرز مظاهر ذلك التدهور انتقال المركز العسكرى من القلابات الى القضارف • ويعكس ذلك التحول انصراف الدولة المهدية عن الحروبات الحبشية وتركيزها على الزراعـــة وعلى جبهتى كسلا والشمال • واصبحت القلابات مركزا عسكريا صغيرا به خمسمائـة جهادى بقيادة النور صلصم (غير الخليفة اسمه فيما بعد الى صلاح) ومعه عدد من الامراء المغمورين مثل حسن سعد النور وعمر ولد دوم وعيسى ولد ابو رابحـــة • وينعكس ذلك التدهور الحربى كذلك فى تحويل نقطة الجيرة الى التومات • ولذلك فالاعمال الحربية التى تمت فى هذه الفترة لاتعدو عن كونها مناوشات فى الحدود وبعض اعمال التجسس وبعض حركات الشفتة • وكان اولئك الشفتة مصدر ازعـــاج حتى لدولة الحبشة نفسها • لقد تحول النشاط فى هذه المنطقة الى اعمـــال اللصوصية بعد ان كانت مسرحا لمعارك هامة • ولعل انتصار الحبش على الايطاليين قد اعطى الحبشة وضعا حربيا متفوقا وساعد بذلك فى حسم الصراع بين الدولتين •

على ان ذلك التدهور العسكرى لم يصرف الانظار عن تتبع اخبار الحبـــش

والتجسس على تحركاتهم [٤١] • وكان للانصار بعض الجواسيس داخل الحبشة من بعض القبائل التي كانت تنظر صوب المهدية ترغب في ان تستظل بظلها • ولعل الجبرتة هم اهم تلك القواعد • وكان للجبرتة راية في جيوش المهدية منذ بداية الثورة واستمرت طوال عهد المهدية تنتقل من القور فقرا الى عمر احمد خوجلي وغيرهما • وظل الجبرتة ينقلون للانصار اخبار الحبش بانتظام حتى اضطر منليك الى حربهم • وارسل الانصار الشيخ حسين الجبرتي الى شلقة حاملا معه الامان لاهلها وذلك بغرض افساد مشاريع منليك لضم اهالي تلك المنطقة الى صفه لاستغلالهم في ازعاج حدود الانصار [٤٢] •

وظل الانصار يهتمون باخبار الحبش فقد كانوا دائما في شك من نواياهم وهم في نظرهم دائما " اعداء الله ولا يؤمن لهم عاقبة كونهم مبطنين بالمكر " • وشعر الانصار بارتياح شديد عندما اشتد الصراع بين الحبش والايطاليين فيما فسي

---

٤١) مكين علي الى احمد فضيل ، ٨ شعبان ١٣١١ ، مهدية ٢، ٣٥/ ١٩/ ٢٢٢

٤٢) النور صلعه الى فضل الحسنه ، ١٩ ربيع آخر ١٣١٢ ، مهدية ١، /١/ ٤/ ٦٤

نظر الانصار اعداء الله . وعندما انتصر الحبش على الايطاليين " قاتلهم اللـــه " معا لم يهدأ خاطر الانصار وربما اعتقدوا بتقدم الحبش الى القلابات . فارسل احمد فضيل ربعى عبد الرحيم البرجو وسعد الله عز الدين ولكن الحبش قبعوا فى مكانهم وتلاشت مخاوف الانصار [٤٣] .

اما النشاط التجارى فقد اصبح يمثل عنصرا هاما فى علاقة الدولتين ولم تكن العلاقة التجارية بين المهدية والحبشة تتأثر بالظروف الحربية بل ظلت تســـير دائما فى مجراها الطبيعى وظل " النقادية واردين بحالة اطمئنان وهم لا لهـــم تعلق بالحرابة ومن عوايدهم السابقة ان الحرابة تكون دايرة مابين الانصـــــار والمكادة وهم يحضروا يبيعوا ويشتروا " [٤٤] . وفى السنوات الاخيرة هذه اصبـــح النشاط التجارى يحتل حيزا كبيرا فى تلك المنطقة . ولعل خير مايعبر عن سيادة الناحية التجارية هذه ماكتبه حاكم شلقا الى النور صالح قائلا " ونحن طالبين عمـــار

---

٤٣ محمد فرح الى الخليفة ١٩ شوال ١٣١٣ ، مهدية ، ١/٢٦/١٠/١٢٨

٤٤ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٢ شوال ١٣١٢ ، مهدية ، ١/٢٠/٦/٢٢٣

السوق وعمار البلد بالمشورة معكم ونحن نهنا تنبيه للتقادية بالنزول وانتم كمـذا تنده تنبيه وتعطوهم امان الله وامان رسوله ." [٤٥] ويبدو ان اعطاء الامان للتقاديـة كان من الضروريات اللازمة لاستمرار التجارة . فقد كانوا يحضرون احيانا الى القلابات بجزء من بضاعتهم لانهم غير مطمئنين على مستقبلها . ولم يتردد الانصار فى تأمين التقادية وتأمين بضاعتهم . ولعل الحبش لم يكونوا اقل حرصا من الانصار على استمرار تلك التجارة . وكثيرا ماكانوا يرسلون الهدايا الى امراء الانصار والى الخليفة تعبيرا عن شعورهم الودى حتى لايعترض الانصار على عملية التبادل التجاري . بل لجا الحبش ، وتبعهم الانصار فيما بعد ، الى اعطاء التجار الذين كانوا يتنقلون عبر الحدود اوراقا تثبت هويتهم التجارية حتى لايتهموا بالتجسس . واحيانا كانت تشك سلطات البلدين فى بعض التجار فكانوا يضعونهم "تحت النظر اشبه بحبس عين" [٤٦] .

ونتيجة لتلك المجهودات فقد انتعشت التجارة فى القلابات واصبح "المكادة طالعين

---

٤٥ حاكم شلقا الى النور صلحه ، ١٨٩٤ (غرة جماد اول ١٣١٢) ، مهدية ١/ ٣٤/ ٦/ ٢٠٠٤

٤٦ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٠ صفر ١٣١٢ ، مهدية ، ١/ ٢٠/ ٦/ ٢٤٢

نازلين " بل ان بعضهم كان يأتى من صبوع ومن " اقصا ديارهم من لم يسبق لــه وصول للقلابات كلية حتى فى زمن الكفرة وكذا من سبق حضوره وانقطع المنتين العديدة " • وحتى التومات التى لم تعرف من قبل كمركز تجارى اصبح يسرد اليها النقادية باعداد كبيرة اذ وصلها فى شهر واحد ثمان وثمانون تاجرا[٤٧] •

واصبحت زريبة القلابات سوقا تجاريا نشطا ودار صراع بين عدد من العمال حول الاشراف على تلك الزريبة لان الاشراف عليها كان مصدرا للثروة والنفوذ • واخيرا ولى امرها الى يوسف سليمان وادم الجزولى ولعل هذه الادارة الثنائية كانت بغرض تفادى التلاعب باموال الزريبة • وتقاضت دولة المهدية من النقادية العشور على بضائعهم واحيانا كانت تلك العشور تزيد قليلا • وبلغت ايرادات العشور فى تلك الفترة مبالغ طائلة • ففى فبراير ١٨٩٨ (رمضان ١٣١٥) بلغت خمسمائة ريال ، وبعد شهر من الف ريال وفى الشهر التالى بلغت الف وخمسمائة ريال وفى نهاية نفس الشهر كانت الف ريال اخرى • وقد ادت تلك الايرادات الطائلة الى ان يفكر الخليفة فــى

---

٤٧ يوسف سليمان وادم الجزولى الخليفة ، ١٢ القعدة ١٣١٥ ، مهدية ، ١/ ٢٦/ ٢/ ٣٢٦

الدخول في عملية التجارة وذلك باستخدام رؤوس اموال لجلب بضائع من الحبشـــة وبيحريا • وسارت الاجراءات لتنفيذ تلك الخطوة في سرية تامة وظل المندوبون من الخليفة " يتصلون بالنقادية سرا ٤٨ • ولعل انشغال الخليفة بالزحف البريطاني فـي ذلك العام ادى الى توقف تلك المساعي •

وكانت اهم البضائع التي ترد الى القلابات الاقمشة مثل الدمورية والمرمر والزراق والدبلان والولاية والجاوة • وكانت الدمورية والمرمر اكثرها انتشارا ، ويأتي البن في المرتبة الثانية اذ يصل الوارد منه في العام الى عشرات القناطير • ثم يأتي العسـل بعد ذلك • وكان من ضمن الواردات بعض الكماليات مثل العطور والفناجـــين وغيرهما • اما الحيوانات الواردة فاهمها الخيول والحمير • اما صادرات القلابـــات فقليلة اهمها الابقار وبعض المنتجات الزراعية •

وادى انتعاش الحركة التجارية الى انتشار النهب ــ قطاع الطرق ــ في تلك المنطقة • واضطر الحبش الى اقامة دوريات في الطرق لحراسة القوافل التجاريــة •

---

٤٨ المصدر السابق

وتحدى نشاط الشفتة القوافل واصبحوا يهاجمون القرى فى كل من البلدين مثل هجومهم على التومات • وحدث ان نهبوا قافلة بها مبلغ ثمانمائة ريال • واشتهر " كدانا مريم " كاخطر اولئك الشفتة فى تلك المنطقة ، وكان مصدر ازعاج اكبر للحبش انفسهم • وبالرغم من ان نشاط الشفتة قد ادى الى عرقلة الحركة التجارية الا انه كان مظهرا لانتعاش تلك الحركة وازدحام الطرقات بالقوافل •

وتطورت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى هذه الفترة تطورا ملحوظا • وكان لتدهور الاحوال الداخلية فى دولة المهدية وتزايد الخطر الخارجى اثره على الخليفة اذ تنازل كثيرا عن التشدد المذهبى الذى كان سمة لعلاقته بالحبشة فى الفترات الاولى من حكمه • فشهدت السنوات الاخيرة من عهده محاولات جادة لاقامة نوع من السلم اوقل الصلح مع الحبشة • فنشطت حركة الوفود التى كانت تروح وتغدو بين الخليفة والنقس • على ان الحبش كانوا اكثر وعيا بضرورة احلال السلم خصوصا قبيل صدامهم وبعد انتصارهم على الايطاليين •

وبدأت تلك المفاوضات برسول من قبل منليك يدعى محمد الطيب الجبرتى جاء

يحمل رسالة شفهية الى الخليفة فيها عرضا للصلح . وغادر محمد الطيب بلاط منليك في يوليو ١٨٩٥ (صفر ١٣١٣) بعد ان قابل منقشا (ابن يوحنا) . واعاد الخليفة رسول منليك اليه بوسالة يطلب فيها من منليك ان يحرر مكاتبة رسمية بختمه " بالتماس ذلك (السلم) للنظر فيها "[٤٩] . ويبدو ان محمد الطيب مرض في الطريق ولم يتمكن من مقابلة منليك فيرا وفي ذلك الاثناء انتصر منليك على الايطاليين[٥٠] . فارسل الراس بتوادد منقشا رسالة سريعة الى الخليفة نيابة عن منليك جاء فيها " والان فان الامبراطور يرغب في السلام والعلاقات الاخوية ومن الارجح ان تكتب له حالا خطابا وديا "[٥١] . واتبعها منليك برسالة من عنده

---

٤٩ الخليفة الى منليك ، ١٣ صفر ١٣١٣ ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١٢/ ٢٢

يرى هولت ان هذه الرسالة حادة النغمة . ولكن اذا قارنها مع رسائل الخليفة نرى فيها تنازلا كبيرا من جانبه .

Holt, The Mahdist State, pp. 196-7

٥٠ محمد الطيب الى احمد فضيل ، ١٣١٣ (بقية التاريخ غير مذكور) ، مهدية ٢/ ٤١/ ٨/ ٢٨

٥١ الراس بتوادد منقشا الى الخليفة ، ١٨٩٤ (١٣١٢) مهدية ، ١/ ٣٤/ ٦/ ٢١٩

حملوها رسولا خاصا يدعى الحاج احمد الجبرتى حتى يسمع الخليفة " كافة الكلام من لسانه " . يقول منليك فى تلك الرسالة الهامة " ومن جهتى انا احب الصلح والامان والمحبة كما (لخبرتكم) قبل الان .... والآن كذلك احب ان اعيش بالصلح والمحبة مع جيرانى الافريقيين ولا اريد معهم حرب ولا اكراه بل المحبة الصافية الحقيقية التى هى طيبة - احب ايضا ان اعيش بالمحبة مع الدول الذى بعيد من بلادنا -- ولكن العدو الذى يجى على من دون حق ارجعه بقوة ربنا -- ولا اريد ان افوت من حدود اثيوبية وادور خناقه مع الناس"[٥٢] وكتب يتوادد منقشا الى الخليفة مؤكدا ذلك المعنى قائلا " وارجو ان الفت نظرك لتكون على حذر من الانجليز الذى دخلوا دنقلا فى الشتاء ، ان عدوك عدونا وعدونا هو عدوك ونحن يدا واحد فى اتحاد متين . "[٥٣] .

فبعث الخليفة فى سبتمبر ١٨٩٦ (ربيع اخر ١٣١٤) وفدا برئاسة محمد عثمان حاج خالد ومعه عبد الرحمن الجبرتى ومحمد السنوسى وادم الجزولى وعبد الرحمن

---

٥٢ منليك الى الخليفة، ١٦ ابريل ١٨٩٦ (٣ القعدة ١٣٠٢) ، مهدية ١/ ٣٤/ ١٦/ ٢٢١

٥٣ يتوادد منقشا الى الخليفة ، ١٧ يوليو ١٨٩٦ (٦ صفر ١٣١٤) ، مهدية ١/ ١٢/ ٣٤/ ١٦/ ٢١٦

الملازمي والبشرى الجبرتي • وتحرك الوفد في ٢٧ اكتوبر (٢٠ جماد اول) من القضارف الى القلابات حيث تخلف بعض اعضائه • ثم ساروا الى شلقا وبعد نصف شهر وصلوا الى ليو (Liou) وهي عاصمة الراس منقشا • وهناك تأخر الوفد شهرا لمرض محمد عثمان حاج خالد وبعض مرافقيه وقد اكرم منقشا الوفد غاية الاكرام وسرور بقدومهم وهو في راى ولد حاج خالد " صاحب الاهتمام الاساسي في عقد الصلح ليوقف غارات الانصار " [٥٤] • وكانت البعثة تقابل في طريقها الى منليك في اديس ابابا بالحفاوة " حتى كلما مرينا على قطر يحتفلون كبراهم مسافات بالخيول والبغال ويحملوا عشنا من بوابينا على رؤسهم ويحملونا فوق على بهايمهم وبهايمنا يطلقوها سدا تمشي ••• " وعند وصول الوفد الى اديس ابابا قابله منليك " بعساكر الخاصة " • فسلم محمد عثمان خالد رسالة الخليفة الى الامبراطور •

وتختلف هذه الرسالة عن رسائل الخليفة السابقة في روحها وطريقة عرضها •

---

٥٤ محمد عثمان حاج خالد الى الخليفة ، ٢٧ جماد اخر ١٣١٤ ، مهدية ، ٢/٣٦/٧/٥

فالخليفة في تلك الرسالة يقبل مبدئيا العرض المقدم من منليك لعقد الصلح بينهما ولكن الخليفة ابدى تحفظات معينة • فهو يؤكد لمنليك بانه لاصلة له بالاوربيين وليس بينه وبينهم الا الحرب ، ويطلب من منليك ان يكون كذلك وان يمنع جميع الاوربيين من الدخول الى بلاده • فاذا وافق منليك على ذلك عليه ان يرسل شخصا من طرفه " لانعقاد الصلح " [٥٥] • فتلقى منليك الرسالة " بغاية السرور بالقبول والانشراح بجميع مقاصد خليفة المهدي وافق عليها موافقة الطباق الصحاح " [٥٦] • وكان منليك متحمسا لعقد الصلح ويرى ان الخلافات الدينية لاتهم كثيرا بل اقترح انشاء مواصلات منتظمة بين البلدين •

وقابلت البعثة قبل عودتها الراس منقشا ابن يوحنا وقابلت الراس عدار وعادت تحمل رسائل منهم جميعا الى الخليفة • وصحبتها كذلك بعثة سلام من منليك مكونة

---

[٥٥] الخليفة الى منليك ، ربيع اخر ١٣١٤ ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١٢/ ٢٤

[٥٦] محمد عثمان حاج خالد الى الخليفة ، ١٨ شوال ١٣١٤ ، مهدية ، ٢/ ٢٧/ ١٠/ ١٦٦

من عشرة اشخاص وفي ابريل ١٨٩٧ (نهاية شوال ١٣١٤) وصلت البعثتان الـى القضارف في طريقهما الى امدرمان • ورأى ولد حاج خالد ان تكرم بعثة منليـك بالمستوى اللائق فاقترح على الخليفة ان يذبح لها كل يوم " خروف " وفي فـي الطريق • كما رأى ان يتأخر بالبعثة حتى تصل الى امدرمان مع " عرضة العيد ••• ليرى (رئيسها) مايرغبه ويرهبه " • وفي مايو (مطلـع ذي الحجة) وصلت البعثة الى امدرمان وسلمت الرسائل الثلاثة •

وكان رد منليك على رسالة الخليفة واضحا • فذكر له انه لاتوجد بينـه وبين الاوربيين اى علاقة ماعدا التجارة والتى هي ضرورية للحبشة وللسودان معـا وان ايقافها سيكون اكثر ضررا للبلدين • واعرب عن استعداده لقبول اى شروط اخـرى وانه مستعد لتقديم اى مساعدة من مال وعتاد في حالة اى غزو اوربي على السودان [٥٧] • وجاء في رسالة منقشا " فالآن حيث صارت المحبة ستكون الامـر

---

٥٧ اقوال محمد عثمان حاج خالد التي ادلى بها للمخابرات البريطانية بعـد واقعة كررى ، ١٨٩٨ (١٣١٦) ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١٥/ ١٤٣ص١٥٠

ن الشر الذ ى فات " وابدى استعداده للتعاون مع الخليفة [٥٨] . وكتب السرادر

عدار قائلا " ونحن جميعا الاثيوبيين والسودانيين ابناء بلد واحد ... وارسلت

شر من توابعى ... لتاكيد المحبة وبعد هذا لجعل الطريق مفتوح لتسهيل المواصلات

بيننا " وبعث للخليفة بحصان وبغل كعنوان لتلك المحبة [٥٩] . على ان تلك البعثات

الودية لم تثمر عن عقد اى معاهدة بين البلدين [٦٠] . ولعل الغزو البريطانى قد

شغل الخليفة ولعله كذلك قد صرف منليك عن الخليفة .

وطلب الخليفة من منليك ان يعاونه فى اخضاع ولد تور الغورى حاكم بنى شنقول

الذ ى تمرد على سلطة الخليفة . فوجدها منليك فرصة ليزحف بحدوده غربا نحــو

---

٥٨ منقشا يوحنا الى الخليفة ، ١٣ سبتمبر ١٨٩٧ (١٠ رمضان ١٣١٤) ، مهدية ، ١/ ٣٤/ ١٦/ ٢٢٧

٥٩ تكلا هيمانوت الى الخليفة ، ١٨٩٧ (١٣١٥) ، مهدية ١/ ٣٤/ ١٦/ ٢٣٠

٦٠ يقول عبد الله حسين انه فى عام ١٨٩٧ ابرمت معاهدة بين منليك والخليفــة وهذا مالم يحدث بتاتا . راجع :

عبد الله حسين ، ص ٢٥١

النيل الازرق . كما ارسل حملة اخرى نحو النيل الابيض بغرض وقف الزحف الاوربي على النيل . وكتب للخليفة موضحا تلك الخطوة بقوله " اخبرك ان الاوربيين الموجودين حول النيل الابيض مع الانجليز قد خرجوا من الشرق والغرب وقصدوا ان يدخلوا بين بلادي وبلادك ... والآن امرت جيوشي ان يوصلوا الى النيل الابيض ولربما تسمع خبر من التجار اوغيرهم تفتكر في شيء اخر ولذلك كتبت اليك لكي تعرف القصد وانت من جهتك تحفظ ولا تدع الافرنج يدخلوا بيننا وتشدد لانه اذا دخلوا الافرنج في وسطنا يصير تعب عظيم لنا .... واذا كان يحضر عندك احد من الافرنج عابر طريق اعمل كل اجتهادك حتى تصرفه بالمحبة " .[61]

وعندما اخذت جيوش كتشنر تقترب من امدرمان بعث منليك برسالتين الى الخليفة يطلب منه ان يفتح عينيه من الاوربيين . كما ارسل له علما فرنسيا لكي

---

٦١ مهدية ، ١/ ٣٤/ ١٦/ ٢٥٩ . (هذه الرسالة بدون عنوان وبدون تاريخ ولكن من الواضح انها من منليك الى الخليفة وانها كتبت حوالي ١٨٩٧-١٣١٥) .

يرفعه في حدوده اذا هاجمه الانجليز • ولكن الخليفة رفض رفع العلم واعاده
٦٢
مع محمد الطيب الى مليك •

نهاية دولة المهدية في منطقة القضارف ـ القلابات

عندما احتل كتشنر دنقلا طلب الخليفة من احمد فضيل ان يحضر بجيشه الى امدرمان لمواجهة اي تطورات غير مرتقبة • وفي ذلك الاثناء تم احتلال كسلا بواسطة الانجليز وانسحب منها الايطاليون • فارجع الخليفة احمد فضيل الى القضارف لمواجهة الخطر الذي ظهر في الشرق واخذ منه رايتي فضل الحسنه وعبد الله حامد واضافهما الى جيش محمود ولد احمد • وعندما اقتربت جيوش كتشنر من امدرمان راى الخليفة ضرورة حضور احمد فضيل • فغادر القضارف بجيشه وترك خلفه حامية بقيادة النور عنقرة وسعد الله عز الدين • وفي طريقه الى امدرمان علم احمد فضيل بسقوطها فعاد ادراجه الى القضارف • واتصل الخليفة باحمد فضيل

---

٦١ اقوال محمد عثمان حاج خالد

من مخبائه بدار الجوامعة وحثه على الصمود واخبره بانه سيعيد الكرة حتى ينتصر الدين[٦٢] .

لما كتشنر فقد رأى ان تراجع احمد فضيل بذلك الجيش الى القضارف سيكون مصدر خطورة . فامر الكلونيل بارسونز (C.S.B. Parsons) القائد البريطاني لحامية كسلا بان يتحرك الى القضارف . كما ارسل احد معاونيه ـ هنتر (Hunter .ﻫ) الى النيل الازرق لمتابعة تراجع احمد فضيل ثم التقدم الى سنار والروصيرص واحتلالهما . اما بارسونز فقد اتجه الى القضارف واحتلها في ٢٢ سبتمبر (٦ جماد اول ١٣١٦) بعد ان خرجت حامية الانصار بقيادة النور عنقرة وسلمت نفسها . واتجه احمد فضيل الى القضارف بعد ان رفض كل العروض التي قدمت له للتسليم . وفي ٢٨ سبتمبر (١٢ جماد اول) هاجم القضارف ولكن الحامية البريطانية المتحصنة في القضارف نجحت في صد الانصار فتراجع احمد فضيل الى

---

٦٢ الخليفة الى احمد فضيل ، (بدون تاريخ ـ ولكنها كتبت بعد واقعة كررى) ، موسديق ، ١/ ٤٢/ ٣/ ٥٤ .

عصار وظل يرسل الدوريات من هناك لقطع اتصال الجيش بكسلا [٦٤] .

فارسل كتشنر تعزيزات الى القضارف بقيادة الميجر رندل (Rundle) بهدف زعزعة احمد فضيل من موقعه . فوصل الجزء الاول من فرقة رندل الى القضارف في ٢٢ اكتوبر (٦ جماد ثاني) بقيادة كولنسن (J. Collinson) عند ذلك ادرك احمد فضيل ضعف موقعه وخطورة بقائه في عصار فغادرها في ٢٣ اكتوبر (٧ جماد ثاني) قاصدا اللحاق بالخليفة . فسار عن طريق بيلة الرهد الى الروصيرص وفي الطريق هجره ثلاثة الاف من جيشه وانضموا الى السلطة الجديدة [٦٥] . وهكذا انتهت السلطة المهدية في منطقة القضارف [٦٦] .

اما القلابات فقد قام الحبش باحتلالها عندما علموا بهزيمة الخليفة في امدرمان . وكتب بتوراد منقشا الى القمندان الانجليزي في القضارف قائلا " لقد

---

٦٤ نعوم شقير ، ص ١٢٩٦

٦٥ يونان لبيب رزق ، ص ١٧

٦٦ اما احمد فضيل فبعد مغادرته القضارف اتجه الى الروصيرص . وهناك كان هنتر قد ترك حامية بقيادة لويس . وعندما كان احمد فضيل يعبر بجيشه

دخلنا القلابات بامر الملك منليك والذى يرغب فى خلق علاقات حسنه معكم بغرض

فتح الطريق التجارى وانشاء علاقات تجارية بين السودان والحبشة • وقال لى منليك

انه لايوجد اى شيئ سوى المحبة بين الحبش والانجليز" [٦٧] ثم دارت مفاوضات بين

الانجليز والحبش انتهت باخلاء الحبش للقلابات ودخلتها الجيوش الانجليزية بقيادة

بارسونز فى ٧ ديسمبر (٢٣ رجب) •

وما ان حل عام ١٨٩٩ حتى كانت الدولة المهدية قد انهارت فى كل المنطقة

وفرضت السلطة الاستعمارية الجديدة ظلها على كل منطقة القضارف ــ القلابات •

== النيل عن طريق شلالات الدمازين هاجمه الويس واسر بقية جيشه الذى كان على الضفة الشرقية واوقع خسائر فادحة فى البقية التى كانت تعبر النيل • وفى ٢٦ ديسمبر تمكن احمد فضيل من عبور النيل مع البقية الباقية من جيشه فاتجه بهم غربا الى النيل الابيض • وعند عبوره للنيل الابيض التقى بالوابور الذى كان عائدا من فشودة فسلم جزء منه جيشه الى الانجليز • اما احمد فضيل فاتجه غربا للحاق بالخليفة • وعندما ارسل كتشنر حملة للقضاء على فلول المهدية بقيادة الخليفة هاجمت تلك الحملة احمد فضيل فى الطريق • وفى ٢٤ نوفمبر لقى احمد فضيل مصرعه مع الخليفة فى ام دبيكرات •

٦٧ نيوادن منقذا الى قمندان القضارف ، ٢٤ يناير ١٨٩٩ (١٢ رمضان ١٣١٦)، مهدية ، ٢٥١/١٦/٣٤/١

الفصل السادس

دولة المهدية في منطقة القضارف ـ القلابات

تلخيص وتقييم

تدور هذه الدراسة حول الدولة المهدية ـ سياستها الداخلية وسياستها الخارجية في منطقة القضارف ـ القلابات • هي دراسة منطقة او حالة معينة (case-study) في الدولة المهدية • فماهي النتائج والاتجاهات التي ابرزتها هذه الدراسة فيما يختص بتركيب الدولة المهدية وعلاقتها بامبراطورية الحبشة، وكيف قادت تلك السياسة في اتجاهاتها العامة الى نهاية دولة المهدية •

ماهي طبيعة الثورة المهدية ؟ الثورة المهدية ثورة شعبية بدأت بدعوة بسيطة خافتة في جزيرة أبا وسرعان ماسرت في كل أنحاء البلاد سريان النار في الهشيم • وماهي الا سنوات ثلاث او يزدن قليلا حتى اندكت كل معاقل الحكم التركي ـ المصري وانهارت قلاعه الواحدة تلو الأخرى • هي حقا ثورة شعبية لان أغلب قطاعات الشعب اشتركت فيها بمحض اختيارها • فالمهدي لم يكن موجودا في كل أنحاء السودان وبالرغم من ذلك استجاب الناس لدعوته • كان يكفي أن يرسل المهدي رسالة من عنده أو رسولا من لدنه حتى يتقبل الناس تلك الرسالة أو يلتفون حول ذلك الرسول • لقد كانت استجابة تلقائية وفعالة وحاسمة • وفي

بعض الأحيان كانوا يلتفون حول اى شخص يرفع راية المهدية بينهم • ففى منطقـــة القضارف ــ القلابات نلحظ هذه الظاهرة بوضوح • فالثورة هناك قامت اما على اكتاف دعاة ارسلهم المهدى من جانبه مثل الحسين عبد الواحد ، او دعاة قاموا بمحـــض اختيارهم فالتف الناس حولهم مثل محمد ارباب • فلماذا هذه الاستجابة السريعة، وما الذى قاله المهدى للناس حتى خفوا يستظلون براية المهدية ويدافعون عنها ؟

الذى فعله المهدى هو أن جعل من الدين أداة ثورية اى حول القوانيـين الدينية الى ايدلوجية ثورية • وهو بهذا استطاع ان يجعل من الدين عاملا موحـدا لمختلف قطاعات المجتمع التى كانت ترزح تحت نير الحكم التركى ــ المصرى • ان تقسيم المهدى للمجتمع الى مؤمنين وكـفار واعتبار اتباعه هم المؤمنون واعتبار غيرهم من الاتراك والفئات الاخر هم الكفار ، ان هذا التقسيم وضع حدا فاصلا بـــين الفئات التى يدعوها للثورة والفئات الرجعية • وقدم المهدى بذلك فكرة ثوريـــة لأنصاره مستمدة من ثقافتهم قريبة الى عقلهم ووجدانهم • ولذلك فان فكرة الجهاد التى لخص فيها المهدى عقيدته الثورية هى التى دفعت الناس فى مختلف انحاء البلاد لحمل السلاح والثورة ضد الحكم التركى ــ المصرى • ولذلك فالحديث عن الدوافـــع

الدينية الاقتصادية والسياسية كل بمعزل عن الآخر لايعبر بحق عن طبيعة الحركة المهدية . كل هذه الاسباب موجودة فى احشاء الحركة وكل واحد منها يكمــل الآخر . والتناقض الذى قد يبرزه بعض الكتاب حول هذه الاهداف هو فــى الحق تناقض كامن فى طبيعة تناولهم لاهداف الثورة لا فى طبيعة الثورة نفسها .

على ان المهدى لم يعش طويلا ليشهد الانتقال من مرحلة الثورة الــى مرحلة الدولة فى تاريخ المهدية . على أن المهدى كان قد تعرض لبعض القضايا النظرية الخاصة بتنظيم الدولة تمثلت فى كتاباته حول الغنيمة وطريقة توزيعهـــا وحول الزكاة وطريقة جمعها . وشهدت الاشهر الاخيرة من حياته بروز بعــض القضايا المالية فى منطقة القضارف ــ القلابات وفى البقاع الاخرى من السودان ، وقد تناول تلك القضايا بالشرح واقترح لها الحلول اللازمة . كما وضع المهدى علــى ايام حياته اللبنة الاولى فى بناء جيش نظامى تابع للدولة وكان تكوين ذلـــك الجيش نابع من سياسة المهدى المالية . فالمهدى اذا وضع الاسس النظرية للدولة المهدية وعالج بعض القضايا العملية معتمدا على تلك الاسس مما جعلها منسجلا

يحتذ ى به ، على أن تلك الاسس وتلك الحلول كانت محددة وفى نطاق ضيق مما رمى على عاتق الخليفة مسئولية التصدى للقضايا الادارية لدولة المهديــة فى مدى ثلاثة عشر عاما •

انضم للثورة المهدية فى سنواتها الاولى مجموعات مختلفة من قطاعــات الشعب ـ انضم اليها الشرق والغرب والشمال ، اولاد العرب واولاد البلد ، زعماء القبائل وقادة الطرق الصوفية ، ••• الخ • ولكن بعد انهيار الحكــم التركى ـ المصرى واستقرار الدولة الجديدة لخذ ت الدولة المهدية ، شأنهــا شأن أى دولة أخرى ، تلتف حول مجموعة معينة من ذلك الخليط العريض • وكانت تلك المجموعات التى التفتحولها الدولة هى المجموعات التى لها مصالح أكبر من غيرها فى التغيير الجديد ـ المجموعات التى فتح لها انهيار الحكم التركى ـ المصرى أبوابا جديدة لتلج منها الى آفاق أكثر رحابة فى حياتهــا ومعيشتها • ولعل تمرد الاشراف الأول ورفضهم الاعتراف بأحقية خلافة عبـد الله التعايشى كان هو الناقوس الذ ى أعلن بداية الاستقطاب فى الدولة المهدية

واضعا اولاد العرب أو البقارة وبالذات التعايشة فى شق ، واولاد البلد فى شق آخر • فسياسة الخليفة عبد الله طوال سنى حكمه كانت تأكيدا لهذا المبدأ ،مبدأ الولاء لحكمه وحكم أهله من التعايشة وقبيلته البقارة •

فتقسيم الدولة الى عمالات وتحديد حدود كل عمالة عن الاخرى كان يخضع للولاء للخليفة الذى كان رمز السلطة الجديدة • ولعل عمالة القضارف ـ القلابات توضح هذا الاساس خير توضيح• فقد ظلت حدود هذه العمالة لايستقر لها قرار حينا تقل وحينا اخر تزيد تبعا للعامل أو الامير الذى يعين بها وتبعا لاحتياجات الدولة فيما يختص بسياستها نحو القبائل الواردة من الغرب • ولعل موقع القضارف ـ القلابات بين كسلا والجزيرة قد ساعد فى اضطراب حدودها طوال عهد الخليفة • وتغيير الامراء والقواد كان ايضا يسير وفق تلك السياسة • فالشخصيات القيادية فى المنطقة من اولاد البلد والتى كانت موجودة فى بداية الثورة المهدية اخذت تختفى الواحد تلو الآخر • فاختفى الطريفى ، العوض المرضى ، محمد عثمان حاج خالد ، وحل محلهم قواد من التعايشة أو من

هم أكثر قربا للخليفة من التعايشة فتوالى على المنطقة يونس الدكيم وحمدان والزاكى واحمد على واحمد فضيل وظهرت شخصيات مثل مساعد قيدوم ، حامد ولد على ... الخ . نفس التحول حدث فى الجيوش المرابطة فى القلابات وفى القضارف . فامراء الارباع ورؤوس "الرايات" بل الجنود انفسهم تحولوا تدريجيا الى تلك الفئات من المجتمع ذات الولاء للخليفة والتى لها مصلحة / اكثر من غيرها فى التحول الجديد . هذه هى السمة الاولى للدولة المهدية .

المظهر الثانى للدولة كان سياستها الاقتصادية المتمثلة فى الغنيمة ، الزكاة ، السياسة الزراعية والتجارة . اما الغنيمة فكانت من الدوافع الرئيسية للجهاد والجهاد هو المحرك للحروبات الداخلية والخارجية ضد اعداء الله . ولعل منطقة القضارف ــ القلابات كانت أكثر تعرضا لاغراء الغنيمة من المناطق الاخرى لانها كانت تزخر بتلك الحروبات بالذات الحروبات ضد الحبشة . ولذلك كان الصراع حول الغنيمة وامتلاكها اكثر حدة فى هذه المنطقة من المناطق الاخرى وكانت الغنيمة سببا فى سقوط هذا الاميروذلك .

اما الزكاة او حقوق الله كما كانت تعرف في دولة المهدية ، فقد حددها المهدي وفق الاسس المتعارفة في الفقه الاسلامي ، وسار الخليفة على نهج المهدي مع بعض المرونة التي تقتضيها الظروف المتجددة في الدولة . الا ان الطريقة التي كانت تجمع بها الزكاة كانت تمثل مشقة على الناس وعنتا لهم في حياتهم وكثيرا ما اضطر الخليفة لرفع الحمال عن كاهل الناس . بل ان الخليفة كان يعفي الناس احيانا من حقوق الله هذه حتى لاتشكل حاجزا بينهم وبين استمرار حياتهم اليومية او تعوقهم من القيام بمهام الزراعة .

وقد اهتم الخليفة بالزراعة الا ان سياسته الزراعية كانت تخضع للظروف السياسية والحربية . فصراعه مع القبائل مثل الشكرية والضباينة وترحيل اهله التعايشة من الغرب ووقف الجزيرة لاطعام الملازمين كلها اثرت بشكل مباشر على الزراعة . كما ان الجيوش المرابطة على الحدود فاقمت من مشكلة الغذاء . ويمكننا ان نقول اذا ، ان مجاعة ١٣٠٦هـ كانت نتيجة حتمية لهذه السياسة . وبعد عام ١٣٠٦هـ اضطر الخليفة لتعديل سياسة الزراعة فاعطى اهتماما اكبر

باستقرار القبائل ومشاركتها فى عملية الزراعة وانتاج الطعام •

وكان موقف الخليفة واضحا بالنسبة للتجار الوافدين من الشمال من مصر • فهو يعتبرهم جواسيسا وكان يشك كثيرا فى نواياهم ولذلك لم يشجع التجارة مع مصر • على ان هذا الشك لم يقتصر على التجارة مع مصر فحسب ، بل امتدت بعض ظلاله لتأثر على التجارة مع الحبشة • ولكن موقف الخليفة منها لم يكن متشددا بقدر تشدده فيما يختص بجهة الشمال ، ولذلك اتصفت سياسة الخليفة التجارية فى جهة القلابات بالتأرجح فحينا يسمح باستمرارها وحينا آخر ينهى عنها ويحذر من المكائدة والنقادية • على ان العلاقة التجارية ظلت دائما فى تصاعد حتى وصلت مرحلة فكر فيها الخليفة ان يدخل بنفسه فى العملية التجارية •

وبالنسبة للسياسة القبلية فان منطقة القضارف ـ القلابات تمثل نموذجا حيا لتلك السياسة، ففى هذه المنطقة توجد قبيلة الشكرية وقبيلة الضبانية وهما من اكبر القبائل السودانية فى ذلك الوقت • لقد وقفت هاتان القبيلتان موقفا مؤيدا للثورة المهدية فى سنواتها الاولى وان كان تأييدهما لم يخل من تردد • ولكن ما ان بدأ الخليفة يمارس سياسته الداخلية الخاصة بالاعتماد على اهله من التعايشة

وعلى البقارة عموما ، وما ان وضح لهما الاتجاه الجديد للدولة الفتية ، وما ان بدأت مصالحهما الاقتصادية الموروثة من العهد التركي ـ المصري تتقلص حتى جنح زعماء تينك القبيلتين للمعارضة غير مقدرين للتحولات الجديدة ومراكز القوة التي فرضت نفسها على مسرح الحياة السياسية • فاضطر الخليفة للقضاء عليهما عبر مراحل مريرة من الصراع انهكت دولة المهدية سياسيا واقتصاديا • وما كان للخليفة ان يفعل غير ذلك والا لاصبح مركزه وخلافته نهبا للاطماع السياسية والتحديات القبلية التي اكتنفت الدولة المهدية بعد وفاة المهدي •

على ان الخليفة بفطرته السياسية ادرك خطورة المضي في هذا الطريق الوعر ـ طريق معاداة القبائل التي تجيد عملية الزراعة • فرأى اعادتها الى قواعدها الاقتصادية في مناطق الزراعة بعد تجريدها من قوتها السياسية والعسكرية • ولكن تلك العودة كانت عبر بحر من الدماء هو الذي خضب الدولة المهدية بتلك الصورة الدامية التي جعلت الكثير من السودانيين ينحون فيها على الخليفة باللائمة ويحملونه نتيجة الصراع الحاد بين اولاد العرب واولاد البلد •

وكان من نتيجة تلك السياسة القبلية فى منطقة القضارف ـــ القلابات ان انقسمت قبيلة الشكرية الى شقين ، وكان من نتائجها ايضا ان اضعفت قبيلة الضبانية حتى فقدت وجودها المستقل وذابت بين الشكرية وقبيلة بكر على ايامنا هذه .

ومما تقدم يمكننا ان نلمح الخطوط العريضة للتركيب العسكرى لدولة المهدية ، اى الجيوش التى تكونت تحت ظلها وطبيعة تلك الجيوش . فقد كانت الدولة المهدية منذ قيامها وحتى نهايتها دولة ذات طابع عسكرى . فقد كانت اغلب امراء المهدية ان لم يكن كلهم قوادا عسكريين يسيطرون على مجموعات من المقاتلين . فالصراعات الداخلية والخطر الخارجى فرضا على الدولة المهدية هذا الطابع . فمنذ أن أعلن المهدى دعوته فى قدير وحتى هزيمة الخليفة فى كررى ، عبر سبعة عشر سنة كانت الدولة المهدية فى حالة حرب ، ما ان تنتهى من معركة حتى تدخل من اخرى يدفعها حماس الدعوة والغنيمة فى بادىء الامر وتدفعها الرغبة على المحافظة على كيانها داخليا وخارجيا فى

نهايـة الأمر • وقد فرضت هذه الطبيعة العسكرية ظلا قاسيا على الدولـــــة

المهدية أدى الى ذلك الاستقطاب الذى قسم الدولة الى شقين ، كمـــا

أدى/الى التدهور الاقتصادي الذى أدى الى ازدياد تدهورها •

وكانت من نتيجة ذلك الصراع أن تكونت فى ظل الدولة المهدية جيوش

عديدة اصبحت تتمثل فى نوعين من المقاتلين : الجهادية وهم الجنود المحترفون

حملة الاسلحة النارية ، واولاد العرب من القبائل الموالية لحكم الخليفة والـــتى

حملت معها من مواطنها طبيعتها الحربية واسلحتها • وكان لهذه الجيـوش

وضع ممتاز فى المهدية • اما الذين ظلوا خارج هذا الاطار فهم مواطنون مـن

الدرجة الثانية •

وعليه فان السياسة الادارية والاقتصادية والقبلية والعسكرية قادت ، وبالضرورة ،

الى اضعاف كيان الدولة المهدية وجعلها عرضة للغزو الاستعمارى الذى كـان

يتربص بها خلال مايقرب من حقبتين • فماذا عن السياسة الخارجية لدولـــة

المهدية والتى كانت تمثل المظهر الثاني لنشاطها •

كانت سياسة دولة المهدية سياسة قتالية لاتقبل حلا وسطا بين المؤمن والكافر . وكان من الممكن أن تكون الدولة المصرية والانجليز الذين كانوا يحتلونها هم الاعداء الاساسيين لدولة المهدية . ولكن دخول الحبشة منذ السنوات الاولى للثورة المهدية بجانب الحكومة المصرية خلق جبهة جديدة على شرق الدولة المهدية ، وطبقت الدولة المهدية قانونها القاسى على الحبشة القانون الذى يفرق بين المؤمن والكافر تفريقا حادا . ويرى سيمرنوف ان دخول الحبشة فى الصراع كان بايعاز من بريطانيا التى رأت ان القضاء على الدولة المهدية لايمكن ان يتم بدون اضعافها وانهاكها بالحروبات المستمرة [١] . وبالرغم من ان هذا الرأى يحتاج الى دراسة عميقة وهو يدخل ضمن السياسة البريطانية فى الحبشة فى اواخر القرن الماضى ، الا انه من الممكن ان نلحظ بوادر هذه السياسة دون الالتزام بها . فخطاب الامبراطور يوحنا الى الخليفة الذى

---

١ سميرنوف ، ص ٨٣-٩٣

يخبره فيه باتصال الانجليز به وطلبهم له بأن يدخل فى حرب مع المهدية يشير الى هذا الاتجاه • ومهما كانت دوافع الحبشة فان دخولها فى الصراع ضد الدولة المهدية اضعف من تلك الدولة وزاد من مشاكلها ثقلا على ثقل •

على ان السياسة الخارجية لدولة المهدية تجاه الحبشة لم تسر فى خط مستقيم فقد اعترتها فترات صعود وهبوط • بدأت العلاقة بالحرب وسارت فى هذا الطريق حتى وصلت قمته فى معركة القلابات الكبرى التى/ قتل بها الملك يوحنا • ثم تلتها فترة طويلة من المناوشات والحروبات الصغيرة والغزوات تتخللها بعض الاشراقات السلمية والعلاقات التجارية ، وانتهت الى مفاوضات بغرض احلال السلم بين البلدين والوصول الى نوع من الاتفاق حال دون الوصول اليه الجيوش الزاحفة من الشمال •

اما ايطاليا فقد لعبت بحق دورها فى تشتيت المجهودات الحربية لدولة المهدية • وبالرغم من ان الدولة المهدية لم تصطدم اصطداما عنيفا مع

ايطاليا ، الا ان الوجود الايطالى قد ازعج الخليفة كثيرا • وكانت كسلا نقطة من نقاط الانطلاق التى دخل بها الجيش الانجليزى ـ المصرى الى السودان •

ان منطقة القضارف ـ القلابات تمثل فصلا هاما من فصول الدولة المهدية • وقد كانت مسرحا هاما لنشاط داخلى وخارجى ولعلنا بحق شملا حيا لعله يعيننا فى تفهم الطبيعة الكاملة للدولة المهدية •

المصادر

أ ــ وثائق العبدية[1]

(١) القسم الأول

١/ ٤ رسائل الزاكي طمل الى الخليفة

١/ ٦ رسائل حامد على الى الخليفة

١/ ٢٠ الرسائل المتبادلة بين الخليفة واحمد فضيل

١/ ٢١ الرسائل المتبادلة بين الخليفة واحمد فضيل

١/ ٢٢ رسائل يونس الدكيم الى الخليفة

١/ ٢٥ رسائل الخليفة الى حمدان ابى عنجة

١/ ٢٦ رسائل الخليفة الى حمدان ابى عنجة

١/ ٢٧ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف والزاكى طمل واحمد على من طرف آخر

١/ ٢٨ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف وحمدان ابو عنجة واحمد على من طرف اخر

---

[1] لم أذكر الارقام التفصيلية للوثائق اكتفاء بالتفاصيل الواردة فى الهوامش والخاصة بكل وثيقة . فالارقام الاولى تمثل نمرة المجموعة كلها والارقام الثانية تمثل المجموعات الصغيرة التى تشمل عددا من الوثائق .

١/ ٢١ رسائل حمدان ابو عنجة الى الخليفة

١/ ٢٤ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف وحاكم الحبشة والايطاليين من طرف آخر

١/ ٤٢ رسائل الخليفة بعد سقوط الخرطوم

(٢) القسم الثاني

٢/ ١ قوائم بالجنود

٢/ ٥ رسائل من الخليفة الى أشخاص مختلفين

٢/ ٦ مختلفة

٢/ ٧ "

٢/ ٨ "

٢/ ١٠ "

٢/ ١١ "

٢/ ١٣ "

٢/ ١٥ "

٢/ ١٦ "

٢/ ١٧ "

٢/ ١٨ "

١٦/٢	مختلفة
٢٠/٢	»
٢١/٢	»
٢٢/٢	»
٢٣/٢	»
٢٣/٢	»
٢٤/٢	»
٢٥/٢	»
٢٦/٢	»
٢٧/٢	»
٢٨/٢	»
٢٩/٢	»
٣٠/٢	»
٣١/٢	»
٣٢/٢	»
٣٣/٢	»
٣٤/٢	»
٣٥/٢	»

٢/٣٦	مختلفة
٢/٣٧	"
٢/٣٩	"
٢/٣١	"
٢/٤٠	"
٢/٤١	"

(٢) دفاتر الصادر

دفتر صادر ١

دفتر صادر ٢

دفتر صادر ٣

دفتر صادر ٤

دفتر صادر ٥

دفتر صادر ٧

دفتر صادر ٩

دفتر صادر ١١

دفتر صادر ١٢

دفتر صادر ١٣

دفتر صادر ١٥

دفتر صادر ١٧

(٤) القسم الثامن من وثائق المهدية

١- اسماعيل بن عبد القادر الكردفاني ، الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش .

٢- وثائق حيدر اباد ٨/٥ قلم

(٥) تقرير البكباشي سعد رفعت

(ب) مراجع عربية

ابراهيم فوزي . السودان بين يدي غردون وكتشنر (جزءان) ، القاهرة ، ١٣١٩هـ

يوسف ميخائيل . مخطوط غردون في السودان ، تحقيق الدكتور صالح محمد نور (رسالة دكتوراة لجامعة لندن - غير منشورة) ، ١٩٦٢ .

الطاهر عبد الكريم . ود زايد شحم الجبل . بيروت ، ١٩٦٨

فيليب رفله • الجغرافيا السياسية لافريقية • القاهرة ، ١٩٦٥

محمد ابراهيم ابو سليم • منشورات المهدية • بيروت، ١٩٦٩

محمد فؤاد شكرى • مصر والسودان : تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر : ١٨٢٠–١٨٩٩ • مصر ١٩٦٣

مكى شبيكة • السودان عبر القرون • بيروت ، ١٩٦٥

نعوم شقير • جغرافية وتاريخ السودان • بيروت ١٩٦٧

يونان لبيب رزق : السودان فى عهد الحكم الثنائى الاول ١٨٩٩–١٩٢٤ • (رسالة دكتوراه لجامعة عين شمس – غير منشورة)١٩٦٧•

عبد الله على ابراهيم • الصراع بين المهدي والعلماء • شعبة ابحاث السودان كلية الآداب – جامعة الخرطوم ١٩٦٨ •

ج– مقالات عربية

محمد سعيد القدال ، الطراز المنقوش مجلة الدراسات السودانية العدد ٢ المجلد (١) يونيو ١٩٦٩ •ص ١٤٠ – ١٤٥

سمير نوف ، س • ر • عصيان المهدى فى السودان –(ترجمة محمد ابراهيم نقد ، غير منشورة) •

د ـ كتب بالانجليزية

Abu Saleem, Mohamad Ibrahim : The Central Archives and Possibilities of Research. A Paper Presented to the Philosophical Society of the Sudan (1964).

Barbour, K.M. : The Republic of the Sudan : A Regional Geography. London, 1961.

Carlson, Lucile. Africa's Lands and Nations. New York, 1967.

Hill, Richard. Egypt in the Sudan, 1820-1881. London, 1959.

__________. A bibliography of the Anglo-Egyptian Sudan from the Earliest Times to 1937. London.

Holt, P.M. : The Archives of the Mahdia. London 1955.

__________. The Mahdist State in the Sudan, 1881-1898. Oxford, 1958.

__________. A Modern History of the Sudan. London, 1961.

Jones, A.H. and Elizabeth Monroe. A History of Ethiopia. Oxford, 1962.

Neufild, C. A Prisoner of the Khalifa. London, 1899.

Perham, Margerg. The Government of Ethiopia. London 1947.

Sanderson, G.N. England, Europe and the Upper Nile, 1882-1899. Edinburgh, 1965.

Shibeika, Mekki. British Policy in the Sudan. London 1952.

Slatin, R.C. (Von). Fire and Sword in the Sudan. London 1896.

Theobold, A.B. The Mahdia : A History of the Anglo Egyptian Sudan. London 1951.

Wingate, F.R. Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp, 1882-1892. London 1892.

________. Mahdism and the Egyptian Sudan. London,1891.

Trimingham, J. Spencer, Islam in Ethiopia. London,1965.

هـ ــ مقالات بالانجليزية

Sudan Notes & Records (S.N.R.)

Cumming, D.C."The History of Kassala and the Province of Taka," SNR, Vol. XX, Part I (1937), 1-45.

Reid, J.A. "The Mahis Emirs," SNR, XX Part II, (1937), 308-312.

Sanderson, G.N. "Emir Suliman Abu Inger Abdalla?" SNR, Vol. XXXV, Part I, (1954), 22-71.

SNR. "The History of Gallabat," Vol. VII, No I (1920), 93-101.

Theobold, A.B. "The Khalifa Abdallahi," SNR, Vol. XXXI (1980), 254-273.

The Journal of African History (JAH)

Marcus "Ethio-British Negotiations concerning the Western Boardu with Sudan, 1896-1902," J.A.H, Vol. IV (1963), 81-94.

al-Naqusr, Umar "Takrur : History of A name," JAH, Vol. X, No 3 (1969) 365-374.

Sanderson, G.N. "The Foreign Policy of Negus Menelik II : 1896-1898", JAH, Vol V (1964), 87-97.

Journal of Ethiopia History (JEH)

Pankhurst, Richard "The Trade of Northern Ethiopia in the Nineteenth and Early Twentith Centuries," JEH, Vol. II, (January) 1964), 49-159.

Bulletein of the School of Oriental and African Studies

Holt, P.M. "The Sudanese Mahdia and the outside world," SOAS, Vol. XXI (1956), 276-290.